الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر
باتنـة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

الاتساق والانسجام في سورة الكهف

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

الشعبة: اللغوية/ تخصص: لسانيات اللغة العربية

إعـداد الطالب:
محمود بوستة

إشراف الأستاذ الدكتور:
السعيد هادف

لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الدرجة العلمية	الجـامعـة	الصفـة
أ.د. فرحات عياش	أستاذ التعليم العالي	جـامعـة باتنـة	رئيـسا
أ.د. السعيـد هادف	أستاذ التعليم العالي	جـامعـة باتنـة	مشرفا ومقررا
د.عبد الكريم بورنان	أستـاذ محاضر	جـامعـة باتنـة	عضـوا
أد. بلقاسم دفة	أستـاذ التعليم العالي	جـامعـة بسكرة	عضـوا

السنة الجامعية

1429 هـ - 1430 هـ / 2008 م – 2009 م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

شكر وعرفان

مصداقا لقوله ﷺ «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»

أرفع أسمى آيات الشكر والامتنان إلى أستاذي المشرف "**الأستاذ الدكتور السعيد هادف**" الذي بذل من الجهد الكثير رغم انشغالاته العلمية المختلفة، إلا أن صدره كان أرحب من كل هذا، وأسهم في توجيه مسيرة هذا البحث حتى استوى على سوقه.

كما أشكر جميع أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الحاج لخضر- باتنة لما أولوه من رعاية وتوجيه، وكذا كل من جامعتي قسنطينة، وجامعة محمد خيضر بسكرة، حيث أفدت من أساتذتها ومكتباتها الكثير،دون أن أنسى الزملاء والأصدقاء والإخوان الذين أسهموا من قريب أو بعيد في إخراج هذا البحث على هذا الشكل.

والفضل فوق كل هذا يعود لخالقي ، فأسأله أن يتقبله مني خالصا لوجهه الكريم.

محمود

إهداء

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن اللغة أداة اتصال بين البشر تحقق غرض التبليغ والتواصل، ولذلك كانت محل دراسة وعناية وتحليل، من أجل كشف أسرارها وسبر أغوارها ومعرفة مكنونها، فحظيت بنصيب وافر من الاهتمام من قبل المتخصصين في هذا المجال منذ القدم، وقد كانت الجملة، في بداية هذا الدرس اللساني، بؤرة الاهتمام ومركز الدوران، واعتبرت الوحدة الأساسية للدراسة خصوصا عند أصحاب النظريات اللسانية، لكن الاهتمام الشديد باللغة والتطور الحاصل في جميع العلوم أحدث قفزة نوعية في هذا الجانب، ونقل محورية البحث اللساني إلى درجة أعلى مما كان عليه خصوصا قبل أربعة عقود من الزمن تقريبا، فتجاوز محورية الجملة في الدراسة لما شملته هذه الأخيرة من نقائص، إذ لا يمكن دراسة المعنى منفصلا عن سياقه اللساني المتمثل في البنية اللغوية الكبرى "النص".

ومن هذا المنطلق نشأ علم جديد يهتم بدراسة النصوص وتحليلها وهو ما يعرف اليوم بـ"لسانيات النص" هذا العلم الذي يبحث في تماسك النصوص وتعالقها حتى يكون وحدة كلية تؤدي أغراضا معينة في مقامات تبليغية محددة.

وقد احتل موضوع الدراسات النصية موضعا مركزيا في الدراسات اللغوية المعاصرة؛ انطلاقا من مبدأ أن لسانيات النص مدخل مهم لانسجام وتماسك النصوص.

وقد تميز هذا العلم بحداثته، وتنوع موضوعاته، فتعددت المدارس اللسانية النصية وظهرت العديد من المصطلحات الخاصة به، ومن أهم المفاهيم التي عنيت بها لسانيات النص مفهوما: "الاتساق" و "الانسجام" اللّذَان يحتلان موقعًا مركزيا في الأبحاث والدراسات التي تندرج في مجال هذا العلم.

فالاتساق والانسجام من أهم المسائل التي تطرحها لسانيات ما بعد الجملة، ومن أهم القضايا التي لقيت اهتماما كبيرا من علماء العرب والمسلمين في دراستهم للنص القرآني أو

النصوص الأدبية، وشغلت كذلك المستشرقين حتى أن منهم من رأى أن القرآن الكريم كتاب غير منسجم، ويفتقد للأسس النصية.

فجاءت بذلك أسباب اختياري لهذا الموضوع وهي رغبتي الملحة في التعرف أكثر على هذا العلم الجديد، وأملي أكثر أن أطبق ما جاء به على سورة قرآنية، تعبر عن قضية كبرى هي قضية العقيدة من خلال سورة الكهف، وذلك بالبحث في اتساقها قصد الوصول إلى الهدف الأخير وهو انسجامها الدلالي، وتجسيدا لهذا الغرض اخترت لهذا البحث عنوان: "**الاتساق والانسجام في سورة الكهف**".

وقد انطلقت من إشكالية تتمثل في عدة تساؤلات مفادها:

- كيف تم الانتقال من محورية الجملة في الدراسة اللغوية إلى اعتبار النص مركز الاهتمام؟
- ماذا نعني بالنص وما هي حدوده؟
- ما هي أبرز الجهود العربية الإسلامية التي أسهمت في مجال الدراسة النصية؟
- ما مفهوم الاتساق والانسجام؟ وما هي أدواتهما؟
- وهل بإمكان كل من امتلك أدواتهما أن يترلهما من الإطار النظري إلى محك التجربة التطبيقية على النص القرآني للكشف عن تماسكه؟
- وما مدى اتساق سورة الكهف وانسجامها، خصوصا إذا علمنا أن هذه السورة تحوي العديد من القصص ؟

مما سبق ذكره، اقتضت الإجابة قطع مسافة ثلاثة فصول وخاتمة بعد هذه المقدمة، فقد تضمن **الفصل الأول**-**لسانيات النص التشكل والمفهوم**- حديثا عن النص ولسانيات النص والدراسات النصية: فنعرض في بدايته عرضا سريعا للمسار الانتقالي في الدراسة اللسانية من الجملة إلى النص، وبعدها يتم تحديد مفهوم النص ولسانيات النص وأهدافها، وكذا القدماء وجهودهم في الدراسات النصية.

أما **الفصل الثاني**: فسيأتي موسوما بـــ "الاتساق في سورة الكهف" نحدد من خلالــه مفهوم الاتساق وأدواته، وأهم هذه الأدوات التي أســهمت في التــرابط الــشكلي للسورة، وفيها نتعرض للإحالة ودورها في تحقيق الاتساق كما نتنــاول فيــه بالدراســة والتطبيق العطف والحذف والتكرار باعتبارها وسائل اتساق شكلية ظاهرة في سطح النص.

الفصل الثالث، وهو بعنوان "الانسجــــــــــــام في سورة الكهف" وفيه يــتم تحديد مفهوم الانسجام وآلياته وذكر أهم الآراء في تصنيف آليات الانسجام إذ يأتي السياق في أولها لما له من دور كبير في رصد الترابط الدلالي للنصوص، بالإضافة إلى تحديد أنــواع السياق في القرآن الكريم، وبالضبط في سورة الكهف ودوره في إبــراز التــرابط الــدلالي للسورة.

ثم يتم الحديث عن بنية الخطاب ودور المتلقي في الحكم على انــسجام النــصوص، بالإضافة إلى ذكر خصائص البنية الخطابية ودورها في كشف انسجام السورة، وبعدها يتم التطرق لآلية التغريض التي بها نكشف العلاقة الخفية بين عنوان السورة ومضمونها.

وخصص آخر هذا الفصل لأداة من أدوات الانسجام، وهي على درجة كبيرة مــن الأهمية، لما تحققه من تماسك دلالي للسورة وهي "المناسبة" إلا أن طبيعة النصوص المعروضة على محك التجربة عند علماء لسانيات النص، أدى إلى عدم ذكرها، وقد نالت هــذه الأداة الاهتمام الكبير من طرف العلماء العرب أمثال البقاعي، والسيوطي، غير أنهــا لم توضــع في سورها النصية الكاملة.

وفي الأخير، وبعد جولة البحث في هذا الموضوع، قدمت أهم النتائج التي تمكنت مــن الوصول إليها في **خاتمة** هذا البحث.

ولما كان البحث يتطلب منهجا يسير عليه، ويسدد خطواته، اتبعت في ذلــك المنــهج الوصفي التحليلي والذي فرضته طبيعة المدونة، وطبيعة الموضوع، إذ من خلاله يمكن وصــف

الظاهرة اللغوية ووسائلها المختلفة، وتحليلها ، وهذا المنهج سمح بتتبع عناصر البحث عن طريق تعقب ما فيه من مفاهيم مختلفة لضبطها ثم عرضها على محك التجربة وتحليلها.

وقد واجهتُ بعض الصعوبات، كأي باحث في هذا المجال، إلا أن أهم ما واجه هذا البحث من حواجز هو قلة المصادر والمراجع المتعلقة بلسانيات النص،كون هذا العلم ما زال في طور التنظير، مما اضطرني إلى البحث في العديد من الجامعات الوطنية، والاتصال بأساتذة أجلاء في جامعتنا، وجامعات خارج الوطن، إلى أن تم الحصول على عدد معتبر منها، ويعود الفضل قبل كل شيء لله عز وجل.

وقد اعتمدت الدراسة على عدد من المصادر والمراجع الغربية والعربية، وذلك في الميادين المتصلة بموضوع البحث، فكان منها كتاب "النص والخطاب والإجراء" لـ"روبررت دي بوجراند" و"تحليل الخطاب" "براون ويول" وغيرها من المراجع الغربية.

أما الدراسات العربية، فمنها دراسات محمد خطابي: "لسانيات النص" وسعيد حسن بحيري، وصبحي إبراهيم الفقي، والأزهر الزناد .

وإذا كان هذا البحث قد تم بعد جهد مضن فإن الفضل في انجازه يعود إلى ما لاقاني به أستاذي المشرف **"الأستاذ الدكتور السعيد هادف"** من رحابة صدر، وسديد رأي، وكريم بذل وتوجيه قيم، فقد كان لي خير أستاذ وخير مشرف وخير قدوة، فهو الذي أنار لي طريق البحث بنصائحه القيمة وتشجيعاته المتواصلة، والتي كنت في أمس الحاجة إليها في أصعب اللحظات فكان لي نعم الموجه، فله مني خالص الشكر والعرفان.

كما لا أنسى فضل أي أستاذ لما لاقيته منهم من احترام كبير وعطاء واسع مديد، فلهم مني جزيل الشكر والعرفان.

وأخيرا أسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والسداد ويجعل هذا البحث خالصا لوجهه الكريم.

الفصل الأول

لسانيات النص - التشكل والمفهوم

I- من الجملة إلى النص:

حظيت اللغة بنصيب وافر من الدراسات، كونها من أهم وسائل الاتصال ،إذ بها يعبر كل قوم عن أغراضهم كما ذهب إلى ذلك "ابن جني"[(1)]، واعتمدت دراسات التراكيب اللغوية جميعها على وجه التقريب منذ نشأتها في العصور السحيقة على مفهوم الجملة دون غيره[(2)]، وكانت بذلك الجملة الوحدة اللغوية الكبرى للدراسة ،حيث اجتهد الباحثون منذ "أفلاطون" (ت: 347 ق. م) حتى عصرنا الحاضر على اختلاف منازعهم ومناهجهم في تحديد مفهوم الجملة، فقدموا لنا عددا ضخما من التعريفات أربى على ثلاثمائة تعريف[(3)]، وهذا العدد الكبير في تعريفاتها يبرز لنا صعوبة تحديد مفهومها فأعاقهم بذلك عن التوصل إلى تعريف جامع مانع لها،وهذا ما هو ظاهر لدى نحاتنا، إذ نجدهم في دراستهم يستعملون مصطلحات كثيرة ومتشابكة كمصطلح الجملة والكلام، إذ نميز بين اتجاهين في تعريفهم للجملة، أحدهما يرى بأن الجملة هي الكلام والآخر يراها إياه.

فالاتجاه الأول: يمثله "ابن جني" (ت:392هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت: 471)، و"الزمخشري" (ت: 538).

"فابن جني" يعرف الكلام بأنه « كل لفظ مستقل بنفسه مفيد بمعناه وهو الذي يسميه النحويون الجمل»[(4)].

---

(1) ابن جني، الخصائص، تح : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ-2002م،ج1، ص: 87.

(2) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1418-1998، ص: 88.

(3) محمود أحمد نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط)، 1408هـ-1988م، ص: 11.

(4) ابن جني، المرجع نفسه، ج1، ص: 73.

وفي مقابل ذلك يرى بأن « الكلام جنس للجمل التوام مفردها ومثّناها ومجموعها، كما أن القيام جنس للقومات مفردها ومثّناها ومجموعها، فنظير القومة الواحدة من القيام الجملة الواحدة من الكلام»[1] ،ويقول أيضا في كتابه اللمع: «وأما الجملة فهي كل كلام مفيد مستقل بنفسه»[2]. فهو يسوي في ذلك بين الجملة والكلام.

وإذا ذهبنا إلى "**عبد القاهر الجرجاني**" (ت:471هـ) نجده هو أيضا يسوي بين مصطلحي الجملة والكلام، إذ يقول : «اعلم أن الواحد من الاسم والفعل والحرف، يسمى كلمة، فإذا ائتلف منها اثنان فأفادا، نحو "خرج زيد"، سمي كلاما وسمي جملة»[3].

و "**الزمخشري**" (ت: 538هـ)، حيث يقول : «والكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتى إلا اسمين كقولك: "زيد أخوك"... أو فعل واسم نحو قولك: "ضرب زيد"... وتسمى جملة»[4].

أما **الاتجاه الثاني** فهو الذي يفرق بين المصطلحين، فهذا "الرضي الاسترباضي" (ت: 686هـ) يقول: «والفرق بين الكلام والجملة أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أم لا... والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس»[5].

ويتفق "ابن هشام" (ت: 761هـ) مع الرضي في ذلك ويزيد الأمر وضوحا بقوله: «الكلام هو القول المفيد بالقصد...والجملة عبارة عن الفعل وفاعله...والمبتدأ وخبره...وما كان بمترلة أحدهما،

---

(1) ابن جني، المرجع السابق، ج1، ص: 81.

(2) ابن جني، اللمع في العربية، تحقيق: حسين محمود شرف، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1979م، ص: 110.

(3) عبد القاهر الجرجاني، الجمل، تح: علي حيدر، دمشق، 1972م، ص 40، نقلا عن: محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، (د.ط)، 2003، ص: 23.

(4) ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، (د.ط) (د.ت)، ج1، ص: 18.

(5) رضي الدين الاستراباضي، شرح كافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ-1992م، مج1، ص: 31، 32.

وبهذا يظهر لك أنهما ليسا مترادفين، كما توهمه كثير من الناس»[1]فقد كان مصب اهتمام نحاتنا حول الجملة وحدودها والفرق بينها وبين الكلام وغيرها من الدراسات التي تحوم حولها.

وانطلاق النحو العربي من نحو الجملة، وانحصار التحليلات النحوية في هذا المجال، لا يعد قصورا ، وإنما هو راجع إلى الأسباب التي من أجلها تم القيام بتقعيد اللغة، إذ أن تقويم اللسان في نطق الجملة نطقا صحيحا يعد أهم هذه الأسباب، مما يحتم على النحاة الاهتمام بالقواعد التي تضمن نطق الجملة نطقا يبتعد عن اللحن في العربية، وكان النحو أحد هذه الأعمال ،بدأ أول ما بدأ بضبط أواخر الكلم في الآيات بالنقط الذي توصل إليه أبو الأسود الدؤلي(ت 69هـ) عند منتصف القرن الأول للهجرة ، لكن الدرس النحوي أخذ يستقل تدريجيا ، واتسع موضوعه وهدفه ووجد له باحثون أرادوا إلى أن تكون اللغة كلها مجال هذا الدرس الجديد ،وطفقوا يدرسون النحو لذاته[2]

والواقع أن موقف البلاغيين كان غير موقف النحاة؛ فقد انطلقت مباحث عديدة في علم البلاغة من منطلق المعالجة النصية مثل الإيجاز والفصل والوصل وغيرهما. بل نظرية النظم نفسها أكدت التضام والاتساق بين الكلمة الأولى والثانية والثالثة... إلى نهاية المعنى المراد[3]، وكذلك الدراسات التي قام بها المفسرون في دراساتهم للنص القرآني، وهذا ما سنلحظه لاحقا.

و لم يكن الاهتمام بنحو الجملة فقط من قبل النحويين العرب، بل كان محور اهتمام المدارس الوصفية والتحويلية والتوليدية[4] قبل السبعينيات من القرن الماضي. وكانت هناك اختلافات متعددة في تعريف الجملة:

---

(1) ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الاتحاد العربي، القاهرة (د.ط) (د.ت)، ج2، ص: 416.

(2) ينظر : مهدي المخزومي ، في النحو العربي نقد وتوجيه، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ،(د.ت)،ص:13.

(3) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة، ط1، 1421هـ-2000م، ج1، ص: 50.

(4) المرجع نفسه، ج1، ص: 51.

فهي «عبارة عن فكرة تامة»[1]، كما يقول (إيفنش Ifnech) أو «تتابع من عناصر القول ينتــــهي بسكتة»[2]، كما يعبر عن ذلك (جاردنر Gardner) هي :«الوحدة الكبرى للوصف اللغوي»[3] كما يذهب إلى ذلك (جون ليونز j.lyons). وفي تعريف آخر هي «نمط تـــركيبي ذو مكونـــات شكلية خاصة»[4]، فمما نلاحظه من التعريفات هذه أنها مختلفة عن بعضها في الحكــــــــــم علـــى جملية الجملة فيعتمد بعضها على الجانب الشكلي المحض، وبعضها يركـــز علـــى الجانـــب الـــدلالي وثـــــــالث يعتمد المزج بين الــــــــــدلالة والشكل.

غير أن معظم هذه التعريفات تؤكد من خلال مفهومها استقلالية الجملة، ويتأكد هذا في نحو الجملة، حيث يقتصر على دراستها متروعة من سياقها[5].

وفي هذا الإطار يميز جون ليونز بين ما أطلق عليه بـــ جملة-نظام و جملة —نصية.

فجملة-نظام ***(System-sentence)*** عنده بعض شكل الجملة المجرد الذي يولد جميع الجمـــل الممكنة والمقبولة في نحو لغة ما[6].وهذا يجعل من الجملة أكثر استقلالية.

وجملة-نصية ***(Texte – sentence)*** وهي الجملة المنجزة فعلا في المقام[7]، وهـــي تتـــسم بالتواصل مع جملة أخرى حيث يحتويها نص ما...وهذا النوع من الجمل لا يفهم إلا بإدماجه في نظام الجمل[8].

وهذا التقسيم الثنائي هو الذي أدى بـــ: "جون ليونز" ***(J. lyons)*** إلى تعريف الجملة كمـــا سبق، بأنها الوحدة الكبرى للوصف اللغوي، وربما هذا ما جعل علماء تحليل الخطاب أمثال "ج. ب.

---

(1) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 88.

(2) المرجع نفسه، ص: 88.

(3) J. loyns : Einführung in die moderne linguistik (übersetzt von W. UNDG. Abraham) München 1980 S. 176.
نقلا عن: محمد أحمد نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص: 14.

(4) روبرت دي بوجراند، المرجع نفسه، ص: 88.

(5) أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرف، القاهرة، ط1، 2001م، ص: 18.

(6) الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م، ص: 14.

(7) المرجع نفسه، ص: 14.

(8) أحمد عفيفي، المرجع نفسه، ص: 19.

براون" **(G. Brow)** و ج. يول، يعتمدان النوع الثاني من تقسيم "ليونز" بقولهما: «سنستعمل مصطلح "الجملة" عامة بمعنى " الجملة النصية" لا بمعنى الجملة "النظامية"»[1]، وهذا في كتابهما تحليل الخطاب.

فالتعريفات السابقة للجملة التي جاء بها النحاة واللغويون العرب والدارسون الغربيون كلها تشترك في اعتبار الجملة محور الدرس اللغوي، والوحدة اللغوية الأساسية المستقلة بذاتها المغنية عن غيرها، فهي دون غيرها الممثل الوحيد للغة.

وقد ظلت ردحا من الزمان باعتبارها موضوعا للدرس اللغوي فبينت مكوناتها ومختلف القواعد التي تحكمها، وعلى ذلك قامت النظريات النحوية والاتجاهات اللسانية المختلفة والمتعاقبة، فالجملة بنية قارة في الكلام، وقرارها هذا جعل النظريات التي اشتغلت بوصفها وتقنينها، متينة متانة نسبية، ونسبيتها متأتية من طبيعة الكلام نفسه[2].

ونتيجة بعض العيوب التي وقع فيها نحو الجملة «كالإصرار على استقلال النحو عن الموقف الاتصالي، وإخضاع الجمل الطويلة المركبة لمجموعة ثابتة من التراكيب اللغوية البسيطة»[3]، بالإضافة إلى حدوث نوع من التطور العلمي في أوربا خلال القرن التاسع عشر، حيث نجد أن الباحثين قد اتجهوا في هذه الفترة إلى دراسة النص الأدبي وضبط قوانينه ضبطا موضوعيا علميا بعيدا عن الذاتية والانطباعية من أجل الوصول إلى نتائج أقرب ما تكون إلى الدقة.

وتطلب هذا الاتجاه الجديد من الدارسين بأن يتجاوزوا حدود الجملة إلى التراكيب أو الوحدات الأكبر من الجملة[4]، وهذا قادهم إلى دكّ الحواجز التي أقيمت بين علم النحو وعلم البلاغة، بل وعلم النقد وعلم الشعر أيضا...إغناء للنظر وإقرارا بأن كثيرا من مسائل التفكير في اللغة

---

(1) براون ويول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، (د.ط)، 1417هـ-1997م، ص: 24.

(2) الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 14.

(3) فولفانج هانيه من وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: صالح فاتح الشايب، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، (د.ط)، 1997م، ص: 18.

(4) على عزت، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، شركة أبو الهول للنشر، القاهرة، ط$_1$، 1996م، ص: 47.

وقضايا التقعيد لاستعمالاتها لا يستقيم إلا بالاحتكام فيها إلى أحوال الكلام بمختلف مظاهره[1]، فحدث بذلك تداخل معرفي بين أكثر من علم قصد الخروج في النهاية بقواعد معرفية تتخذ من النص موضوعا لها دون إهمال الجملة.

وفي هذا الصدد يشير أكثر من باحث إلى أن بداية البحث في النص –بشكل عام- ترجع إلى رسالة "**I. Nye**"، وهي باحثة أمريكية قدمت أطروحتها للدكتوراه سنة (1912م)، والتي بُحث فيها علامات الاكتمال، وهي حجة نمطية في علم لغة النص، والتكرار بناء على أسس نصية، وبوصفها إشارات وأشكال محددة للعلاقات[2].

وقد ظهرت بعد هذه الفترة أيضا بعض النداءات من طرف لغويين عرب للانتقال من دراسة الجملة إلى الفقرة الأدبية، ثم إلى النص بصفة عامة، حيث دعا "أمين الخولي" في أواخر الثلاثينيات من القرن الماضي إلى مجاوزة البحث البلاغي مستوى الجملة إلى الفقرة والنص، حيث قال: «وأما التحلية فبأشياء منها توسعة دائرة البحث، وبسط أفقه، فلا يقتصر على الجمل كما كان في القديم من عمل المدرسة الكلامية، التي لم تأت المدرسة الأدبية بعده بشيء ذي غناء، فإننا اليوم نمد البحث بعد الجملة إلى الفقرة الأدبية، ثم إلى القطعة الكلامية من الشعر أو النثر، ننظر إليها نظرة إلى كل تماسك، وهيكل متواصل الأجزاء ، نقدر تناسقه وجمال أجزائه وحسن ائتلافه، ونتحدث فيما لا بد منه في هذه النظرات إلى شؤون فنية[3]، وهي دعوة جد مهمة وجد قيمة، إذ كانت حَرِيَّة –إذا وجدت من يتابعها من اللسانيين والبلاغيين- أن تحدث ثورة في الدرس اللساني والبلاغي في العربية تنقله من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص، لكن هذه الثورة لم تحدث على أيدي عربية بل حدثت وبدأ ثورانها واتجاهها في الغرب عن طريق "التحول الأساس الذي أخرج اللسانيات نهائيا من مأزق الدراسات البنيوية التركيبية التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية: البنيوي، الدلالي، والتداولي"[4]، وذلك حين نشر "زليغ هاريس" بحثا بعنوان "تحليل الخطاب" ***(Discoure analysis)***

---

[1] الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 05.

[2] أنظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية لونجمان، الجيزة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1997م، ص: 18-290.

[3] أمين الخولي، فن القول، ص: 187. نقلا عن: جميل عبد الحميد، بلاغة النص، دار غريب، القاهرة، (د.ط)، 1999م، ص:13.

[4] خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، حيدرة، الجزائر،(د.ط)، 2000م، ص: 167.

عام 1952، إذ أنه بهذه الدراسة «لم يكن أول لساني حديث يعتبر الخطاب موضوعا شرعيا للدرس اللساني فحسب، بل إنه جاوز ذلك إلى تحقيق قضاياه التي ضمنها برامجه بتقديم أول تحليل منـــهجي لنصوص بعينها، وقد خرج بذلك على تقليد أرساه "**بلومفيلد**" يقضي بأن التعبير اللغـــوي المـــستقل بالإفادة أو الجمل هو مادة اللساني، أما النص فليس إلا مظهرا من مظاهر الاستعمال اللغوي غير قابل للتحديد»[1].

وفي هذا الصدد يقول "هاريس" ***(Harris)***: إن «اللغة لا تأتي على شكل كلمـــات أو جمـــل مفردة، بل في نص متماسك»[2]، فحاول بذلك الوصول إلى وصف بنيوي للنصوص لا يفقد عنـــد حدود الجملة، ولكي يتحقق هذا الهدف، رأى "هاريس" أنه لا بد من تجاوز مشكلتين وقعت فيهما الدراسات اللغوية (الوصفية والسلوكية)، وهما :

الأولى: قصر الدراسات على الجملة والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة.

الثانية: الفصل بين اللغة والموقف الاجتماعي.

فهو اعتمد في منهجه في تحليل الخطاب على ركيزتين:

- علاقات توزيعية بين الجمل.
- الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي[3].

وبعد هذه الفترة تنبه بعض اللسانيين إلى المشكلة التي طرحها "هاريس" خصوصا فيما يتعلـــق بالعلاقات التوزيعية بين الجمل ومشكلة الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي والتي في مجملها تنـــادي بضرورة مجاوزة محور الجملة في الدراسات اللسانية إلى النص.

وقد عرف هذا الاتجاه بـــ "لسانيات النص" وهو الاتجاه الذي يتخذ الـــنص كلـــه وحـــدة للتحليل. وبهذا أحدثت أكبر نقلة في اللسانيات، نقلة أبسط ما يقال عنها أنها كشفت عـــن ضـــيق شديد في الدراسات التي اعتمدت على الجملة، واعتبرتها الوحدة اللغوية الكبرى خاصة في الدراسات

---

(1) سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص: 18-19.

(2) فولفجانج هانيه منه و ديتر فيهيفجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص: 21.

(3) جميل عبد الحميد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)، 1998م، ص: 65.

الأدبية. وهذا ليس نبذا للنموذج القديم وإحلال آخر جديد[1]، بل الانتقال من الدرس القديم للوصول إلى موضوعنا اللساني الحديث –لسانيات النص– فهذا الأخير تكملة واستمرار للأول.

ولقد أخذت ملامح هذا العلم تتبلور منذ الستينيات تقريبا، وازدادت وضوحا خلال السبعينيات من القرن الماضي، فقد استطاع "دي بوجراند" أن يستعرض المسار التاريخي للسانيات النص في هذه الفترة وقبلها حيث قسمها إلى ثلاث مراحل يقول: «ففي المرحلة الأولى التي استمرت حتى آخر الستينيات، لا نجد غير إشارات تلمح إلى أنه ينبغي للنص أو الخطاب أن يكون أساسا للدراسات اللسانية، مثلا: "انجاردن" 1939، و"هيلمسليف" 1943 و"هاريس" 1952...و"هارتمان" 1964»[2]، و"فيانرش" 1966 الذي حرص على أن يقدم نهجا جديدا في معالجة النص[3]. وعُدّ منهج تجزئة النص منهجا بديلا للمنهج المعروف والمستخدم باستمرار في كل مراحل الدراسة اللغوية في تحليل الجملة[4].

لكن هذه الآراء لم تؤثر في مسيرة اللسانيات المألوفة، لأن أصحاب المناهج المتداولة اتجهوا اتجاها معاكسا ...ذلك أن الانهماك في النظر إلى الوحدات الصغرى والجمل المفردة[5]، لم يتح الفرصة للاهتمام مباشرة بدراسة النص الكامل.

وفي المرحلة الثانية 1968 تلاقت آراء طائفة من اللسانيين الذين استقل بعضهم عن بعض في الغالب حول فكرة "لسانيات ما وراء الجملة"[6]، منهم على سبيل المثال:

- "إيزنبرغ ***Isenperg***" الذي اعتنى بالبحث في العوامل المتحكمة في اختيارات صاحب النص، وفي أبرزها تلك العوامل –في نظره– المجاورة التي تضم مجموعة من الأدوات التي تنظم علاقات الجمل

[1] فولفجانج هانيه منه وديتر فيهيفجر، مدخل إلى علم لغة النص، ص: 19.

[2] روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 65.

[3] سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص: 191.

[4] المرجع نفسه، ص: 194.

[5] روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 65.

[6] المرجع نفسه65.

بعضها ببعض كالضمائر وحروف التعريف...والاقتران بعلائق سببية أو فائية أو أي علاقات أخرى[1].

- "وهارفيج ***Harveg***" الذي قدم نموذج استبدال، تتحرك فيه عناصر الاستبدال على المستوى الأفقي وغلب عليه إدراك النص إدراكا وظيفيا، ثم أدخل فيما بعد جوانب نصية كبرى للوصول إلى العلاقات الدلالية – التداولية[2]، والتي تشكل بناء النص.

و**"فان دايك"** الذي قدم عدة نماذج نصية، ونظرات مختلفة حول دراسة النص ووصفها وتفسيرها، وقد اعتمد في نماذجه على عناصر لغوية، فأدخل فيها مكونات نفسية ومنطقية- دلالية، واتصالية- تداولية إلى جانب المكونات التحويلية والدلالية-التداولية[3]، وقد حاول "فان دايك" مرارا تعديل نماذجه قصد استيعاب عدد أكبر من النصوص.

وفي العموم فقد نركز الانتباه في هذه المرحلة على موضوعات كان الكلام عنها ممكنا بواسطة مفردات من لسانيات الجملة، لكن دون الوصول إلى حلول مقنعة، وكان الاتجاه السائد كما يقول "دي بوجراند": «هو النظر إلى النص من حيث هو جمل متوالية»[4]، ولم توضح لنا هذه المرحلة إلا جزءا يسيرا من مجموعة المميزات المهمة للنص.

وكانت سنة 1972 بشيرا بمرحلة جديدة من البحث في اتجاه نظريات بديلة مما سبقها في حقل اللسانيات[5]، أكثر مما هي مراجعة للقديم.

وجاءت الدراسات الجديدة نقدا لأسس الدراسات النحوية المبنية على الجملة، فأدت إلى مقترحات بأفكار جديدة جاء بها "بيتوفي ***Petovi***"[6]، الذي قدم محاولات جدّية وثرية، ولها سمات خاصة، وقد اتسمت نظريته بالتوسع والتي استقرأ عناصرها من المنطق والنحو التحويلي ومكونات

---

(1) إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 1426هـ- 2007م، ص: 187.

(2) سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص: 94.

(3) المرجع نفسه، ص:94.

(4) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء ، ص: 65-66.

(5) المرجع نفسه، ص : 66.

(6) المرجع نفسه، ص : 67.

أخرى دلالية وتداولية[1]، والتي انتقل بها من محورية الجملة في الدراسة إلى اعتماد الـــنص، وكانـــت محاولاته قفزة هامة للتحول للسانيات النصية.

وفي هذه المرحلة ظهر أيضا "دريسلر" 1973 و"شميدت" 1973 و"هارتمان" 1975 دون أن ننسى العمل الكبير الذي قام به "هاليدي ***Haliday***" ورقية حسن ســـنة 1973 والموســـوم بــــ "الاتساق في الانجليزية" ***"Cohésion in english"*** والذي يعد بحق إحدى الدراسات المهمة والعظيمة التي حددت المعالم الأساسية للسانيات النص.

فهذه هي المراحل الثلاث الهامة حتى السبعينيات من القرن الماضي التي ذكرها "دي بوجراند" لتطور لسانيات النص للوصول إلى تشكلها، على الرغم من أن هذا العلم لم يكتمل بعـــد اكتمـــالا تتضح فيه معالمه الأساسية وتتوحد فيه مصطلحاته الرئيسية إذ لا تزال إلى حد الآن تتقاطع مصطلحاته مع مصطلحات علوم أخرى خصوصا منها اللغوية، وهذا ربما لكونه أحدث فروع علم اللغة والذي يتميز عنها من جهة النشأة والتطور، حيث إنه لم يرتبط كما يذهب إلى ذلك مؤرخو هذا العلم ببلد معين أو بمدرسة بعينها أو باتجاه محدد[2]، هذا على عكس معظم العلوم الأخرى التي لم تتسم بهـــذه الميزة في الغالب.

فهذا العلم يتقدم الآن يوما بعد يوم وصار يدرس في جميع أنحاء العالم ، وهذا ما هو واضـــح في كليات الجامعات العالمية، وفي كل يوم تظهر لنا إسهامات جديدة تضاف إلى الدراسات السابقة، وظهر في العالم العربي كغيره من مناطق العالم باحثون ومهتمون بهذا المجال المعـــرفي الجديـــد أمثـــال "صلاح فضل" و"سعيد حسن البحيري" و"أحمد عفيفي" و"إبراهيم خليل" وغيرهم، كلـــهم يـــرون ضرورة تجاوز دراسة الجملة إلى النص دون إهمال الأولى التي تعد النواة الحقيقية للنص.

---

(1) سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص: 95-96.

(2) المرجع نفسه، ص: 01.

II- مفهـــوم النـــص:

لابد لدراسة أي موضوع أن نضبط مجاله الذي يدور فيه، والمفاهيم والمصطلحات التي يعتمد عليها، فيتعين بذلك موقعه من الاختصاصات المختلفة والمتنوعة والمتداخلة ويتمكن بذلك المتقبل من الولوج للمفاتيح القائمة على تلك المفاهيم، وتعتبر هذه العملية ضرورة ابـــستمولوجية، وبـــذلك لا يستقيم الحديث عن الاتساق والانسجام وما اتصل بهذين المفهومين من آليات وأدوات دون الإشارة إلى أننا نتحدث عنها في إطار النص الذي يعتبر الوحدة الأساسية للتحليل في دراســـات لـــسانيات النص، «ومن الملاحظ بوجه عام أن هذا الاتجاه -لسانيات النص- قد أثار نقدا شديدا وخلافا كبيرا بين الدارسين حول حدود النص وتصوراته وعلاقاته، ويرون أنه لا توجد مصاعب تواجه علما مـــن العلوم مثلما هي الحال بالنسبة لهذا العلم، حيث إنه حتى الآن، وبعد مرور ما يربو عن ثلاثة عقـــود على نشأته الفعلية لم يتحد بدرجة كافية، بل إنه مسمى لاتجاهات وتصورات غاية في التباين وفروع علمية غاية في الاختلاف، ونتيجة لذلك فإنه لا يسود حول مقولاته وتصوراته ونظرياته الأساسية أي اتفاق بين الباحثين إلا بقدر ضئيل للغاية، رغم الجهود المضنية التي بذلها أعلامه لوضع حدود واضحة بينه وبين العلوم الأخرى[1]، و لم يكن بذلك حظ مصطلح "نص" أسعد حالا من مصطلح "جملـــة" فثمة اختلاف شديد...في تعريف النص إلى درجة التناقض أحيانا والإبهام أحيانا أخرى[2]،حيث كما سنرى لاحقا لا يوجد تعريف واضح ومتفق عليه من قبل الباحثين في مجال لسانيات النص بـــشكل مطلق.

وجدير بالذكر أن الاختلاف في التعريف بمصطلح النص ليس بدعا في الدراسات اللغوية، بل في العديد من العلوم، خاصة في بداية نشأتها، وهذا أمر طبيعي، أمر عدم الاستقرار علـــى التعريـــف بالمصطلحات، وطبيعة العلوم وأهدافها...وغيرها من الجوانب المتعلقة بكـــل علـــم[3]، و لم يكتـــف مصطلح النص على دلالاته المعجمية، واكتسب دلالات أخرى جديدة، ولذلك كان مـــن الـــلازم التعريج على المفهوم المعجمي وكذلك الاصطلاحي للنص حتى تتحدد لنا الدراسة التي نحن بصددها، فاضطررنا بذلك إلى الوقوف أمام زخم هائل من التعاريف سواء في المعجم منها أو الاصـــطلاح

---

(1) سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص: 105.

(2) المرجع نفسه، ص: 101.

(3) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النص، ج1، ص: 227.

التي تستند في معظمها إلى وجهات نظر خاصة، ومنطلقات ومرجعيات مختلفة، إذ يقول أحد الباحثين في هذا الصدد: «وتأتي صعوبة القبض على النص وتحديد ماهيته وأبعاده من تعدد الرؤى، ولكونه فضاء لأبعاد متعددة ومتنازعة، إضافة إلى كونه شحنة انفعالية، تحكمها قواعد لغوية ومعايير أخلاقية وقيم حضارية وخصائص اجتماعية»[1]، ورغم الاختلاف في الرؤى وتعدد مفاهيم النص إلا أنني سأعمل جاهدا في رصد ما تشترك فيه تلك المفاهيم من الناحية اللغوية والاصطلاحية في تحديد ماهية "النص".

1- المفهوم اللغوي:

لقد تعددت المعاني اللغوية لمادة (ن.ص.ص)، حيث إذا عدنا إلى المعاجم اللغوية فإننا نجد لمادة (ن.ص.ص) عدة معاني، يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ)في كتابه العين: «نصصت الحديث إلى فلان نصا، أي رفعته، قال طرف بن العبد:

ونصَّ الحديثَ إلى أهله فإن الوثيقة في نصّه

والمنصة التي تقعد عليها العروس ونصصت الرجل أي استقصيت مسألته عن الشيء، يقال نص ما عنده أي استقصاه، وأنصصته استمعت له ومنه قوله سبحانه وتعالى:"**وأنصتوا**"الأعراف 204.

وفي حديث-منسوب لعلي رضي الله عنه-" إذا بلغ النساء نص الحقاق فالعَصَبَة أولى": أي إذا بلغت غاية الصغر إلى أن تدخل في الكبر، فالعصبة أولى بها من الأم ، يريد بذلك الإدراك والغاية»[2].

ولقد جاء في لسان العرب لابن منظور: النص: رفعك الشيء، نص الحديث ينصُّه نصًّا: رفَعه، وكل ما أظهر فقد نُصَّ، وقال "عمرو بن دينار": ما رأيت رجلا أنَصَّ للحديث من الزهري أي أرفَع له وأسنَد،يقال نص الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نصصتُه إليه، ونصت الظبية جيدها أي رفعته.

---

(1) السعيد بوسقطة، مجلة التواصل، شعرية النص بين جدلية المبدع والمتلقي، مجلة علمية محكمة، جامعة عنابة.

(2) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة هلال (د.ط) (د.س)، ج7، ص: 86-87.

ووضع على المنصة أي غاية الفضيحة والشهرة والظهور ونص المتاع نصا: جعل بعضه على بعض[1]، وقد جاء في معلقة امرئ القيس قوله: (الطويل)

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذ هي نصته، ولا بمعطل[2]

وقد جاء في مختار الصحاح في مادة (ن.ص.ص) ما يلي: نصّ الشيء: رفعه وبابه ردَّ ومنه منصة العروس، ونصّ الحديث إلى فلان رفعه إليه ونصُّ كل شيء منتهاه[3].

ومن العجيب أنه ليس هناك اختلاف يذكر في معنى "نص" بين هذه المعاجم العربية القديمة، فما نجده عند الخليل بن أحمد نجده عند ابن منظور ونجده كذلك عند محمد بن أبي بكر الرازي.

ومما يلاحظ على المعاني اللغوية لمادة (ن.ص.ص) في هذه المعاجم أنها متعددة وتدل إما على:

- الرفع بنوعيه الحسي والمعنوي.
- أقصى الشيء وغايته.
- ضم الشيء إلى الشيء.
- الإظهار.

أما المعنى الشائع والمستقر بين متكلمي اللغة العربية المعاصرة، فهو صيغة الكلام الأصلية التي وردت في المعاجم الحديثة مثل المعجم الوسيط والمنجد، إذ جاء في الأول على أنه: «صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف...أو ما لا يحتمل إلا معنى واحد أو لا يحتمل التأويل، ومنه قوله: «لا اجتهاد ما النص»[4].

وتم تعريفه في المنجد على أنه: «النص ج نصوص الكلام المنصوص، والنص من الكلام هو ما لا يحتمل إلا معنى واحد أو لا يحتمل التأويل»[5].

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، الدار المتوسطة للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1426-2005، ج4، ص: 3930.

(2) مفيد قميحة، المعلقات العشر، شرح ودراسة وتحليل، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط5، 2002، ص: 68.

(3) محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، (د.ط) 1993، ص: 276.

(4) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 1426-2005، ص: 926.

(5) كرم البستاني وآخرون، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط39، 2002، مادة "ن. ص. ص"، ص: 810.

أما النص في المعجم الفرنسي ***(Texte)*** فهو مأخوذ من مادة ***(Textus)*** اللاتينية التي تعني النسيج، كما تطلق كلمة ***(Texte)*** على الكتاب المقدس أو كتاب القداس...كما تعني منذ العصر الإمبراطوري ترابط حكاية أو نص...والنص منظومة عناصر من اللغة أو العلاقات، وهي تشكل مادة مكتوبة أو إنتاجا شفهيا أو كتابيا[1]، فالملاحظ من مادة ***(Texte)*** أن معناها الأول كان يطلق على النسيج المادي الصناعي ثم انتقل إلى النص لأن النص نسيج من الكلمات يرتبط بعضا ببعض، وهذا الربط الذي يحدث في النص هو بمثابة خيوط النسيج تربط أول النص بآخره فتجمع بذلك عناصره المختلفة والمتباعدة لتكون بذلك وحدة متكاملة، ويفترض هذا أنه إذا لم تكن هذه الألفاظ والجمل نسيجا محكمة الترابط لم يعد هذا نصا.

ويحاول بعض الباحثين التقريب بين أصل كلمة "النص" في اللغة العربية وفي بعض اللغات الأخرى كالفرنسية ***(Texte)*** والانجليزية ***(Text)*** والاسبانية ***(Texto)*** والروسية ***(Tekta)*** والأصل لهذه الكلمة في كل هذه اللغات هي ***(Textux)***، والتي يعود أصل كلمة النص فيها إلى النسيج كما سبق ، حيث ذهب محمد الهادي الطرابلسي: إلى أن معنى النسيج يتوفر في المصطلح الأعجمي المقابل لمصطلح "نص **Texte**" على أن هذا المعنى ليس غريبا عن تصور العرب للنص، فقد تبين لنا أن الكلام عند العرب، يكون نصا، إذا كان نسيجا، والنسيج في بعض الأحيان يلتقيان، ففي اللسان (مادتا ن. ص. ص و ن. س. ج) «النص جعل المتاع بعضه على بعض» «والنسيج ضم الشيء إلى الشيء فالأول تركيب والثاني ضم، والتركيب والضم واحد»[2].

ويذهب الأزهر الزناد إلى أنه «يتوفر في مصطلح "نص" في العربية وكذالك في مقابله في اللغات الأعجمية **Texte** معنى "النسيج". فالنص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح "نص"»[3].

---

(1) Robert Micro, Alain Roy et autres, dictionnaire le Robert, Paris-Montréal Canada, 2éme édition, 1998, P 1321.

(2) الأزهر الزناد، نسيج النص، ص:6.

(3) المرجع نفسه، ص : 12.

فمما هو ملاحظ أن المعنى المعجمي لمصطلح النص في اللغة العربية وفي اللاتينية يقترب بعضه من بعض ويكاد يكون تعريفا واحدا، إلا أنه في التعريف اللاتيني أقرب من التماسك النصي الذي تنادي به لسانيات النص.

2- النص اصطلاحا:

لقد تعددت تعريفات النص الاصطلاحية، وتنوعت بتنوع التخصصات المعرفية، وبتعدد الاتجاهات والنظريات والمدارس اللسانية ، هذا ما أدى بالباحثين إلى التباين في إمكانية وضع مفهوم للنص يجتمعون عليه، لأن لكل باحث تصوره وخلفياته المعرفية التي تنير فكره وترسم طريقه ورغم هذا فإنه لا بد لنا من أن نتطرق إلى بعض تعريفاته قصد تقريب مفهومه إلى الأذهان محاولين تقديم أهمها، مما جاء به بعض الدارسين سواء العرب منهم أو الغربيين حيث كما سنرى هذا الاختلاف الكبير بين الباحثين في تعريف مصطلح النص إلى درجة عدم الاتفاق حول تعريف معين، بل التناقض أحيانا.

أ- مفهوم النص في الدراسات اللغوية العربية:

فمما جاء في الدراسات العربية الحديثة التعريف الذي قال به **عبد الرحمان طه** بأنه –النص- «كل بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات»[1]، ويعتبر هذا التعريف من أهم التعريفات العربية المعاصرة للنص، وقد جاء هذا الأخير على أساس منطقي، يُظهر فيه صاحبه بأنه عبارة عن جمل مترابطة داخل بناء بعلاقات معينة.

ويذهب **نور الدين السد** في كتابه الأسلوبية وتحليل الخطاب إلى أن النص ليس «مجموعة جمل فقط، لأن النص يمكن أن يكون منطوقا أو مكتوبا نثرا أو شعرا، حوارا أو مونولوجا، يمكن أن يكون أي شيء من مثل واحد حتى مسرحية بأكملها من نداء استغاثة حتى مجموعة مناقشة الحاصلة طوال يوم في لقاء هيئة»[2].

---

(1) طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص: 35.

(2) نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 1417-1997، ج2، ص: 69.

ثم يذهب بعد ذلك إلى أن النصية هي التي تميز النص من اللانص، فيقول: «النصية تحقق للنص وحدته الشاملة، ولكي تكون لأي نص نصيته ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية، بحيث تسهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة»(1).

فقد انطلق السد في تعريفه للنص من رؤية لسانية تصنف النص تصنيفا نوعيا من خلال تحقق وحدة النص الشاملة من عدم تحققها، ويرجع تحقق هذه الوحدة النصية إلى مجموعة من الوسائل اللغوية والتي يأتي على رأسها كما يذكر السد الاتساق الذي يعد المقوم الأساسي في الحكم على نصية أي نص فيقول : «فإذا توافرت وسائل الاتساق كان المقطع اللغوي كلا موحدا، وإذا افتقد إلى الخصائص التي تميزه، والوسائل التي تجعل منه متسقا موحدا وجمله غير مترابطة، فقد مقومات وجوده» (2)، وقد وضع –السد– مخططا بيانيا يوضح فيه الفرق بين الظاهرتين : (النص واللانص) :

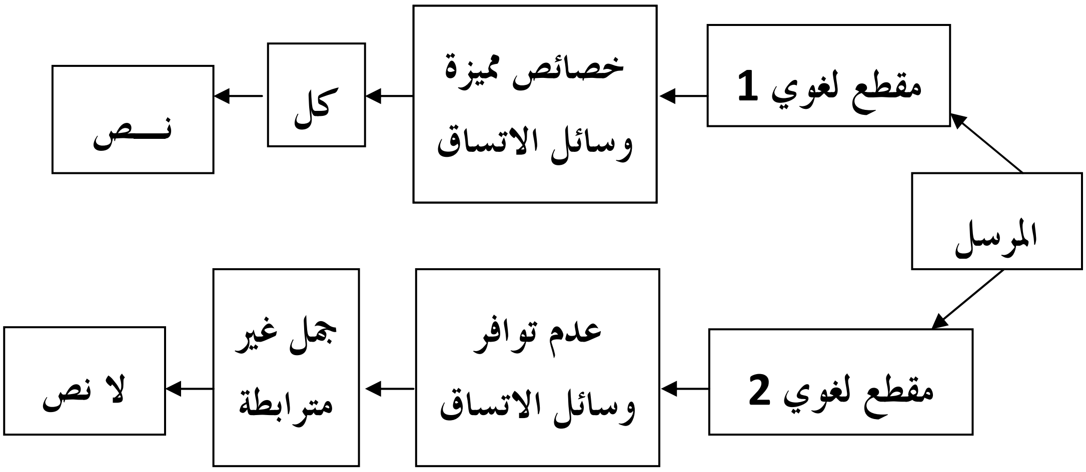

ولتوضيح ما سبق ذكره يضرب السد المثال التالي قصد بيان نصية نص ما: «اقطف قليلا من الزهور، ضعها في مزهرية قاعة الاستقبال»، غني عن البيان أن الضمير "ها" في الجملة الثانية يحيل قبليا إلى الزهور في الجملة الأولى، وما جعل الجملتين متسقتين هو وظيفة الإحالة القبلية للضمير "ها"، وبناءا على ذلك فإن الجملتين تشكلان نصا(3).

---

(1) نور الدين السد،المرجع السابق، ص: 69.
(2) المرجع نفسه، ص: 69.
(3) المرجع نفسه، ص: 70.

أما مفهوم النص عند **عبد الملك مرتاض**: فإنه من حيث الشكل لا يحدد مرتاض النص من خلال كمه أي من خلال الجملة أو مجموعة الجمل داخل النص، فهو يرى أن النص «لا ينبغي أن يحدد بمفهوم الجملة، ولا بمفهوم الفقرة التي هي وحدة كبرى لمجموعة من الجمل، فقد يتصادف أن تكون جملة واحدة من الكلام نصا قائما بذاته مستقلا بنفسه، وذلك ممكن الحدوث في التقاليد الأدبية كالأمثال الشعبية والألغاز والحكم السائرة والأحاديث النبوية التي تجري مجرى الأحكام وهلم جرا»[1].

أما النص من حيث دلالته، فهو شبكة معطيات، ألسنة وبنيوية، وأيديولوجية كلها تسهم في إخراج النص إلى حيز الفعل والتأثير؛ وهنا يستند مرتاض على نظرية القراءة في تحديد مفهوم النص الأدبي، «فالنص قائم على التجديدية بحكم مقروئيته، وقائم على التعددية بحكم خصوصية عطائيته تبعا لكل حالة يتعرض لها في مجهر القراءة، فالنص من حيث هو ذو قابلية للعطاء المتجدد المتعدد بتعدد تعرضه للقراءة، ولعل هذا ما تطلق عليه "جوليا كريستيفا" (إنتاجية النص) حيث إنه يتخذ من اللغة مجالا للنشاط فتراه يتردد إلى ما يسبق هذه اللغة محدثا بعدا بين لغة الاستعمال اليومية —وهي اللغة المسخرة لتقديم الأشياء والتفاهم بين الناس– والحجم الشاعر للفعاليات الدالة؛ فتنشط اللغة التي هي الأصل الأدبي في كل مرحلة نشاط هذه اللغة التي هي أصل النص في كل مراحله ومظاهره»[2].

ويعرف النص الأدبي أيضا بأنه: «عالم ضخم متشعب متشابك معقد، ورسالته مبدعة تنتهي لدى الفراغ من تدبيجه، فهو لا يرافقه إلا في لحظة المخاض، أو لحظة الصفر كما يطلق عليها "رولان بارط"»[3].

وإذا تأملت من خلال هذا التعريف الذي قدمه مرتاض للنص الأدبي، وألمحت النظر إلى بعض الكتب التي تتمحور دراستها حول لسانيات النص نجد أنه قد أحسن في تعريفه هذا ووضع مصطلح "عالم" كون كتب لسانيات النص تضع المصطلح القريب منه والمتمثل في "عالم النص".

---

(1) عبد الملك مرتاض، في نظرية النص الأدبي، المجاهد (الأسبوعي الجزائرية) عدد 1424 ص: 57. نقلا عن: رابطة أدباء الشام: www.odabasham.net .

(2) عبد المالك مرتاض، المرجع نفسه، ص: 57.

(3) عبد الملك مرتاض، النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 1983، ص: 42.

ويذهب **صبحي إبراهيم الفقي** في كتابه علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق إلى تبنى تعريف "روبرت دي بوجراند"، ويعتبره من التعريفات الجامعة والذي يرى النص «أنه حدث تواصلي يلزم لكونه نصا أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير:

1- السبك أو الربط النحوي ***(Cohesion).***

2- الحبك ***(Coherence)*** أو التماسك الدلالي، وترجمها تمام حسان بالالتحام.

3- القصد ***(Intentionality)*** وهو الهدف من إنشاء النص.

4- القبول أو المقبولية ***(Acceptability)*** وتتعلق بموقف المتلقي من قبول النص.

5- الإخبارية أو الإعلام ***(Informativity)*** أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمه.

6- المقامية ***(Situationality)*** وتتعلق بمناسبة النص للموقف.

7- التناص ***(Intertextuality)*** »[1].

وما هو واضح من هذا التعريف الذي يتبناه صبحي إبراهيم الفقي أنه تعريف شامل لا يلغي أحد أطراف الحديث الكلامي في التحليل، حيث أنه جمع بين المرسل للرسالة ومتلقيها وكذلك السياق بالإضافة إلى أدوات الربط اللغوية، حيث كل هذه العناصر النصية كانت محل اهتمام في التحليل النصي لديه، ومما هو ملاحظ عليه أنه لا يعطي عنصرا اهتماما أكثر على حساب العناصر الأخرى بل يساوي بين كافة عناصر التحليل النصي.

ب- النص في الدراسات الغربية:

يختلف مفهوم النص عند الباحثين واللسانيين في الغرب شأنه في ذلك شأن الاختلاف الموجود عند العرب.

---

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص: 33-34.

وهي كثيرة ومن التعريفات ذات الاتجاه البنيوي أن النص عبارة عن «بناء لمعنى مأخوذ من معجم ليس لمفرداته معان خارج البناء الذي يضمنها»[1]، وهذا التعريف منقول عن "**بيرمان آرت**".

وتحدد **جوليا كريستيفا** النص على أنه: «جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملحوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه، فالنص إذن إنتاجية، وهو ما يعني:

أ- أن العلاقة باللسان الذي يتموقع داخله هي علاقة إعادة توزيع (صادمة بناءة)؛ ولذلك فهو قابل للتناول عبر المقولات المنطقية لا عبر المقولات اللسانية الخالصة.

ب- أنه ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملحوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى»[2].

يبدو واضحا أن كريتسيفا تنطلق من مفهوم التناص في تحديد مفهوم النص، أي ينظر إلى النص من حيث إنتاجه كنص يتعالق مع نصوص أخرى.

أما عند الرجوع إلى المنطلقات اللسانية في تعريف النص خصوصا تلك التي تأخذ من لسانيات النص منهجا في تعريفاها، فنجد: **كلاوس برينكر**: يذهب إلى أن النص :«تتابع متماسك من علامات لغوية، أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل تحت أية وحدة لغوية أخرى أشمل»[3]، فهو يرى في تعريفه هذا أن النص وحدة لغوية كبرى يتكون من وحدات صغرى متماسكة بعضها ببعض، في إشارة إلى عملية التماسك النصي من خلال التعالق بين الأجزاء المتوالية.

ويرى برينكر أن تعريفات النص المختلفة قد انطلقت من اتجاهين:

الاتجاه الأول: يقوم على أساس النظام اللغوي، وقد اعتمدت معظم التعريفات فيه إلى حد بعيد على تحديدات علم لغة الجملة ذات الأصل البنيوي أو التوليدي-التحويلي، حيث يظهر النص كتتابع متماسك من الجمل.

---

(1) عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1418-1998، ص: 160.

(2) جوليا كريستسفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط2، 1997، ص: 21.

(3) أحمد عفيفي، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001، ص: 28.

والاتجاه الثاني: يقوم على أساس نظرية التواصل، فيعرف النص بوصفه فعلا لغويا معقدا يحاول المتكلم به أو كاتبه أن ينشئ علاقة تواصلية معينة مع السامع والقارئ. وترتكز في ذلك على نظرة الفعل الكلامي المتطورة داخل الفلسفة اللغوية الانجلوسكسونية[1].

واقترح برينكر في نهاية عرضه للاتجاهين مفهوما يجمع ويدمج الجانبين اللغوي البنيوي والتواصلي السياقي، فيعرف النص على أنه «وحدة لغوية تواصلية في الوقت نفسه»[2].

أما هاليداي ***Halliday*** ورقية حسن ***Roqaiya Hassan*** فقد أشارا إلى أن: «كلمة نص تستخدم في علم اللغويات لتشير إلى أي فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طرحها، شريطة أن تكون وحدة متكاملة»[3]، وظاهر هذا التعريف أن النص يشمل المنطوق والمكتوب سواء طال حجمه أو قصر.

ويذهب هارفج ***R.Harwg*** إلى أن النص عبارة عن «ترابط مستمر للاستدلالات السنتجميمية التي تظهر الترابط النحوي في النص»[4].

وهناك من ينظر إلى النص على أنه كم أو مجموعات من الإشارات التواصلية، التي تحقق العملية التواصلية بين منشئ النص ومتلقيه ولعل تعريف **شميث** ***S.J.Schmdt*** للنص يؤكد هذا المفهوم حيث يقول: النص «جزء حدد موضوعيا (محوريا) من خلال حدث اتصالي ذي وظيفة اتصالية(إنجازية)» [5]، فهو هنا اشترط وحدة الموضوع الذي يتمحور حوله النص، وأيضا وحدة مقصده، ويكون قد تشكل لأداء هدف معين، وهناك تعريفات كثيرة لم تذكر واقتصرت على بعضها خشية الإطالة.

---

(1) كلاوس برينكر، التحليل اللغوي النصي، تر: سعيد حسن بحتري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 1425-2005، ص: 22-26.

(2) المرجع نفسه، ص: 28.

(3) أحمد عفيفي، نحو النص، ص: 22.

(4) سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص: 108

(5) المرجع نفسه، ص: 108

III- مفهوم لسانيات النص:

لسانيات النص: هي فرع علمي بكر وحقل جديد بين الحقول المعرفية الأخرى، تشكل تدريجيا مع نهاية الستينيات وبداية السبعينيات، حتى غدا رافدا على ساحة الدراسات اللسانية المعاصرة، وقد جاء ليكون بديلا لمناهج لسانيات سبقته فيكمل ما عجزت عنه، وينتقل بالدراسة اللسانية من محورية الجملة في الدراسة إلى النص، أي من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص لتجعل بذلك من النص الوحدة اللغوية الكبرى الأكثر استقلالية.

وفي الحقيقة لا يوجد خلاف حول المفهوم بالصورة نفسها التي وجدت في تعريفات مصطلح "النص"، حيث أن مصطلح لسانيات النص واحدة من المصطلحات التي حددت لنفسها هدفا واحدا وهو الوصف والدراسة اللغوية للأبنية النصية، وتحليل المظاهر المتنوعة الأشكال لتواصل النصي[1]، إذ نجد من تعريفه أنه: «فرع من فروع علم اللغة يدرس النصوص المنطوقة والمكتوبة...وهذه الدراسة تؤكد الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النص، وترتبط فيما بينها لتخبر عن الكل المفيد»[2]، ومن ثم فإن كثيرا من الظواهر تعالج في إطار الوحدة الكبرى للتحليل.

وقد استطاع هذا العلم أن يجمع بين عناصر لغوية وغير لغوية لتفسير الخطاب أو النص تفسيرا إبداعيا[3]، إذ تتمثل مهمة لسانيات النص في وصف العلاقات الداخلية الأفقية منها والعمودية، وكذا العلاقات الخارجية للأبنية النصية، بمستوياتها المختلفة وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل واستخدام اللغة.

ويعرف **سعيد حسن بحيري** لسانيات النص أو نحو النص فيقول: «نحو النص يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل، ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية، ويحاول أن يقدم سياقات كلية دقيقة للأبنية النصية وقواعد ترابطها وبعبارة موجزة قد حددت للنص مهام بعينها لا يكمن أن ينجزها بدقة إذا التزم حد الجملة»[4].

---

(1) أحمد عفيفي، نحو النص، ص: 31.

(2) Jack Richards, et al, Longman dictionary of applied linguistic, P 229.

نقلا عن صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص: 35.

(3) سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ج1، ص 99.

(4) المرجع نفسه، ص: 134-135.

ومما يستنتج من هذا التعريف أن لسانيات النص لها قواعدها التي لم توجد في علوم سابقة لها. بل قواعد وضعت خصيصا لها باعتبارها علما جديدا من أجل تشكيل نص باعتباره الوحدة الكلية الكبرى للتحليل.

وبعد ذلك بين لنا بحيري أنواع الظواهر التركيبية الموجودة في لسانيات النص بقوله: « لقد عني علم اللغة النصي في دراسته نحو النص بظواهر تركيبية نصية مختلفة، منها: علاقات التماسك النحوي النصي، وأبنية التطابق والتقابل، والتراكيب المحورية، والتراكيب المجتزأة وحالات الحذف، والجمل المفسرة، والتحويل إلى ضمير، والتنويعات التركيبية وتوزيعاتها في نصوص فردية، وغيرها من الظواهر، التي لا يمكن تفسيرها تفسيرا كاملا دقيقا إلا من خلال وحدة النص الكلية»[1].

من هنا، وحسب منظور سعيد حسن بحيري فإن هدف لسانيات النص هو وصف كيفية تماسك النصوص، وكيف أن هذه الأخيرة –النصوص– تؤدي أغراضا معينة في مقامات تبليغية محددة.

وعلى الرغم من أن تعريفات لسانيات النص لا يوجد خلاف حولها بالدرجة التي يحدث فيها التباين إلا أن الاختلاف الموجود هو حول المصطلح في حد ذاته إذ لم يلق التوحيد من جانبين؛ سواء عند منظريه أو عند المترجمين.

حيث نجد **درسلر** ***(W. Diressler)*** يستخدم علم دلالة النص، وعلم نحو النص، والتداولية النصية، في حين نجد **هارفيج** يستخدم ***"Textologie"*** للدلالة على هذا الاتجاه اللغوي، وهو مصطلح أكثر قبولا عند **سعيد حسن بحيري**، بينما يرى سوينسكي ***(Swiniskie)*** أن المصطلح الأنسب والذي يعتبره جامعا لكل البحوث التي لها علاقة بالنص داخل علم اللغة، هو مصطلح لسانيات النص ***"Text linguistic"*** .

أما عند المترجمين والدارسين العرب فقد استعمل **علي خليل محمد** و**سعيد حسن بحيري وإلهام أبو غزالة** "علم النص" واستعمل **صبحي إبراهيم الفقي** و**فالح بن شبيب** مصطلح "علم اللغة النصي" واستعمل **صلاح فضل** و**جميل عبد المجيد** " علم النص" وهو نفسه الذي استعملته **جوليا كريستيفا**، وعلم النص أشمل من لسانيات النص وعلم لغة النص ونحو النص، لأنه لا يقتصر على نوع واحد من التحليل بل يتجاوزه إلى أشكال أخرى من النصوص (اعلانات، المقال الصحفي والإشهار) وكل

---

(1) سعيد حسن بحيري، المرجع السابق، ص: 135.

منتوج ثقافي يتشكل في هيئة نص، بينما استعمل **إبراهيم خليل** و**أحمد عفيفي** مصطلح "نحو النص" وذلك لأن التحليل اللغوي اتجه إلى النص وأصبح المحور الأساسي اللغوية في الوقت الحاضر، ولذلك جاء تغير المنهج والأهداف أحد العوامل الرئيسية لضرورة الحاجة إلى نحو النص.

أما **تمام حسان** و**محمد خطابي** و**بشير إبرير** و**نعمان بوقرة** ومعظم المغاربة يستعملون مصطلح "لسانيات النص" كتعبير منهم على الدراسة العلمية اللغوية للنصوص، وهو يعتبر من أشهر مصطلحات هذا العلم.

IV- أهداف لسانيات النص:

تسعى لسانيات النص إلى تحليل البنى النصية واستكشاف العلاقات النسقية المفضية إلى اتساق النصوص وانسجامها والكشف عن أغراضها التداولية، إذ يرى **صبحي إبراهيم الفقي**، أن مهام لسانيات النص تتجلى في إحصاء الأدوات والروابط التي تسهم في التحليل ويتحقق هذا الأخير بإبراز دور تلك الروابط في تحقيق التماسك النصي مع الاهتمام بالسياق وأنظمة التواصل المختلفة[1].

فمن أهم ملامح لسانيات النص دراسة الروابط مع التأكيد على ضرورة المزج بين المستويات اللغوية المختلفة وهذا بالاتساق الذي يتضح في تلك النظرة الكلية للنص برصد وسائل الترابط العميق بين الوحدات الجزئية، دون فصل بين هذه الأجزاء.

فلسانيات النص تراعي في وصفها وتحليلاتها عناصر لم توضع في الاعتبار من قبل، وتلجأ في تفسيراتها إلى قواعد تركيبية[2]، وقواعد دلالية ومنطقية[3]، بحيث تسعى إلى تحقيق هدف يتجاوز قواعد إنتاج الجملة إلى قواعد إنتاج النص، إذ لم يعد الاهتمام مقتصرا على الأبعاد التركيبية للعناصر اللغوية في انفرادها وتركيبها، بل لزم أن تتداخل معها الأبعاد الدلالية والتداولية، حتى يمكن أن تفرز نظاما من القيم والوظائف التي تشكل جوهر اللغة، إذ ليس من المجدي الاهتمام بالوصف الظاهري للمفردات، وأبنية تتضمن في أعماقها دلالات متراكمة نشأت عن استخدامها وتوظيفها في سياقات ومقامات متعددة.

---

(1) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص: 56.

(2) سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص: 135.

(3) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الجيزة، مصر، ط1، 1996، ص: 321-322.

ويرى **دي بوجراند** أن العمل الأهم للسانيات النص هو دراسة مفهوم النصية ***"Textuality"*** من حيث هو عامل ناتج عن الإجراءات الاتصالية المتخذة من أجل استعمال النص[1].

وهكذا يكون تميز لسانيات النص في اتساع مجال الرؤية بأنها تنطلق من دلالات عامة تتجاوز الجمل إلى وحدات نصية كبرى، لأن هدفها تحديد الوسائل التي مكنت من ربط الجمل وشكلت منها وحدة دلالية متلاحمة الأجزاء.

ويرى **صبحي إبراهيم الفقي** أن من أسباب اللجوء إلى الدراسة النصية، هو أن أوجه الترابط التي أفرزتها التحليلات على مستوى الجملة لم تعد كافية لتغطية مستوى النص وإيجاد العلاقة بين فقرة وفقرة، ونص ونص، وهكذا يبرز عند النظر إلى السور القرآنية؛ فلا يمكن إدراك هذه الصلة والترابط من خلال نحو الجملة ، بل النظرة النصية كما هي بمفهومها الواسع[2].

وهكذا يكون تميز لسانيات النص في اتساع مجال الرؤية، بأنها تنطلق من دلالات عامة تتجاوز بها الجمل إلى وحدات نصية كبرى، لأن هدفها هو تحديد الوسائل التي مكنت من ربط الجمل والوصول إلى وحدة النص.

إذن لسانيات النص جاءت لتثبت نصية نص ما من عدمها، إذ تفيدنا في التفريق بين ما هو نص يعتمد في الدراسة والوصف والتحليل، وما هو ليس بنص، فهي بمثابة غربال يكشف به ترابط النص في وحدة علائقية، تلتحم أجزاؤه لتشكل لنا وحدة كلية شاملة، أو يبين لنا عدم الترابط والالتحام بين هذه الأجزاء والوحدات.

---

(1) دي بو جراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 95.

(2) صبحي إبراهيم الفقى، علم اللغة النصي، ج1، ص: 52.

V- القدماء والدراسات النصية:

يعتبر الربط والمزاوجة بين القديم والحديث منهجا ومقوما لدراسة الفكر الإنساني بصفة عامة، والفكر اللغوي خصوصا، ولذا قامت دراسات كثيرة في العصر الحديث على إنتاج القدماء، ومن ذلك التراث العربي الإسلامي الذي يعد منظومة واحدة، تتكامل فيها المعارف وتتشابك عندها الاختصاصات، يحتاج إليها الدارسون في وقتنا الحاضر، ومن ذلك دراسة النص وتحليله، والذي أكدته القراءة لتراثنا العربي، خاصة البلاغة والتفسير والنقد بل النحو كذلك، أن هناك تحليلات تقترب من التحليلات المعاصرة للنص، كما سنرى لاحق،فإغفال أربعة عشر قرنا من العمل الجاد في مجال البلاغة والتفسير، ثم في مجال اللغة، يعد أمرا غاية في الخطورة، ومن ثم «فإننا نؤمن أن البدء من الصفر المنهجي في هذا المقام –مقام الدراسة النصية- يعني إهدار أربعة عشر قرنا من النتاج اللساني المتميز، الذي هو إنتاج قوم من أعلم الناس بفقه العربية وأسرار تركيبها وذخائر تراثها...» [1]، فلن يتحقق طموح في وضع نظرية علمية...دون إحياء الأفكار الصالحة في التراث، والإفادة من الدراسات الحديثة، والإخلاص للبحوث التطبيقية[2]، لأن الدراسة النصية الخالية تقتضي النظر في أصول المنهج العربي، ثم دراسة هذه الأصول على ضوء المناهج المعاصرة المتاحة.

وبعد كل هذا، هل يمكننا الحديث عن لسانيات النص كعلم مرتبط بالبلاغة القديمة أو النقد أو النحو أو حتى علوم القرآن والتفسير؟ وهل كانت هناك دراسات نصية حقيقية تثبت الدور الكبير الذي من أجله عجزنا عن الفصل بين القديم والحديث في الدراسات النصية؟

للإجابة عن هذه التساؤلات وجب علينا القيام بإطلالة قصيرة لمعرفة وتوضيح العلاقة المحكمة بين هذه العلوم ولسانيات النص كحقل معرفي جديد يجعل من النص محور الدراسة.

---

(1) سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، ج$_1$، مج$_{10}$، عدد 1، 2، يوليو 1991، ص:45 .

(2) محمد العيد، اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط$_1$، 1989، ص: 08.

قبل هذا يجب علينا تحديد جوانب النظرة التراثية، وهي كالآتي[1]:

1- التراث اللغوي: ← **النظرة البلاغية**
← **النظرة البلاغية النحوية**

2- التراث النقدي:

3- التراث الديني: ← **التفسير.**
← **علوم القرآن.**

ولكبر المخزون التراثي واتساع مجال البحث اكتفيت ببعض الأعلام وبشيء من الاختـــصار دون تشعب فيه.

1- التراث اللغوي:

أ- النظرة البلاغية:

الناظر إلى البلاغة يؤكد أنها السابقة التاريخية لعلم النص، إذا نحن أخذنا في الاعتبار توجههـــا العام المتمثل في وصف النصوص وتحديد وظائفها المتعددة...وكذا تتوجه إلى المستمع أو القارئ لتؤثر فيه، وتلك العلاقات ذات خصوصية في البحث اللغوي النصي...فعملية الاتصال تجمع العلاقة بـــين أطراف الاتصال الأساسية (نص – منتج – متلق) وكيفيات التفاعل بينها[2]...

(1) عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1986م، ص: 36.
(2) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 152.

فدراسة الأبنية النصية الخاصة، والوظائف الجمالية للنصوص، وكذلك الاهتمام بفصيح الكلام الذي تتناسق معانيه مع ألفاظه كانت من اختصاص البلاغيين كما سنرى مع **ابن قتيبة** وبداية بحثه في الانسجام النصي وكذا **البقلاني** ونظرته الشمولية للنص.

أ-1- ابن قتيبة (213-276هـ) وبداية البحث في الانسجام:

تبرز بداية البحث في الانسجام عند **ابن قتيبة** في كتابه "تأويل مشكل القرآن" الذي ألفه في القرن الثالث الهجري، وقد كان هدف الكتاب هو الرد على الملاحدة، الذين يريدون الانتقاص والطعن في القرآن العظيم، إذ أنهم اتبعوا ما تشابه منه يقول تعالى: ﴿**فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ**﴾ (آل عمران :07)

يقول **ابن قتيبة:** «فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يلبسون»[1]، ومن الواضح أن هؤلاء الملحدين طعنوا في القرآن من وجوه عدة مردودة عليهم، حيث أنهم ادعوا اللحن في القرآني والتناقض والاختلاف وتأولوا كثيرا من القضايا.

لذلك بدأ **ابن قتيبة** بتقديم حجج هؤلاء ، ثم يقوم بدحضها، وكثيرا ما كان يستدل بالأحاديث النبوية الشريفة، والشعر أيضا، ثم ينتقل إلى حججه بمنهج واضح وبموضوعية تجعل **ابن قتيبة** يخطو الخطوة الأولى للدرس العلمي في تراثنا العربي الإسلامي. أكثر من هذا، استطاع **ابن قتيبة** أن يقدم دراسة للنص القرآن تقترب في الكثير من الأحيان مما يعرفه علم النص حديثا، يتجلى ذلك في ما يلي[2]:

---

(1) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرح السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، المدينة النبوية، ط3، 1971، ص:23.

(2) نوال لخلف، الانسجام في القرآن الكريم، سورة النور أنموذجا، رسالة دكتوراه في الأدب العربي قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2007/2006، ص: 103.

1- النظرة الشاملة للنص القرآني كله، فلا يقدم موقفه إلا بعد عرض مختلف الآيات الواردة من ذلك في باب تكرار الكلام والزيادة فيه، فمثلا **ابن قتيبة** يفرق بين الواو كأداة ربط والواو غير الرابطة، كما كان يهتم كذلك بدور أدوات الربط في اتساق النص.

2- حديثه عن التكرار والحذف في القرآن الكريم، من ذلك أن يأتي بالكلام مبينا أن له جوابا، فيحذف الجواب اختصارا لعلم المخاطب به، ويمنحه بعدا تداوليا...

3- انسجام القضايا الواردة في النص القرآني، ليبدو ذلك واضحا، وهو يرد على من ادعى على القرآن التناقض، والاختلاف يقول: «فأما ما نخلوه من التناقض في مثل قوله تعالى: ﴿**فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ**﴾ (الرحمن -39)، وهو يقول في موضع آخر: ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ**﴾ (الحجر-92-93) فالجواب في ذلك : أن يوم القيامة يكون كما قال الله تعالى:﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج-04) »

من أهم القضايا التي طرحها **ابن قتيبة** في كتابه إذن، قضية انسجام النص القرآني التي تنظر إلى السورة، والآيات المتباعدة نظرة متآلفة، وكانت هذه القضية قضية خطابية نصية، كان من الممكن أن يترتب عنها تنظير في نسق النص غير أن النقاش البلاغي حولها وقف عند حدود الكلام[1]، فلو اتسع مجال البحث في هذه المسألة، لجعل للبلاغة اهتمامات أخرى، ولكانت الدراسات اللسانية النصية الدرس البلاغي في ذلك الوقت، لكن هذا لا يعني أن **ابن قتيبة** كان رائدا في طرح كل القضايا التي هي مجال لسانيات النص في الوقت الحالي، بل بعض القضايا فقط، وقدكان متأثرا في دراساته بغيره من أمثال الجاحظ، لكن تأثيره في غيره كان أكبر، كتأثيره في البلاغيين، أمثال الرماني، والخطابي، **والباقلاني**، الذين استطاعوا أن يكشفوا في النص القرآني مكامن الإبداع وخصوصية الانسجام، وتوصلوا إلى مفاهيم جمالية جديدة تخص النص القرآني.

---

(1) محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتدادها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، (د.ط)، 1999، ص: 145.

أ-2- الباقلاني...والنظرة الشمولية:

ألف **الباقلاني** (ت 404 هـ) العديد من الكتب، كان أشهرها كتاب، "إعجاز القرآن"، وقد كان هدف الكتاب، كما هو واضح من العنوان الوقوف على سر إعجاز القرآن، لكن ما لبث أن اتجه إلى البحث في قضايا بلاغية نصية.

وسر إعجاز القرآن عند **الباقلاني** يكمن في أسلوبه، وهو سبب اختلاف القوم الفصحاء في معارضته والإتيان بمثله ولو كانت آية، «فالقرآن معجز في أسلوبه الذي يسير على سنن ونمط متجانس، دونما إخلال، أو اضطراب، أو تفاوت بين سورة وسورة، أو آية وآية، أو موضوع وموضوع فهو على الدوام منفرد بذلك الأسلوب»(1).

ويرى **الباقلاني** في أسلوب البشر النقص والاضطراب، والاختلال في معانيه أحيانا، وقد يظهر لك منه عدم انسجام المعاني واختلال في المباني. على عكس القرآن الكريم الذي تظهر لك منه روعة النظم وحسن السبك، يقول: «وأنت ترى غيره –أي القرآن- من الكلام يضطرب في مجاريه، ويختل تصرفه في معانيه، ويتفاوت التفاوت الكثير في طرقه...ويريبك في أطرافه وجوانبه...ونظم القرآن في مؤتلفه ومختلفه، وفي فصله ووصله، وافتتاحه واختتامه، وفي كل نهج يسلكه»(2)، كما قال تعالى : ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ (النساء- 82).

فقضايا الفصل والوصل وعلاقة بداية السورة بنهايتها، ودور مقدمة السورة أو افتتاحيتها بالتماسك الكلي الشامل للسورة وترابط موضوعها، كلها مما له في لسانيات النص الآن مكان ، قد تحدث عنها **الباقلاني** من القرن الخامس الهجري، فهو ينظر إلى القرآن الكريم نظرة شاملة، وتجعله يضم الفواتح والخواتم والمبادئ والمناسب والمطالع.

وأكثر من هذا، يربط **الباقلاني** في استعمالاته بين النظم والتأليف والرصف وبديع الرصف، كما يبدو ذلك واضحا وهو يحلل سورة النمل يقول: «ثم انظر فيها آية آية وكلمة كلمة، هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم، وبديع الرصف؟ فكل كلمة لو أفردت، كانت في الجمال غاية وفي

---

(1) أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط3، (د.ت)، ص: 205.

(2) المرجع نفسه، ص: 205-206.

الدلالة آية...ثم من قصة إلى قصة، ومن باب إلى باب، من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل، وحتى يصور لك الفصل وصلا ببديع التأليف وبليغ التتريل»[1].

ويقدم **الباقلاني** نظرة أخرى، تجمع بين التحليل البصير، والتذوق الرفيع، حين يقوم بتفسير انسجام الآيات، ، رغم تباعد مقاصدها، فقد تجد آيات متباعدة في المواقع نائية المطارح، قد جعلها النظم البديع أشد تألفا من الشيء المؤلف في الأصل[2].

ولا يتأخر **الباقلاني** في ذكر الأمثلة المختلفة من القرآن الكريم تأكيدا على نظرته هذه، ويحاول أن يفسر انسجام القرآن الكريم، رغم تعدد مواضعه، والانتقال من معنى إلى آخر، ويكشف عن أوجه الخلوص من احتجاج إلى وعيد ومن إعذار إلى إنذار مختلفة لكنها تأتلف بشريف النظم، ومتباعدة تتقارب بعلي الضم[3].

فتكررت المصطلحات التالية، الضم، الرصف، النظم، الانسجام، لكن دون تبرير لهذا الرصف والضم والانسجام، وكيف أن هذه الدلالات كانت في تعالق وترتيب، بل بقي الموقف جزئيا وذوقيا دون أن يكون ذلك عن قصور وعجز، وإنما هو حالة لمرحلة معينة ذات خصائص معينة، أدت بالضرورة إلى إبداع يلائمها.

2- النظرة البلاغية النحوية:

الجرجاني:فكرة النظم والتعليق:

إذا كان **الباقلاني** لم يجد من فهمه لفكرة النظم والائتلاف أساسا نحويا، فإن هذا الأساس النحوي المسؤول عن تضافر الوحدات وتلاحمها ،سيتجسد في **نظرية النظم** عند **الجرجاني**، ولا يعد الجرجاني المبتكر الأول لهذه النظرية، فقد سبقه إليها **الجاحظ** في البيان والتبيين، وأيضا الرماني، لكن يعود إليه الفضل في البلورة والصياغة الجديدة وحسن التشكيل.

---

(1) الباقلاني ،المرجع السابق، ص: 190.

(2) المرجع نفسه، ص: 194.

(3) المرجع نفسه، ص: 197.

«وعمل **الجرجاني** إلى ربط النحو بالدلالة، فنظر في العلاقة بين المكون التركيبي، والمكون الدلالي، العلاقة التي تأخرت النظرية التحويلية في إدراكها، ومعرفة أهميتها إلى ظهور كتاب تشومسكي الثاني، بعد كتابه الأول بعشر سنوات»[1].

فالنظم -عند الجرجاني- «لا معنى له غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم»[2]، ويتم ذلك بترتيب الألفاظ باعتبارها خدم للمعاني وتابعة لها وخاضعة لمعاني النحو التي لا تخرج عن المقاييس اللغوية المعمول بها وفق سمت كلام العرب، وتوخي النحو يقصد به توخي تلك المعاني الدالة على المعقولية ولا تخالف النهج اللغوي ولا المنطق العقلي، وترتيب الألفاظ وانسجام المعاني في النفس، يقول **الجرجاني**:«وليس الغرض بنظم الكلم إن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل...فما النظم إلا أن تقتفي في نظم الكلمات آثار المعاني وترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس»[3].

ولذلك كان فضل **الجرجاني** كبيرا في دراسة موضوعات تتعلق بنحو النص وبيان آليات انسجامه، ولا نشير هنا إلى دراسة موضوع الحذف، والذكر، والتقديم والتأخير والحقيقة والمجاز، والاستعارة والكناية، والتعريض، إذ هي موضوعات مرتبطة بجودة النص، وأثره في المتلقي، وتؤثر في تمايز النصوص بعضها من بعض، ولا ترتبط بموضوع كيفية بناء النص، من حيث هو نص، وقوانين إنشائه مباشرة، وإن كانت ذات أثر فاعل في تحديد مفهوم النص ذاته، ومع أن كثيرا من الدارسين رأوا في دراسة تلك القضايا في دلائل الإعجاز وعيا من الجرجاني بنحو النص[4].

وقد كان لإدراك **الجرجاني** لطبيعة علم النحو أثره البارز في خدمة النصوص وفهمها فهما علميا دقيقا، ومن الجوانب التي تطرق إليها ولها علاقة مباشرة بلسانيات النص الآن، كما سبق ذكرها، موضوع الفصل والوصل، الذي يعد الموضوع البارز لما يجب أن يبحث في هذا العلم.

---

(1) حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ط)، 1994، ص: 51.

(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ط)، 1424-2003، ص: 357.

(3) المرجع نفسه، ص: 102.

(4) عمر أبو خرمة، نحو النص، نقد نظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط$_1$، 1425هـ- 2004م، ص: 43.

وقدم **الجرجاني** في كتابه الدلائل، أكثر من نظرية جديدة لعلم النحو ومما يوضح صدق هذه الدعوى قوله: «واعلم أن ليس النظم، إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه، وأصوله، وتعرف مناهجه، التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها، وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه، غير أن ينظر في وجوه كل باب، وفروقه»(1).

يتبين جليا من رأي **الجرجاني** بأن النص لا يتكون إلا حسب مقتضيات وقوانين النحو ومناهجه، «وهو يدرك تماما أن علم النحو، ليس نحو الجملة فقط»(2)، إذ يرى أن نحو الجملة أحد أجزاء علم النحو، بل جزء يسير منه فقط، وما يؤكد هذا الفهم، ما أكمل به **الجرجاني** حديثه بقوله: «فينظر في الخبر...وفي الشرط والجزاء...وفي الحال...فيعرف لكل ذلك مواضعه، ويجيء به حيث ينبغي له»(3)، فهذا هو الجزء اليسير الذي يمكن تسميته نحو الجملة(*) ضمن مفهوم **الجرجاني**، ويرى في علم النحو أجزاء أخرى وذلك في قوله: «وينظر في الحروف التي تشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضَعُ كلا من ذلك في خاص معناه»(4)، وهذا الجزء من علم النحو، يعد أشد الأجزاء اتساقا بنحو الجملة، لكنه يعتبر توسعة له، إذ يوضح ما يرتبط بالجملة ارتباطا أصليا، بعد تمام أركانها الأساسية، المسند إليه، والمسند «مع العلم أن الحال بأشكاله المختلفة والمفاعيل بأنواعها، والتمييز، والتوابع...من هذا الجزء وليس من نحو الجملة بل هو ما يمكن أن نطلق عليه "نحو ما فوق الجملة"»(5)، أي نحو المتعلقات، ثم يعطي الجرجاني جزءا ثالثا من أجزاء علم النحو –كما يراه– وذلك حينما قال: «وينظر في الجمل، التي تسرد، فيعرف مواضع الفصل فيها، من مواضع الوصل...» (6)، ويعتبر هذا الجزء هو الجزء الثالث من علم النحو، وهو الجزء الأساسي في نحو النص،

---

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 127.

(2) عمر أبو خرمة، نحو النص، ص: 44.

(3) الجرجاني، المرجع نفسه، ص: ك- 127.

(*) تقسيم هذه الأجزاء من علم النحو ذكرها عمر أبو خرمة، المرجع السابق، ص: 43-45.

(4) الجرجاني، المرجع نفسه، ص: 127.

(5) عمر أبو خرمة، نحو النص، ص: 45.

(6) الجرجاني، المرجع نفسه ، ص: 127.

لأنه المميز الحقيقي لنحو الجملة عن نحو النص، إذ يتجلى فيه ربط الجمل المتتالية، التي تشكل الوحدة الكلية للنص، ومن خلاله يتم توضيح العملية التماسكية داخل النص.

ثم يذكر جزءا رابعا من أجزاء علم النحو، وذلك في قوله: «وينظر في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحث والتكرار والإضمار والإظهار، فيضع كل من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة، وعلى ما ينبغي له»[1]، وهذا الأخير من أجزاء النحو هو الذي يقاس به تمايز النصوص بعضها من بعض، إذ هو المُظهر لوعي الناص، أو الناظم، في ترتيب كلامه، حسب توالي المعاني في النفس، من جهة، وتأثيره في المتلقي من جهة ثانية، كان هذا هو الذي أكد **الجرجاني** أنه مدخل الإعجاز القرآني، وقد صرح بهذا، أثناء رده على أولئك الذين استصغروا أمر التقديم والتأخير، فشنع عليهم عند قوله: «وكذلك صنعوا في سائر الأبواب فجعلوا لا ينظرون في الحذف والتكرار، والإظهار والإضمار، والفصل والوصل، ولا في نوع من أنواع الفروق والوجوه، إلا نظرك فيما غيره أهم لك... وليت شعري إن كانت هذه أمور هينة، وكان المدى فيها قريبا والجري يسيرا، من أين كان نظم أشرف من نظم، وبما عظم التفاوت، واشتد التباين وترقى الأمر إلى الإعجاز وإلى أن يقهر أعناق الجبابرة؟»[2].

فالجرجاني ربط بين النظم القرآني ومضمونه لأن مدار اهتمامه كان منصبا حول إعجاز القرآن، فيكون بذلك قد ربط بين جانبين لا يمكن الفصل بينهما لفهم المقصد من النصوص، وهما الجانب التركيبي والجانب الدلالي.

وإلى معنى التأليف والترتيب يشير في كتابه أسرار البلاغة بقوله: «والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب»[3]، ومما هو واضح من كلام **الجرجاني** أن الشيء البارز والمميز لنظرية النظم عنده هو فكرة تعليق الكلم بعضه ببعض وليس هو النظم في حد ذاته، يقول **تمام حسان**: «وأما أخطر شيء تكلم فيه **عبد القاهر الجرجاني**

---

[1] الجرجاني ،المرجع السابق، ص: 127.
[2] المرجع نفسه ، ص: 149.
[3] الجرجاني، أسرار البلاغة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط2، 1420هـ-1999م، ص: 08.

على الإطلاق، فلم يكن النظم ولا البناء ولا الترتيب وإنما كان "التعليق"، وقد قصد بــه ... إنــشاء العلاقات بين المعاني اللغوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية»[1].

وفي هذا يقول **الجرجاني**: «لا نظم في الكلم، ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها بــبعض، ويــبنى بعضها على بعض، وتُجعل هذه بسبب من تلك»[2]، معنى هذا أن: النظم ← التعليق.

يعرف **الجرجاني** الأسلوب على أنه ضرب من النظم والطريقة فيه، ويعرفه المحدثون بأنه إسقاط محور الاختيار على محور التركيب.

النظم = الأسلوب = إسقاط محور الاختيار على محور التركيب.

أما التعليق = الربط بين الكلم[3].

فبناء الأسلوب ليس مجرد ضم الألفاظ، إنما المسألة تتجاوز مسألة الضم إلى عملية التعليق، ففي التعليق تلعب العلاقات النحوية دورا بالغا، يقول **الجرجاني** : «واعلم أن من الكلام ما أتت المزية في نظمه الحسن، كالأجزاء من الصيغ تتلاحق، وينضم بعضها إلى بعض حتى تكبر في العين، فأنت لذلك لا تكبر شأن صاحبه، ولا تقضي له بالحذق والأستاذية، وسعة الذرع، وشدة المنــة حــتى تــستوفي القطعة»[4].

فالنظم الحسن يستدعي:

- التلاحق بين الأجزاء المكونة للنص.
- الضم.
- تلاحق القطعة كلها.

والجرجاني لا يرى بأن النظم يخرج عن القواعد النحوية، فيكون بذلك قد أرســى اللبنــات الأساسية الأولى لمفاهيم نظرية لم تتجسد وتتبلور إلا في العصر الحديث كالدور الذي يلعبه كل مــن

---

(1) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناه، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1418هـ-1998م، ص: 188.

(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 188.

(3) نوال لخلف، الانسجام في القرآن الكريم، ص: 108-109.

(4) الجرجاني، المرجع نفسه، ص:133.

التكرار والحذف والإضمار والإحالة في تماسك البنية الكلية للنص، بحيث أصبحت هذه العناصر من صميم الدراسات النصية المعاصرة.

وكما ذكرنا سابقا بأن مدار اهتمام **الجرجاني** كان منصبا حول الإعجاز القرآني وبيان وتحليل معنى الآيات، فدراسته هذه كانت صورة حقيقية للدراسات النصية المعاصرة، ففي قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ (هود-44). يقول **الجرجاني**: «فتجلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي تسمع، إنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع ارتباط هذا الكلم بعضه ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة؟ وهكذا إلى أن تستقر بها إلى آخرها، وأن الفضل تناتج ما بينها، وحصل من مجموعها...ثم مقابلة "قيل" في الخاتمة "بقيل" في الفاتحة...كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب»[1].

تبين لنا من خلال هذا القول، والأقوال السابق ذكرها، وكذا الأقوال المبثوثة في كتابيه، دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، أن **الجرجاني** قد عالج قضايا عدة هي من صميم لسانيات النص في الوقت الحالي كالحذف والتكرار والوصل والفصل وكذا الإيحاء، بالإضافة إلى رد العجز على الصدر أي ربط الآخر بالأول، وكذلك اعتباره النص وحدة كلية متماسكة الأجزاء متعالقة الوحدات تتشكل بمجموعها من البداية إلى النهاية نصا واحدا، فهو يعد بحق أحد البلاغيين البارزين الأوائل، الذين انتهجوا نهجا سليما وواضحا حمل في جنباته بذور علم جديد، ظهر في نهاية الستينات وبداية سبعينات القرن الماضي، على أيدي علماء غربيين، جعلوا من النص أساس الدراسة من أمثال، **فان دايك وهاليدي ودي بوجراند** وغيرهم.

1- التراث النقدي :

أحاول أن أشير إلى أن غايتي ليست إثبات أو نفي إدراك نقاد العرب القدامى ووعيهم بتماسك النص واتساقه وانسجامه من عدم ذلك، وإنما الهدف هو محاولة إيجاد الوسائل التي يتماسك بها النص عند هؤلاء النقاد.

---

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 98.

أ- حازم القرطاجني والتماسك النصي:

لقد عاش **حازم القرطاجني** في القرن السابع الهجري (تـ: 684 هـ)، في عصر عرف فيه النقد تطورا ورؤى أكثر نضجا ووعيا، ولقد بلغ النقد في هذا العهد فهما ناضجا للتراكيب، تجاوز حدود الجملة إلى مستوى النص.

وينفرد هذا الرجل بنظرة أكثر شمولا للنص، تميزه عن غيره... فهو أول من قسم القصيدة العربية إلى "فصول"[*] زعم أن لها أحكاما في البناء، وأول من أدرك الصلة الرابطة بين مطلع القصيدة، وما سماه بالمقطع، وهو آخرها الذي يحمل في ثناياه الانطباع الأخير والنهائي عن القصيدة[1]، ولابد أن تكون مواد الفصل[2]:

1- متناسبة المسموعات والمفهومات.

2- حسنة الاطراد.

3- غير متخاذلة النسج.

4- غير متميز بعضها عن بعض، التميز الذي يجعل كل بيت كأنه منحاز بنفسه.

فإن كانت الشروط الأربعة دالة على التناسب والإطراد والتماسك والترابط كأوصاف ينبغي أن تتوافر في المواد التي تشكل منها الفصل، فإن الشرطين الأخيرين خاصة، شديدا الإلحاح على الترابط، ويستفاد ذلك من سلبية "تخاذل النسج" أي كونه مهلهل الخيوط، غير متصل بعضها ببعض على الوجه الأكمل. وكأني **بالقرطاجني** يرى الكلمات خيوطا متداخلة ينشأ من قوة تشادها ثوب مكتمل النسيج متينه[3].

ولقد اهتم **حازم القرطاجني** باللفظ والنظم والأسلوب، ورأى في حسن التركيب والتأليف صورة لها أهميتها الكبرى، ورأى بأن الكلام كلما كان متلائما غير متنافرا، متعادل الأجزاء ومتواصلا، ومتشاكلا ومتساويا، كلما أحدث في المتلقي نوعا من الإحساس باللذة، والإفادة الفنية،

---

[*] الفصل عند حازم القرطاجني إنه بيتان، في غالب الأحيان، إلى حدود أربعة أبيات تتضافر لأجل إيصال معنى معين.

[1] إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط$_1$، 1997م، ص: 56.

[2] محمد خطابي، لسانيات النص –مدخل إلى انسجام الخطاب–، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط$_1$، 1992م، ص: 150-151.

[3] المرجع نفسه،ص:151.

فيحلوا بذلك الكلام ويتزين، ويبرز في أنقى وأبهى صورة، وهذا ما أشار إليه بقوله: «وكلما وردت أنواع الشيء وضروبه مرتبة على نظام مشاكل وتأليف مناسب، كان ذلك أدعى لتعجب الـــنفس، وإيلاعها بالاستماع من الشيء، ووقع منها الموقع الذي ترتاح له»[1].

وقد قسم **حازم** كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" إلى أربعة أقسام، ومباحث هي: اللفـــظ المعنى، النظم والأسلوب، لأن للوصول إلى مستوى النص لابد من البدء باختيار اللفـــظ إلى الـــنظم والأسلوب.

مبحث اللفظ:	**يمثل المستوى المعجمي**	**مستوى الجملـــة**
مبحث المعنى:	**يمثل المستوى الدلالي**	
مبحث النظم:	**يمثل المستوى التركيبي**	
مبحث الأسلوب:	**يمثل المستوى النصي**	**مستوى النـــص**

يقول وقد أشرنا إلى بعض ما ينحو الشعراء نحوه فيها يرجع إلى أمور لفظيـــة أو معنويـــة أو نظمية أو أسلوبية[2].

وكما سبق الذكر أن **حازم** لم يتوقف في نقده عند البيت الواحد بـــل نظـــر إلى القـــصيدة ونهايتها، فقد اهتم كذلك بالنمو الداخلي للقصيدة، ولا شك في أن...الذي نذكره –باعتزاز- عـــن آراء **حازم القرطاجني** في الترتيب الداخلي للنص، شيء قل أن نلاحظ نظيره في كتابات البلاغـــيين، من قدماء ومحدثين، وربما كان هذا المنحى في النظر في بنية النص، يسوغ لنا الدعوة لاستئناف النظر في التراث البلاغي العربي، على هدى مما نجده لدى المحدثين الغربيين في علم لغة النص خاصة[3]، وفي

---

[1] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ط)، 1986، ص: 245.

[2] محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1999م، ص: 498.

[3] إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، ص: 62.

حديثه عن العلاقات بين الفصول وإشارته إلى الاطراد في تسويم رؤوس الفصول يتطابق هذا النظر ويكاد يكون حرفيا مع ما ذهب إليه (**فان دايك**) في حديثه عن ترابط البنى المؤلفة لكل نص، ويستعمل **حازم** مصطلح الاقتران وهذا المفهوم يقترب من مفهوم الاتساق ***Cohérence***[1].

ومن هنا كان **لحازم القرطاجني** السبق في الاهتمام بانسجام النص الشعري وتلاحمه، كما كان لحازم السبق أيضا في تحديد بعض المفاهيم النقدية كمفهوم النظام والذي يقترب من مفهوم النسق، وكذا مفهوم الاقتران الذي سبق ذكره.

كذلك فقد اهتم **حازم القرطاجني** بالوحدة الشعرية، وبين العلاقات والروابط بين الجمل المكونة لها، يقول **جابر عصفور**: «إن مفهوم حازم للوحدة الشعرية متصل بمفهوم الوحدة عند أرسطو في كتابه فن الشعر...ويبدو أن الذي ساعده على ذلك هو أن القصيدة العربية كانت قد تطورت عند الشعراء المحدثين إلى نوع من ترابط الأجزاء، ألمح إليه **حازم** عندما أشار إلى أن شعر المحدثين أحسن مأخذا في التخلص والاستطراد من القدماء»[2].

وكان اهتمامه أيضا حول التأليف والتلاؤم في الكلام، فتكلم عن تلاؤم حروف الكلمة الواحدة، وكذا كلمات الجملة الواحدة، وأيضا الجمل بعضها مع بعض، إلى أن تشكل لنا وحدة منسجمة. يقول: «ومن ذلك حسن التأليف وتلاؤمه، والتلاؤم يقع في الكلام على أنحاء: منها أن تكون حروف الكلام بالنظر إلى ائتلاف بعض حروف الكلمة مع بعضها وائتلاف جملة كلمة مع جملة كلمة، تلاصقها منتظمة في حروف مختارة، متباعدة المخارج، مرتبة الترتيب، الذي يقع فيه خفة وتشاكل ما»[3]، فلم يغفل بذلك حتى الانسجام الصوتي والذي له مكانة عنده، لأهميته في الربط بين المعاني.

---

[1] نوال لخلف، الانسجام في القرآن الكريم، ص: 113.

[2] جابر عصفور، مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي، دار التنوير، بيروت، ط3، 1983، ص: 201، (نقلا عن نوال لخلف، المرجع السابق، ص: 113).

[3] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص: 222.

ولم يكن اهتمام **حازم** بالانسجام على المستوى الصوتي، والمعجمي، والدلالي بل تعـداها إلى المستوى التداولي، ويرى أن التأثير على المتلقي مرتبط بحسن ديباجيته، وهي أمـور تتعلـق بـاللفظ والمعنى، والنظم، والأسلوب، ومرتبط أيضا باستعداد وقابلية، والاستعداد نوعان:

- حال وهي النفس
- الاعتقاد في الشعر أنه حكم وأنه غريم[1].

فالبعد التداولي مرتبط عند **حازم** بالسياق النفسي أكثر وهو مما جعله يقترب في كـثير مـن آرائه، مما توصل إليه **فان دايك** والذي يدخل عناصر دلالية تداولية في وصـفه وتحليلـه للنـصوص فنستطيع بذلك أن نقول، أن **حازم القرطاجني** يكون بذلك قد سبق بجهوده هذه الغرب بعدة قرون، وبذلك فقد آن الأوان لقراءة تراثنا بنظرة معاصرة، لا يكفيها دوام المطالعة، بل المزيد من الاسـتنباط والرؤية العميقة.

ب- الجاحظ والتحام الأجزاء.

لقد تحدث الجاحظ عن التماسك والتحام الأجزاء، بحيث وردت له في البيان والتبيين، أبيات شعرية تذم الشعر المفكك، مذيلة بتعليقات الجاحظ سنقوم بسردها من أجل تأمل ما يريد الإفـصاح عنه.

يقول **الجاحظ** :«وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بـذلك أنـه أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان»[2]، وقد جـاء تعليقه هذا بعد البيتين اللذين أنشدهما خلف الأحمر، وأبو البيداء الرياحي، على الترتيب:

**وبعض قريض القوم أولاد عِلَّةٍ		يَكِدُّ لسانُ الناطق المتحفـظ**

**وشعر كبعر الكبش فرّق بينهم		لسان دَعِيّ في القريض دخيل**[3]

---

[1] حازم القرطاجني ،المرجع السابق، ص: 274.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ص: 89.

[3] المرجع نفسه،ج1، ص: 87-88.

لكن الاكتفاء بهذه الأبيات منفردة، لا يوصلنا إلى فهم حقيق لما يعنيه بتلاحم الأجزاء، لـذا يجب علينا أن نأتي بالكلام الذي سبقه، وما لحقه، فقد سبق التعليق على هذه الأبيات، قول **الجاحظ**: «ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر، وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنـشد إنـشادها إلا ببعض استكراه، فمن ذلك قول الشاعر:

وقبر حربٍ بمكان قفر وليس قربَ قبرِ حربٍ قبرُ

ولما أرى من لا أعلم له أن أحدا لا يستطيع أن ينشد هذين البيتين ثلاث مـرات في نـسق واحد، فلا يتتعتع ولا يتلجلج»[1].

وهو بقوله هذا يذم الشعر الركيك، الذي تحس وكأنه كل لفظة ليس لها علاقة بما قبلها ومـا بعدها، بحيث لا تتلاءم ألفاظ البيت الواحد، فهي ثقيلة على لسان القارئ، صعب فهـم معانيهـا، فمعيار الجودة والحسن عند **الجاحظ** يكمن في النظم وترابط وتلاحم الكلمات والجمل بعضها ببعض.

ثم يورد **الجاحظ** أبياتا أخرى، يذم فيها الشعر غير المتلاحم والمفكك، وهذه الأبيات «من قول ابن يسير في أحمد بن يوسف، حين استبطأه يقول:

هل معين على البكا والعويل أم معز على المصاب الجليل

ثم قـال:

لم يضرها والحمد لله شيء وانثنت نحو عزف نفس ذهول

فتفقد النصف الأخير من هذا البيت، فإنك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض»[2]، ويضيف معلقا على البيتين السابقين للرياحي فيقول: «وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملساء، ولينة العاطف سهلة، وتراها متباينة، ومتنافرة ومستكرهة، تشق على اللسان وتكـده والأخرى سهلة لينة...خفيفة على اللسان، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة

---

[1] الجاحظ ،المرجع السابق ،ج1، ص: 88.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص: 87-88.

بأسرها حرف واحد»[1]، ولكي يزداد الأمر وضوحا، أضيف قول **الجاحظ** الذي يأتي بعد ذلك بقليل حيث يقول: «فهذا في اقتران الألفاظ، فأما في اقتران الحروف، فإن الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا العين، بتقديم ولا بتأخير، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا بتأخير»[2].

ورغبته في الوصول إلى حقيقة تلاحم الأجزاء يمكننا إبراز معنى ومبتغى قوله تلاحم الأجزاء وذلك بحصر الأجزاء فيما يلي:

- الأبيات المشكلة للقصيدة.
- الأجزاء المشكلة للبيت (الصدر والعجز)
- الأجزاء المشكلة للشطر – الألفاظ.
- الأجزاء المشكلة للفظ –الحروف (الأصوات)

وقد انصب اهتمام **الجاحظ** على العنصرين الأخيرين، كما تشهد على ذلك الأمثلة الشعرية وتعليقاته عليها، وأما جامع هذا الاهتمام فيكمن في البعد الصوتي ومدى تآلفه أو تنافره، فالتآلف مرتبط بتباعد مخارج الأصوات، سواء في الكلمة الواحدة أو في الكلمات المتجاورة، والتنافر مرتبط بتقارب المخارج أو تماثلها. لذا استقبح قول الشاعر :«وقبر حرب...».

ونستخلص من هذا أن تلاحم الأجزاء مترتب عن تلاؤم الأصوات المشكلة للألفاظ[3].

هذا دون أن ننسى مسألة هامة جدا، وهي ربطه الكلام بالنسيج كان مثله مثل ارتباط النص الغربي بالنسيج، إلا أن هذا الربط عند **الجاحظ** تم وحصل بالمقايسة والمشابهة والاستعارة. يقول **الجاحظ**: «ووصفوا كلامهم في أشعارهم فشبهوها بالحلل والمعاطف والديباج والوشي وأشباه ذلك»[4]، ويشير في كتابه إلى أوصاف أخرى للكلام فيقول: «والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيير اللفظ، وسهولة المخرج،

---

(1) الجاحظ، المرجع السابق، ج1، ص: 89.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص: 91.

(3) محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 143.

(4) الجاحظ، المرجع نفسه،ج1، ص:89.

وكثرة الماء في صحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج، وجنس من التصوير»[1].

يبين لنا **الجاحظ** من خلال آرائه النقدية هذه وجهوده من أجل إظهار تلاحم الأجزاء وجودة السبك، وتشبيه الكلام الجيد بالنسيج، أنه يقعد جنبا إلى جنب مع كبار البلاغيين الذين قاموا بإرساء قواعد لسانيات النص والذي تعد البلاغة السابقة التاريخية له.

3- النظرة الدينية:

الدراسات النصية من خلال علم التفسير وعلوم القرآن

سأخصص هذا الجزء للبحث في محاولة علماء الإسلام ودورهم في إظهار كيفية تماسك النص القرآني، لأن القرآن يعد عند هؤلاء بؤرة الاهتمام التي انشدت إليها أنظارهم على أن ما يهمنا بالذات هو استخراج بعض الوسائل والعلاقات والآليات التي تفطن لها بعض العلماء، كونها تجعل النص القرآني آيات وصور كل واحد متماسك الأجزاء والوحدات على الرغم من تباعد فترات النزول وأسبابه.

1- علم التفسير:

لقد اختلف العلماء في تفسير آي القرآن الكريم وتأويله وهذا ما جعله خالدا، تجدد قراءاته بتغير العصور والأمصار، لأن خلود القرآن الكريم مرتبط أساسا بتجدد قراءته، ورغم تجدده فإن التفسير لا يخرج عن نوعين هما:

- تفسير بالمأثور
- تفسير بالرأي.

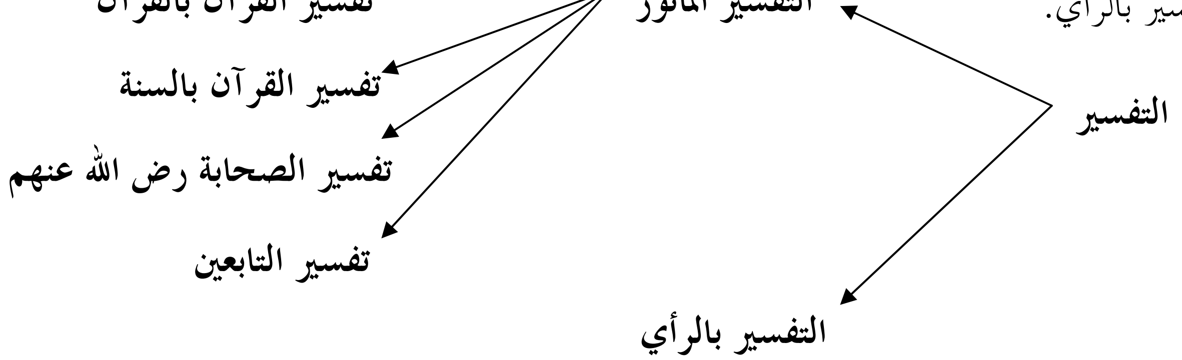

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص: 100.

يعتمد التفسير بالمأثور على كل من القرآن نفسه ثم السنة النبوية وما روي عن الصحابة، وأضيف إلى ذلك ما روي عن التابعين وذلك لأخذهم عن الصحابة في غالب ما يقولون[1].

أما التفسير بالرأي: فهو ضربان:

الضرب الأول: ما كان قائما على الدليل أو مستندا إلى برهان[2]، ولا يخالف كلام الرسول ﷺ والصحابة والتابعين مخالفة تضاد، إنما يوسع المعنى دون مخالفة[3]، مع مراعاة بقية الشروط في قبول التفسير بالرأي[*].

الضرب الثاني : وهو ما كان مستندا إلى هوى من الأهواء، كأن تكون سياسية أو مذهبية أو شخصية، وهو تفسير لا ينهض على دليل معتبر أو برهان مشروع، وهذا الضرب من التفسير قد نهى عنه الشارع، وحذر من التورط فيه[4].

قال سبحانه ناهيا عن التفسير بالرأي القائم على الهوى: ﴿**وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ**﴾ (البقرة-169).

وضمن الضرب الأول من التفسير بالدراية، يدخل اهتمام المفسرين بالمناسبة بين الآية والسورة، يقول الله عز وجل: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ**﴾ (محمد-24)، ومن أشهر التفاسير في هذا الشأن : تفسير **البقاعي**، وهو مثال فقط من تفاسير عدة اهتمت بعلم المناسبات، والذي من خلاله ثبت أن نظرة علماء العرب والمسلمين للنص القرآني لم تكن تقتصر على دراسة الجملة الواحدة بل تعدت إلى السورة الكاملة، بل إلى كتاب الله كله نظرة ترابطية شاملة، لذلك سأتطرف إلى تفسير واحد من التفاسير بالمأثور اختصارا، وأبين كيفية تجاوز مفسرينا القدامى الجملة إلى ترابط الجمل والوحدات والأجزاء.

---

[1] أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، ط2، 1408-1988، ص: 157.

[2] المرجع نفسه، ص: 157.

[3] محمد عمر بازمول، شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، الدار الأثرية، عنابة، الجزائر، ط1، 1424هـ-2003م، ص: 42.

[*] بقية الشروط هي: 1- أن يتفق مع سياق الآية (الإشارة إلى علم المناسبات)، 2- أن لا يتنافى مع دلالة الألفاظ من حيث اللغة، 3- أن لا يتعارض مع أصول الشرع، 4- أن لا يؤدي إلى نصرة أهل البدع والأهواء المذمومة.

[4] أمير عبد العزيز، المرجع نفسه، ص: 160.

أ– الطبري :مسألة الربط بين الجمل:

يعد تفسير **الطبري** (تـ: 310) –جامع البيان في تفسير القرآن– من أشهر التفاسير بالمأثور، وقد كان يجتهد قدر الإمكان ألا يلجأ إلى التفسير بالرأي، يقول: «القائل في تأويل كتاب الله الذي لا يدرك علمه إلا بيان رسول الله ﷺ وإن وافق قبله ذلك في تأويله ما أراد الله به من معناه قائل بما لا يعلم، وإن وافق قيله ذلك في تأويل ما أراد الله به من معناه»[1].

ومما هو ملاحظ فإن إدراك **الطبري** للعلاقات بين الجمل كان من خلال جعله الوصل في المفردات مدخلا لمعرفة الوصل في الجمل، وقد رأى أن الوصل في الجمل على نوعين: وصل مجموع الجمل والعطف على جمل الحال، ثم جمل الشرط المعطوف على جمل الجزاء وهو شكل ينم عن عمق النظر ودقة التحليل.

وجعل **الطبري** أغراض الوصل في : الوصل لأمن اللبس، أو الوصل للتمييز تشريفا، أو الوصل لتوكيد تفرد العلم الإلهي بالتأويل: مما نجده في قوله تعالى: ﴿**مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ**﴾ (البقرة– 98).

ومع ذلك قد يكون الفصل أبلغ من الوصل، وقد يكون التناسق الداخلي للجمل أقوى من وصلها برابط، وبتحدث عن أدوات الفصل مركزا على ما يأتي:

ضمير الفصل(هو) : ﴿**وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ (الأنفال–32).

ويسميه **الطبري** العماد في الكلام على قول الكوفيين.

- في الجملة المعترضة مثل: ﴿**إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ**﴾ سورة الواقعة (77).

- في الاستثناء المتقطع: مثل قوله تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ**﴾ (البقرة– 78)

[1] ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1997، ج1، ص: 59.

يقول ويخرج بإلا ما يعدها من ما معنى ما قبلها ومن صفته ويسمى ذلك بعض العربية استثناء متقطعا لانقطاع الكلام الذي يأتي بعد "إلا" عن معنى ما قبلها[1].

وقد حدد **الطبري** أغراض الفصل في الجمل في الآتي:

- إيضاح المعنى وبيانه.
- التفصيل بعد الإجمال.
- الاستطراد.
- الاستئناف.
- إجابة عن سؤال مقدر[2].

ولقد كانت دراسة **الطبري** للوصل والفصل في ثنايا تفسيره، دراسة ذكية خاصة في حديثه عن أغراضها، فقد عمل على تأويل الحروف الرابطة ووظائفها، وهو في هذا يقترب مما قدمه "**فان دايك**" عن الفصل والوصل، لكن هذا الأخير جعل الفصل مقترنا بأداة العطف "أو"، كما ربط كل ذلك بالمنطق الصوري وأسلوب التجريد[3].

يتضح لنا مما سبق أن **الطبري** لم يغفل الترابط بين الجمل و لم تقتصر دراسته على الجملة فحسب، بل تعدى ذلك إلى الوصل والفصل بين الجمل هذه الأخيرة التي تعد في الوقت الحالي من القضايا الهامة في لسانيات النص.

ب- البقاعي والدراسة النصية:

يعد كتاب **برهان الدين البقاعي** "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" من أبرز الكتب التي ألفت في قضايا الدراسات النصية، على مستوى التطبيق في التراث العربي، حيث أنه من الكتب السباقة في مضمار الربط بين الجمل، في المتتالية النصية، سواء على مستوى ربط السورة الواحدة، أو

---

(1) الموسوعة الشاملة للقرآن الكريم، قسم التفسير، شركة ميديا برو، مصر.

(2) رابح دوب، البلاغة عند المفسرين، ص 402-412، نقلا عن: نوال لخلف، الانسجام في القرآن الكريم، ص: 125.

(3) نوال لخلف، الانسجام في القرآن الكريم، ص: 126.

ربط السور المتتالية، والمتباعدة حتى أنه ربط سورة الناس بسورة الفاتحة، و لم يأل جهدا في ربط ما بينهما[1].

يقول **البقاعي** في حديثه في سورة الناس: «ومقصود هذه السورة معلول لمقصود الفاتحة، الذي هو المراقبة، وهي شاملة لجميع علوم القرآن، والتي هي مصادقة الله ومعاداة الشيطان، ببراعة الختام، وفذلكة النظام، كما كانت الفاتحة شاملة لذلك، لأنها براعة الاستهلال، ورعاية الجلال والجمال، فقد اتصل الآخر بالأول، اتصال العلة بالمعلول، والدليل بالمدلول، والمثل بالممثول»[2].

وفي تفسيره يركز **البقاعي** على ربط الجمل بعضها ببعضها الآخر، أكثر من عنايته بربط عناصر الجملة الواحدة، و لم يكن ذلك إنكارا منه لوجود الرابط، بل لأنه رأى أن ذلك أسهل، يقول: «وهذا العلم —يقصد علم المناسبات- ليكشف أن الإعجاز طريقتان : أحدهما[*] نظم كل جملة على حيالها بحسب التراكيب، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب، والأول أقرب تناولا»[3]، ويقول في توضيح الفكرة الثانية: « والذي ينبغي في كل آية، أن يبحث أو كل شيء، عن كونها تكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة، ما وجه مناسبتها لما قبلها»[4].

ويرى **البقاعي** أن الأسلوب هو الترتيب المخصوص في نظم الآي، فيقول في سورة البقرة: «ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضا بسبب ترتيبه، ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: معجز بسبب أسلوبه، أرادوا ذلك»[5]، ويؤكد أن المفسرين قصروا عن هذا الباب، لدقة مداخله، فيقول: «إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف، غير منتبهين لهذه الأسرار»[6]، وينظر إلى هذا العمل ليس عبثا وإضاعة للوقت بل له فوائده وثمراته، فيقول: «وثمرته — يقصد علم المناسبات- الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء، بسبب ما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو

---

(1) أنظر: عمر أبو خرمة، نحو النص، ص: 48.

(2) برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط$_1$، 1415هـ-1995م، ج$_8$،ص: 611.

(3) المرجع نفسه، ج$_1$، ص: 07.

(4) المرجع نفسه، ج$_1$، ص: 06.

(5) المرجع نفسه، ج$_1$، ص : 06.

(6) المرجع نفسه، ج$_1$، ص: 06-07.

كلحمة النسب، فعلم مناسبات القرآن، علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة، لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني، لما اقتضاه الحال»[1].

والعمل الذي حاول **البقاعي**، في هذا السفر، حاوله قبله نفر من علماء العربية، ولكن مع فارق أن أولئك كانوا يتحدثون بالمسألة، كلما عن لهم شيء من تلك المناسبات، ولكن البقاعي –غير مسبوق– ألزم نفسه بمنهج ثابت[2]، حيث أنه حاول ربط كل سورة بما قبلها، وكل آية بما قبلها وبما بعدها أيضا.

وهذا المنهج استعمله المفسرون عندما تكون الحاجة ماسة إلى مثل هذا الربط–من وجهة نظرهم– أو عندما يسألون عن علة مثل هذا الترتيب، في القرآن، ولكنهم –غالبا– كانوا ينصرفون عن مثل هذا المنهج من أجل أعمالهم، منشغلين في تفسير النص آية آية، أو جملة جملة، وفي أقصى اعتبار موضوعات منفصلة، دون الولوج إلى عوالم النص الداخلية، لاحتكام أجزائه بعضها ببعض[3].

ربما هذا كله يومئ بوجود مجموعة من القواعد والمبادئ العامة في ذهن **البقاعي** في نظره للنص على أنه ترابط الفقرات بعضها ببعض وتماسك فيما بينها لتكون لنا وحدة النص الكلية.

ويذهب إلى أن اسم كل سورة متعلق بما يرد فيها والعلاقة فيها علاقة تفصيل بعد إجمال، وهكذا يتبين لنا الدور الهام الذي قام به **البقاعي** في الدراسات النصية، وعلاقة ما قاله بما هو متداول الآن في لسانيات النص.

---

(1) البقاعي، المرجع السابق، ج1، ص 05.

(2) عمر أبو خرمة، نحو النص ، ص: 51.

(3) المرجع نفسه.

2- علـــوم القـــرآن:

أ- الزركشي والسيوطي :التنظير لعلم المناسبات:

يقترب مفهوم المناسبة بين الآيات والسور من مفهوم الانسجام، بـــل وبعبـــارة أخـــرى، إن البحث في انسجام النص القرآني يضطلع به علم المناسبة الذي يجعل للعرب والمسلمين السبق في إدراك علم النص، وفي تحليل النص على مستوى أعلى يتجاوز حدود الجملة الضيقة.

ويعد كتاب "البرهان في علوم القرآن" للإمام **الزركشي**، أحد علماء القرن الثامن الهجـــري (تـــ: 744 هـــ) وكتاب "الإتقان في علوم القرآن" للإمام جلال الدين **السيوطي** (تـــ: 911هـــ)، من أهم كتب علوم القرآن التي تناولت علم المناسبات تناولا تنظيريا، بعدما أفردا لهذا العلم فـــصولا خاصة به في كتابيْهما اللذيْن يعدان أشهر كتب علوم القرآن.

يذهب **الزركشي** في موضوع المناسبة بين الآيات، إلى أن ارتباط الآي بعضها ببعض علـــى قسمين: **القسم الأول**: تكون فيه الآية معطوفة على ما قبلها، ولا يبقى على المفسر إلا البحث عـــن الجهة الجامعة بينهما.

القسم الثاني: لا تكون فيه الآية معطوفة[1]،وإذ ذاك «لا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام، وهي قرائن معنوية مؤذنة بالربط»[2].

أما موضوع مناسبة خاتمة السورة للفاتحة، فقد أورد مثالين أكتفي بذكر أحدهما، الأول مـــن سورة القصص، والثاني من سورة المؤمنون، أشار إلى المناسبة لكن دون تعليق على نوعهـــا: يقـــول **الزركشي**: «وقد جعل الله فاتحة سورة المؤمنون «**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ** » وأوردها في خاتمتها «**إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**» فشتان بين الفاتحة والخاتمة»[3]، وتعتبر مناسبة خاتمة السورة لفاتحتها نوعا مـــن رد العجز على الصدر، ومن ذلك فهي تعتبر سمة مشتركة في دراسة النص الشعري والنص القرآني.

---

(1) محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 193.

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص :46.

(3) المرجع نفسه، ص: 186.

وتطرق **الزركشي** أيضا إلى مناسبة فاتحة السورة لخاتمة مـــا قبلها واعتبر ذلك أسلوبا معتمدا في القرآن الكريم.

وتكلم عن مناسبة السورة للحرف الذي بنيت عليه والمقصود من هذا النوع أن كـــثيرا مـــن السور مسماة أو مفتحة بحرف من حروف اللغة، وأن معظم الكلمات التي تتألف منها السورة يتراكم فيها هذا الحرف المكرر، وربما كانت دلالة الكلمات معضدة للسمات الصوتية لهذا الحرف[1].

ومن المواضع التي جاء بها **الزركشي**، المناسبة بين السورة واسمها، بحيث يذهب **الزركشي** إلى أن تسمية السورة باسم معين «ليس إلا تعضيدا لتقليد معلوم عند العرب، وهو تقليد يراعي في كـــثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه...ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسمـــاء ســـور الكتـــاب العزيز»[2].

أما **السيوطي** فقد بدأ في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" بذكر أهم المؤلفات التي تناولت علم المناسبة، ثم انتقل إلى ضبط المفاهيم والمصطلحات، ومادة البحث المنتهجة، يقول **السيوطي**: «المناسبة في اللغة المشاكلة ومرجعها في الآيات، ونحوها إلى معنى رابط بينها عام، أو خاص عقلي أو حـــسي خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلـــة والمعلـــول، والنظيرين والضدين ونحوه»[3].

العلاقات هذه التي ذكرها **السيوطي**، قد تكون واضحة بين الآيات والسور، خاصة إذا كانت على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل، وقد تكون خفية يكشف الارتباط بينـــها مـــن خلال قرائن معنوية كالتضاد والاستطراد، وحسن تخلص[4]، ولا يخلو تنظير **السيوطي** مـــن تقـــديم مجموعة من الأمثلة التطبيقية من الآيات والسور، تدعم وتؤكد أفكاره، يقول مثلا: «ومنـــه مناســـبة

---

(1) محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 196.

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 270.

(3) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الوقفية، بيروت، (د.ط)، 1973، ج1، ص: 108.

(4) نوال لخلف، الانسجام في علوم القرآن الكريم، ص: 122.

فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها حتى أن منها ما يظهر تعلقها به لفظا كما في جعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش»[1]، وهكذا في مواضيع المناسبات المختلفة.

وقد تكلم **السيوطي** عن تناسب السور في كتاب ألفه أيضا بعنوان "تناسق الدرر في تناسب السور" وحسب ما ذكره **السيوطي** في مقدمة الكتاب، يعد هذا الكتاب جزءا من كل أسماه "أسرار التزيل" تناول فيه ثلاثة عشر نوعا من علوم القرآن، خصص ستة أنواع منه للمناسبة سواء بين الآيات أو السور، وتناول فيه:

- **علاقة الإجمال بالتفصيل بين الصور**: وأبرز فيه أن السورة اللاحقة تفصيل لما أجمل (أو لبعض ما أجمل) في سورة سابقة[2].

- **الاتحاد والتلازم**: ويقصد **السيوطي** بالاتحاد والتلازم ذلك التناسب الذي يقوم بين سورتين، ويتجلى في:

- مناسبة خاتمة السورة الثانية لفاتحة السورة الأولى.
- تلازم لفظي كالجنة والنار.
- اتحاد معنوي كأن يذكر الأصل في سورة سابقة ثم يذكر الفرع في السورة اللاحقة.

يتضح من هذا دور المصنفين في علوم القرآن والذين اهتموا بدرجة أكبر حول انسجام النص القرآني دلاليا، دون إغفال ترابطه الشكلي واتساقه، ويدرك يقينا وعيهم بارتباط آي القرآن بعضها ببعض، وذلك ببحثهم في أنواع المناسبات والعلاقات القائمة بين الآيات من جهة، وبين السور من جهة أخرى.

ومساهمة كل من التراث اللغوي البلاغي والنحوي وكذا التراث النقدي، بالإضافة إلى علماء الدين، سواء المتخصصين في علم التفسير أو بعلوم القرآن الذين اهتموا ببلورة الكيفية التي يتآخذ ويتماسك بها النص القرآني وقد رأينا كيف أن البلاغيين والنحاة والنقاد والمفسرين والمصنفين في علوم القرآن، اجتهدوا جميعا من أجل إبراز كيفية تماسك النصوص الأدبية وأيضا تماسك النص القرآني، مع

---

(1) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص: 111.

(2) محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 198.

العلم أن الاهتمام بالتماسك النصي عند المفسرين والمصنفين في علوم القرآن لم يكن الانشغال الوحيد لهم، وإنما كان جزء من انشغال أشمل هو فهم القرآن وفهم الوجوه التي يقع فيها الإعجاز.

ومن كل ما تقدم ندرك يقينا وعي اللغويين والنقاد والمفسرين بأن دراستهم لا تتوقف عند حد الجملة، بل تتعدى إلى الربط بين أكثر من جملة، غير أنه لم تكن هناك نظرية كاملة لمعالجة النص بصفته وحدة كلية، ولكن لهم إشارات تستحق التقدير، ولا بد أن تعد لبنات كبرى وأساسية في بناء التحليل النصي.

الفصل الثاني
الاتساق في سورة الكهف

تمهيـــــد:

لا شك أن لسانيات النص تتعامل مع النص على أنه وحدة كلية، ولذلك كان المدخل إلى التحليل النصي عن طريق إبراز الخواص التي تؤدي إلى تماسكه، وتعطي تفصيلا لمكوناته التنظيمية النصية، وتعد المفارقات اللسانية من أهم طرائق دراسة النص، إذ إنها تركز في مستواها الأول على التلاحم بين أجزاء النص، وروابطه الداخلية، وهذا ما أدى بكثير من الباحثين المهتمين بالدراسات النصية إلى توجيه الأنظار إلى أحد الآليات المهمة في تماسك النصوص وتعالقها، وهي آلية الاتساق وهي من أهم الآليات المتحكمة والمساهمة في دراسة بنية النص، وإبراز مواطن تحقق التماسك فيه من عدمها، فكان بذلك لزاما أن نقوم بتجديد مفهومه وأهم أدواته قبل وضع السورة-الكهف- على محك التجربة والتطبيق ، على أن يبقى السؤال الأساسي والمهيمن على هذا الفصل هو: ما هي أهم وسائل الاتساق النصي التي أسهمت في تماسك هذه السورة؟

I- مفهــوم الاتســاق:

1- لغــة:

يقول ابن منظور في معجمه الشهير: «استَوْسقَت الإبل: اجتمعت، ووَسق الإبلَ: طردها وجمعها...واتَّسقت الإبل واستَوْسقَت: اجتمعت، وقد وسق الليل واتَّسق؛ وكل ما انضم، فقد اتَّسق، والطريق يأْتَسِقُ، ويتَّسِقُ أي ينضم...واتسق القمر: استوى، وفي التزيل: ﴿**فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ**﴾ **سورة الانشقاق(16-17-18)**. يقول ابن منظور، يقول الفراء: وما وَسَق أي وما جمع وضم. واتساق القمر: امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة... والوَسْق: ضم الشيء إلى الشيء...وقيل كل ما جُمع فقد وُسِقَ... والاتساق الانتظام»[1].

يتضح مما أورده ابن منظور أن كلمة الاتساق كثيرة المعاني، إلا أنها تكاد تجتمع في معاني معدودة رغم تشعب استخدامها، إذ تستخدم في مجملها في معاني: الاجتماع والانضمام، والانتظام

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص: 4284-4285.

والاستواء الحسن، وكل هذا ليس بعيدا بل يكاد يتفق مع معنى الاتساق في اصطلاح المهتمين بلسانيات النص، بل إن أحد هذه المعاني ما يؤدي معناه —أي الاتساق– بدقة متناهية.

وجاء في المعجم الوسيط «وسَقَت الدّابة تَسِقُ وسقًا، ووسوقًا: حملت، وأغلقت على الماء رحمها، فهي واسق.... ووسقتِ النخلة: حملت، ووسق الشيء: ضمه وجمعه...ووسَّقَ الحَبَّ: جعله وسْقًا وسْقًا، واتسق الشيء، اجتمع وانضم، واتسق انتظم، واتسق القمر: استوى وامتلأ، (اسْتَوْسَقَ) الشيء: اجتمع وانضم، يقال: استوسقت الإبل، واستوسق الأمر: انتظم»[1].

مما هو ملاحظ على ما جاء في المعجم الوسيط حول المادة (و.س.ق) وبالتحديد الاتساق أن معظم المعاني التي جاء بها فقد ذكرت في لسان العرب، وهي أيضا تحمل معنى الاجتماع والانتظام والانضمام وحمل الشيء مجتمعا، فهو أيضا لا يبتعد عن معنى الاتساق في الدراسات النصية الحديثة.

أما المعاجم الغربية فهي كذلك لم تبتعد عما جاء في المعاجم العربية القديمة والحديثة، وقد تتفق في بعض المعاني اللغوية للاتساق مع ما جاء في الدراسات النصية الحديثة، قد يفسر هذا كون هذا العلم —لسانيات النص– قد ظهر أول ما ظهر في الغرب قبل أن ينتقل إلى بقاع أخرى.

فقد جاء في معجم ***(OXFORD)*** بأن الاتساق هو «إلصاق الشيء بشيء آخر بالشكل الذي يشكلان وحدة مثل: اتساق العائلة الموحدة، وتثبيت الذرات بعضها ببعض لتعطي كلا واحدا...»[2]، ففي هذا المعجم يعني شدة الالتصاق، وتثبيت أجزاء الشيء الواحد بعضها ببعض.

يتضح مما سبق ذكره من المعاجم العربية وفي المعجم الغربي أنه يكاد يكون معنى الاتساق واحد، وهو يدور عموما حول الجمع والانتظام وانضمام الأجزاء وذلك بإلصاق بعضها ببعض في كل موحد، وهذه المعاني تقترب كثيرا من المفهوم الاصطلاحي للاتساق.

2- اصطلاحـــا:

---

(1) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص: 1032.

(2) OXFORD, (Advanced learner's Encyclopedia), (OXFORD: Oxford University Press, 1989), P 173.

يعد الاتساق[*] ***(Cohésion)*** أحد المصطلحات المحورية في الدراسات التي تندرج في مجال لسانيات النص، إذ يكاد يندر أن تجد باحثا في هذا المجال، لم يعط لهذا المصطلح كثير اهتمام، بل نستطيع القول أن الاتساق أحد المفاهيم الرئيسية في لسانيات النص، وهو يخص التماسك على المستوى البنائي الشكلي، إذ يعرفه محمد خطابي على أنه: «ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/ خطاب ما، يهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته»[1]، ومما هو واضح أن هذا التماسك لا يقتصر على أمر محدد بذاته، وإنما يتكون من مجموعة من أدوات الترابط النحوي والمعجمي التي تعتبر مكونات فعالة في تحقق الجانب الاتساقي، إذ لا يمكن أن نطلق على نص أنه متسق إلا إذا تحقق وجود مجموعة من الروابط التي تعمل على تماسكه.

ثم يعرج الباحث كيفية رصد تحقق الاتساق في نص من النصوص فيواصل قائلا: «ومن أجل وصف اتساق الخطاب/ النص يسلك المحلل- الواصف- طريقة خطية، متدرجا من بداية الخطاب (الجملة الثانية منه غالبا) حتى نهايته، راصدا الضمائر والإشارات المحيلة إحالة قبلية أو بعدية مهتما أيضا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف، والاستبدال، والحذف، والمقارنة، والاستدراك...كل ذلك من أجل البرهنة على أن النص/ الخطاب (المعطى اللغوي بصفة عامة) يشكل كلا متآخذا»[2].

وهذه الروابط التي ذكرها خطابي هي: الروابط التي عدها كل من "هاليداي و"رقية حسن" من أهم الروابط المساهمة في اتساق النص وتماسكه.

ويرى كل من "هاليداي و"رقية حسن" «أن مفهوم الاتساق مفهوم دلالي، إنه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص والتي تحدده كنص»[3].

---

[*] بُذلت جهود كثيرة لترجمة مصطلحي ***(Cohésion)*** و ***(Cohérence)*** وهي: (السبك/ الحبك) و(التماسك/التناسق) و(السبك/الالتحام)، وأخيرا الاتساق والانسجام، وعلى الرغم من الأصالة التي تربط مصطلحي السبك والحبك بالتراث البلاغي والنقدي عند العرب، إلا أن مصطلحي الاتساق والانسجام قد عنَّ استعمالهما بشكل واسع في الدراسات النصية.

[1] محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 05.

[2] المرجع نفسه، ص: 05.

[3] Halliday.M.A.K and R. Hassan, cohesion in English, longman, London, 1976, P: 04.

نقلا:محمد خطابي، المرجع السابق، ص: 15.

يتضح من هذا التعريف أن الباحثيْن قد حصرا مفهوم الاتساق في الجانب الدلالي، ولقد عقب على هذا محمد خطابي وبين بأن الاتساق لا يقتصر على الجانب الدلالي فحسب، وإنما يتم في مستويات أخرى، كالنحو والمعجم وقال بأن هذا: «مرتبط بتصور الباحثين للغة كنظام في ثلاثة أبعاد/ مستويات: الدلالة (المعاني)، والنحو- المعجم (الأشكال)، والصوت والكتابة (التعبير)، يعني هذا التصور أن المعاني فتتحقق كأشكال، والأشكال تتحقق كتعابير، وبتعبير أبسط: تنتقل المعاني إلى كلمات والكلمات إلى أصوات أو كتابة، ويزداد الوضوح من خلال الشكل التالي[1]:

المعاني **(النظام الدلالي)**

↙

الكلمات **(النظام النحوي-المعجمي- النحو والمفردات)**

↙

الأصوات/ الكتابة **(النظام الصوتي والكتابة)**

ويتجه المعنى العام للاتساق حسب "هاليداي" و"رقية حسن" في مفهوم النص، فدوْر الاتساق في نشأة النص إنما هو توفر عناصر الالتحام، وتحقيق الترابط بين بداية النص وآخره، دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة، فالترابط النصي هو الذي يخلق بنية النص، ومن أجل تحقيق ذلك الترابط النصي لا بد من توفير مجموعة من الظواهر التي تعمل على تحقيق الاتساق في مستوى النص، وهذه الوسائل هي: الإحالة، الضمائر، الاستبدال، الحذف، والربط والاتساق المعجمي[2].

أما محمد الشاوش فيعرف الاتساق «بكونه مجموعة الإمكانيات المتاحة في اللغة لجعل أجزاء النص متماسكة ببعضها بعض»[3]، فقوله «الإمكانات المتاحة في اللغة» هي إشارة واضحة إلى الروابط الشكلية، أو العناصر النحوية والمعجمية البارزة في اللغة التي تعمل على ربط أجزاء النص المختلفة.

---

[1] محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 15.

[2] عمر أبو حزمة، نحو النص، ص: 82-83 (بتصرف).

[3] محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 1421هـ-2001م، ط1، ج1، ص: 124.

أما صبحي إبراهيم الفقي، فقد قال: «بأن مصطلح ***"Cohérence"*** يستخدم للتماسك الدلالي، ويرتبط بالروابط الدلالية، بينما يعني مصطلح ***"Cohésion"*** العلاقات النحوية، أو المعجمية بين العناصر المختلفة في النص، وهذه العلاقة تكون بين جمل مختلفة أو أجزاء مختلفة من الجملة»[1].

ثم يردف قائلا: «ونرى بدلا من هذا الاختلاف أن المصطلحين يعنيان معا التماسك النصي، ومن ثم يجب التوحيد بينهما باختيار أحدهما وليكن ***"Cohésion"***، ثم نقسمه إلى التماسك الشكلي والتماسك الدلالي، فالأول يهتم بعلاقة التماسك الشكلية بما يحقق التواصل الشكلي للنص، والثاني يهتم بعلاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص من ناحية، وبين النص وما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى... ومن ثم فسوف نعتمد على مصطلح ***"Cohésion"*** بمعنى التماسك»[2]، فصبحي إبراهيم الفقي يجمع بين مصطلحي الاتساق والانسجام ليولد مصطلح يشمل المعنيين وهو: التماسك النصي.

أما من حيث الاستعمال –الاتساق– فقد عدنا إلى الباحث مفتاح بن عروس الذي أدلى بدلوه في موضوع الاتساق، حيث فضل أن يكون التفريق بين المصطلحين لغويا أولا فقال: «يقابل مصطلح الاتساق المصطلح الأجنبي ***"Cohésion"***، ويقابل مصطلح الانسجام المصطلح الأجنبي ***"Cohérence"***»[3]، وقد بين سبب تفريقه بين المصطلحين، إذ أنه رأى بعض الباحثين قاموا بدمج المصطلحين في مصطلح واحد، وهناك من يذكر أحدهما ويريد به المصطلح الآخر، إلى درجة الخلط بينهما.

والجدير مما هو ملاحظ حول مصطلح الاتساق، أنه يعاني أيضا شيئا من عدم الضبط في تحديد المفهوم، لأن بعضا من الباحثين يعطيه من الدلالة ما لا يحتمله أو يعطيه معنى غير دقيق، فقد يطلقه البعض على التماسك النحوي، كما فعل إبراهيم خليل في كتابه "في اللسانيات ونحو النص"، وأيضا كما سبق ذكره عند صبحي إبراهيم الفقي الذي جمع بين المصطلحين –الاتساق والانسجام– في مصطلح واحد هو التماسك النصي.

---

(1) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص: 95.

(2) صبحي إبراهيم الفقي، المرجع السابق، ج1، ص: 96.

(3) مفتاح بن عروس، حول الاتساق في نصوص المرحلة الثانوية (مقاربة لسانية)، مجلة اللغة والأدب، العدد 12، (الجزائر: جامعة الجزائر، ديسمبر 1997)، ص: 431.

وعلى الرغم من عدم دقة استعمال هذا المصطلح، فإنني أتبنى الفهم الذي يجعل الاتساق مرتبطا بالجانب الشكلي الترابطي للنص.

وانطلاقا من ذلك سنورد أدوات الاتساق.

II- أدوات الاتساق في سورة الكهف:

يمثل جانب الاتساق بعدا مهما في دراسة النص القرآني، لأنه يرتبط بجانب الانسجام في أمور كثيرة يرصدها متلقي النص، لذلك كان هدف هذه الدراسة في هذا الجزء هو استخراج الأدوات التي ساعدت على اتساق سورة الكهف، للوقوف على كيفية الترابط النصي، وطبيعة النظام اللغوي المشكل للسورة للوصول إلى القيمة الدلالية لها، لأن أي عمل لا يقتصر على الجانب الدلالي فقط، وإنما بالتعاضد والتكامل بين الشكل والدلالة، وهو الأمر الذي تسعى هذه الدراسة لرصده من خلال الكشف على الارتباط الكلي للسورة بأدوات الترابط النصي التي تعتبر معايير يمكن الاستناد إليها في الحكم على اتساق نص ما، مع العلم أن كل آلية من آليات الاتساق تنطلق من فكرة مختلفة عن الأخرى في علاقتها مع النص، لكن تتفق جميعها في القيام بدور لغوي يعد الأساس لتكون النص.

ومن أبرز من تكلم عن أدوات الاتساق، وأصبح بعدها مرجع النصانيين في ذلك، كتاب "الاتساق في الإنجليزية"، للثنائي "هاليداي" و"رقية حسن" حيث قام كتابهما على خمس أدوات هي:

1-الإحالة أو المرجعية ***(Référence).***

2-الاستبدال ***(Substitution).***

3-الحذف ***(Ellipse).***

4-الربط أو العطف ***(Conjonction).***

5-الاتساق المعجمي ***(Lexical cohésion).***

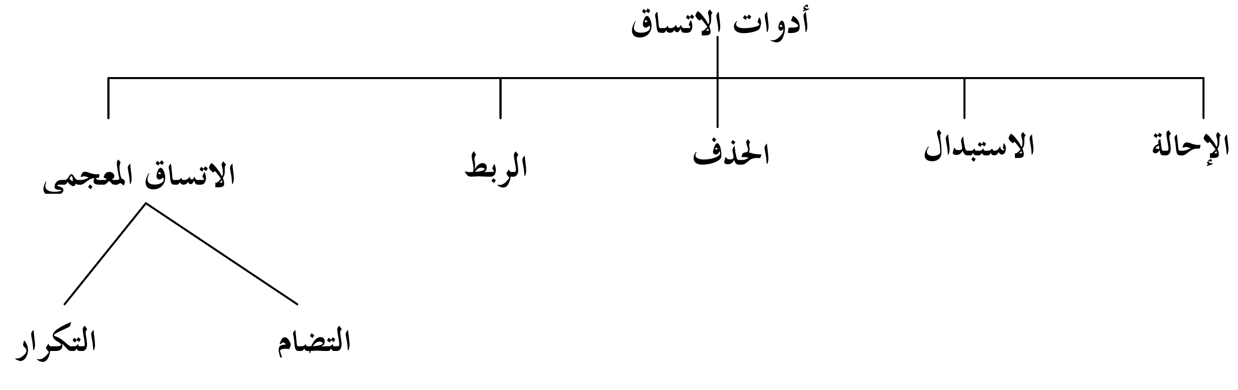

نبدأ بأولى هذه الأدوات:

1- الإحـــالـــة:

أ- مفهوم الإحالة:

تعتبر الإحالة مادة أولية يتكئ عليها محلل النص كي يثبت مدى اتساق نصه، وهي من أهم الأدوات التي تحقق هذا الاتساق و«تتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصة الإحالة»(1).

ويقول "جون لوينز" في سياق حديثه عن المفهوم التقليدي للإحالة: «إنها العلاقة القائمة بين الأسماء ومسمياتها»(2)، إذ أن الأسماء تحيل إلى المسميات.

وتطلق تسمية العناصر الإحالية –حسب الأزهر الزناد- على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص»(3).

ويتصل«النص الممتلك للعناصر الإحالية بعنصرين ضروريين محال ومحال إليه، وكلاهما يمتلك نفوذا داخل النص، وتحديدهما موكول إلى ثقافة المتلقي، وسياق النص»(4).

كما تطرق ميرفي ***Murphy*** للإحالة واعتبرها «تركيب لغوي يشير إلى جزء ما ذكر صراحة أو ضمنا في النص الذي يتبعه أو الذي يليه»(5)، وذلك أن العنصر المحال يعتمد على عنصر آخر محال إليه بحيث لا يمكن فهم الأول إلا بالعودة على مما يحال غليه وذلك لأن العناصر المحالة لا تملك دلالة مستقلة عن غيرها بل هي تابعة في دلالتها إلى عناصر أخرى.

ولذلك اعتبرت الإحالة علاقة بين العبارات ***Object*** والأحداث ***Events*** والمواقف ***Situations*** في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نص ما، إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس

---

(1) محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 17.

(2) ج. ب. براون، ج. يول، تحليل الخطاب، ص: 36.

(3) الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 118.

(4) فتحي رزق الله الخوالدة، تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الاتساق والانسجام، أزمنة للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط1، 2006، ص: 45.

(5) ريما سعد سعادة الجرف، مهارات التعرف على الترابط في النص، مجلة رسالة الخليج العربي، ع 07، د.ت، ص: 82.

عالم النص أمكن أن يقال عن هذه العبارات إنها ذات إحالة مشتركة، ومع أن هناك أنواع كثيرة من الإحالة المشتركة، فإنه قد اكتشف بأن الاشتراك في الإحالة من خلال الألفاظ الكنائية فقط، والألفاظ الكنائية من حيث المحتوى في الاستعمال مأخوذة من العبارات التي تشترك معها في الإحالة، وبهذا تختلف الألفاظ الكنائية عن هذه العبارات بطرق نظامية[1].

وتعتبر الألفاظ الكنائية من حيث إمكانية التطبيق لها مدى أوسع، حيث تخضع لقيود على ورودها حتى لا يتحول الفهم إلى إشكال لا ضرورة له، وتعد الضمائر أشهر أنواع من الكلمات الكنائية[2].

وقد استعمل الباحثان "هاليداي و"رقية حسن" مصطلح الإحالة استعمالا خاصا، وهو أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتمتلك كل لغة على عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي حسب الباحثين: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة[3]، وهي أهم وسائل الاتساق الحالية.

ب- أنواع الإحالة:

وتنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين: إحالة مقامية وإحالة نصية، وهذه الأخيرة بدورها تتفرع إلى: إحالة قبلية وإحالة بعدية، والرسم التالي يوضح أنواع الإحالة:

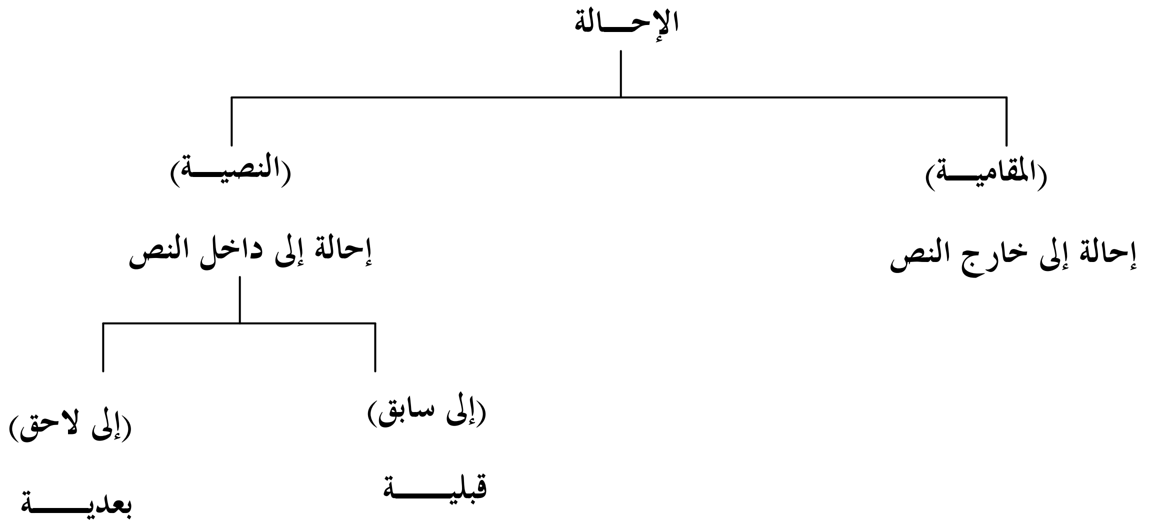

(1) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 320.
(2) المرجع نفسه، ص: 320 -321.
(3) محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 17.

يتضح من هذا الشكل أن الإحالة تنقسم إلى قسمين: إما إحالة خارج النص أو إحالة داخل النص، ورغم الاختلاف بينهما إلا أنهما يشتركان في وجود عنصر محال إليه في مكان آخر، وهذا ما سيظهر من خلال تحديد مفهوم كل نوع.

1- الإحالــة المقاميــة:

وتسمى أيضا إحالة خارج النص، أو الإحالة إلى غير مذكور كما يسميها الدكتور "تمام حسان" ترجمة لمصطلح دي بوجراند ***"Exphoric Référence"***، وهي ترجع إلى أمور تستنبط من الموقف لا من عبارات تشترك معها في الإحالة في نفس النص أو الخطاب[1]، وبذلك فإن هذا النوع من الإحالة يمكن أن يُحدث نوعا من التفاعل بين النص والخطاب والموقف السياقي.

ويعرفها "الأزهر الزناد" بقوله: «هي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي؛ كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم، حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم، ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته، في تفاصيله أو مجملا إذ يمثل كائنا أو مرجعا موجودا مستقلا بنفسه، فهو يمكن أن يحل عليه المتكلم»[2]، بحيث تكون الإشارة إلى خارج النص.

ولا يتم هذا النوع من الإحالة إلا بمعرفة الأحداث وسياق الحال، والمواقف التي تحيط بالنص أو الخطاب، حتى يمكن معرفة الشيء المحال إليه، ولهذا يجعلنا نُبرز الأهمية الكبرى لمعرفة مناسبات النزول في دراستنا للنص القرآني، إذ كثيرا ما يصعب علينا تحديد عودة الضمير بسبب عدم معرفة سبب النزول.

2- الإحالة النصية أو داخل النص (أو داخل اللغة ***Endophora***) :

للإحالة النصية دور هام في خلق ترابط كثير من جزئيات النص، ذلك أنها تحيلنا إلى ملفوظ آخر داخل النص، ومن ثم فهي تعتبر مساهمة فعلية حقيقية في اتساق النص، فوجودها يبعد تشتت النص، فهي رابط يقوي أواصر العناصر المتباعدة إذ هي بمثابة صدى لوجه، بحيث لا يفهم هذا الوجه إلا بالعودة إلى مصدر الصدى.

---

[1] دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 332.

[2] الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 119.

وفي هذا النوع من الإحالة لا بد من المتلقي من العودة إلى العناصر المحال إليها، فهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ، سابقة كانت أو لاحقة، فهي إحالة نصية، وتنقسم بدورها إلى قسمين(1):

أ- الإحالــة القبلية *Anaphora*:

وهي إحالة على سابق أو إحالة بالعودة، وهي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص أو المحادثة[2]، وتعود على مفسر سبق التلفظ به[3]، وفيها يجري تعويض لفظ المفسر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد الضمير.

وقد لاقى هذا النوع من الإحالة اهتماما كبيرا عند النحاة العرب، وذلك عندما اشترطوا رجوع الضمير المطابق للاسم إذا كان بين الجملتين رابط[4]، واشترطوا أيضا عودة الضمير على مرجع واحد سابق له لأن هذا هو الأقرب في الكلام، وذلك لأن الضمائر كلها لا تخلوا من إبهام وغموض سواء للمتكلم أو المخاطب أو للغائب، وعليه فلا بد لها من شيء يزيل إبهامها ويفسر غموضها[5].

وتشمل الإحالة بالعودة على نوع آخر من الإحالة يتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد، وهو الإحالة التكرارية ***(Epanaphora)***، وتمثل الإحالة بالعودة أكثر أنواع الإحالة دورانا في الكلام[6]، وأمثلته في القرآن الكريم كثيرة جدا، سوف نبين منها ما هو موجود في سورة الكهف.

(1) الأزهر الزناد، المرجع السابق، ص: 118.
(2) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ص: 38.
(3) أحمد عفيفي، نحو النص، ص: 117.
(4) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص: 281.
(5) عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط6، (د.ت)، ص: 119.
(6) الأزهر الزناد، المرجع نفسه، ص: 119.

ب- الإحالـــة البعديـــة:

أو الإحالة على لاحق ***(Catafora)***: وهو استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سوف تستعمل لاحقا في النص أو المحادثة[1]، بحيث تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحقا عليها[2]، وأبرز أبواب النحو العربي توضيحا لها "ضمير الشأن"[3]، ومثاله قوله تعالى: ﴿**قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ**﴾:الإخلاص 01.

فالضمير "هو" وهو ضمير الشأن يحيل إلى لفظ الجلالة (الله)، ومثال الجمل والعبارات؛ الجمل التفسيرية التي تفسر جملة أو عبارة، كما في أسماء السور والجمل الأولى منها، بل أحيانا الكلمة الأولى منها[4]، وهذا ما سنوضحه لاحقا.

وتتفرع وسائل الاتساق الإحالية، كما أسلفنا الإشارة إليها إلى ثلاث: الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة، وسنتناولها حسب ذكرها:

1- الضمائــر:

تقوم الضمائر في نظر علماء لسانيات النص بدور فعال، مع عناصر الإحالة الأخرى، في اتساق النص لذا كانت لها أهمية بالغة في أبحاثهم.

وتنقسم الضمائر إلى وجودية مثل: أنا- أنت- نحن- هو- هم- هن...إلخ، وإلى ضمائر ملكية مثل : كتابي- كتابك- كتابنا...إلخ[5].

وإذا نظرنا إلى الضمائر من زاوية الاتساق، أمكن التمييز فيها بين أدوار الكلام التي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم، والمخاطب، وهي إحالة لخارج النص بشكل نمطي، ولا تصبح إحالة داخل النص أي اتساقية، إلا في الكلام المستشهد به... ولا يخلو النص من إحالة خارج النص

---

(1) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص: 40.

(2) أحمد عفيفي، نحو النص، ص: 117.

(3) صبحي إبراهيم الفقي، نفس المرجع، ص: 40.

(4) المرجع نفسه، ص: 40

(5) محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 18.

تستعمل فيها الضمائر المشيرة إلى الكاتب (أنا، نحن) أو إلى القارئ (القراء) بالضمائر (أنت، أنتم) "هذا بالنسبة لأدوار الكلام"[1].

أما فيما يخص الضمائر التي لها دور هام في اتساق النص، فهي التي يسميها "هاليداي ورقية حسن" "أدوار أخرى" وتندرج ضمنها ضمائر الغيبة إفرادا وتثنية وجمعا (هو، هي، هم، هن، هم)، وهي تحيل قبليا بشكل نمطي إذ تقوم بربط أجزاء النص وتصل بين أقسامه.

لذلك نعتبر أن إحالة ضمائر التخاطب إحالة مقامية (خارج النص) ولا يمكن أن تكون مقالية (داخل النص) فإنها لا تساهم في تحقيق تناسق النص، أي أنها لا تربط لاحقا بسابق أو بعبارة أخرى لا يكون مفسرها مقاليا، وأن إحالة ضمائر الغائب إحالة مقالية ولا يمكن أن تكون مقامية، وبالتالي فهي تساهم دوما في تحقيق تناسق النص أو بعبارة أخرى، يكون مفسرها مقاليا دائما، لأنها تربط دائما لاحقا بسابق[2]، فالدور الهام في اتساق النص بالنسبة للضمائر يكمن في ضمائر الغيبة.

2- **أسماء الإشارة**: وهي الوسيلة الثانية من وسائل الاتساق الإحالية

يذهب الباحثان "هاليداي" و"رقية حسن" إلى أن هناك عدة إمكانيات لتصنيفها، إما حسب الظرفية: الزمان (الآن، غدا...)، والمكان (هنا، هناك...)[3]، أو حسب الإشارة المحايدة: وتكون بـــ *"The"* أي ما يوافق أداة التعريف[4]، أو الانتقاء (هذا، هؤلاء...) أو حسب البعد (ذاك، تلك...) والقرب (هذه، هذا...).

ومما هو ملاحظ فإن أسماء الإشارة تقوم بالربط القبلي والبعدي، وإذا كانت أسماء الإشارة بشتى أصنافها محيلة إحالة قبلية، بمعنى أنها تربط جزء لاحق بجزء سابق، ومن ثم تساهم في اتساق النص، فإن اسم الإشارة المفرد يتميز بما يسميه المؤلفان (الإحالة الموسعة)، أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل[5].

---

(1) محمد خطابي، المرجع السابق، ص: 18.
(2) محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج1، ص: 127.
(3) محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 19.
(4) محمد الشاوش، المرجع نفسه، ص: 128.
(5) محمد خطابي، المرجع نفسه، ص: 19.

3- المقارنــة:

لقد اعتبر الباحثان "هاليداي و"رقية حسن" المقارنة أحد أدوات أو وسائل الاتساق إلى جانب الإشارة والضمائر، وقد صنفا المقارنة إلى صنفين: عامة يتفرع منها التطابق ويتم باستعمال عناصر مثل: (***Same***... نفسه) والتشابه (وفيه تستعمل عناصر مثل ***Similar***... متشابه) والاختلاف باستعمال عناصر مثلا (***Other, Otherwise***...آخر، بطريقة أخرى).

وإلى خاصة تتفرع إلى كمية تتم بعناصر مثل: (***More***...أكثر)، وكيفية (أجمل من، جميل مثل...) وكل هذه تقوم بوظائف اتساقية تربط بين أجزاء النص[1].

وقد ذكر الباحثان أن نفس المبادئ التي تعمل في أنواع الإحالة الأخرى تعمل في المقارنة أيضا[2]، بحيث تكون إحالة قبلية كما قد تكون إحالة بعدية، كما تكون ذات إحالة خارج النص أيضا.

ج- التحليل النصي للسورة:

غلبت على هذه السورة الإحالة النصية، وخصوصا منها الإحالة على سابق لكون هذا العنصر أكثر انتشارا في معظم النصوص وخصوصا منها النص القرآني، وباعتبار الضمير أكثر الوسائل الإحالية انتشارا، فقد ساهم –في سورة الكهف- بدور عال في تكون نسيج النص... فكان منه من رجع إلى أفكار سابقة، وهناك من يرجع إلى كلمات أو فقرات أو جمل، ولهذا بعد النظر تبين أن أغلب الإحالات في السورة إحالات على سابق، وأغلب هذا النوع هو الضمائر لذلك كان اقتصارنا عليه في هذه الدراسة، هذا مع وجود الإحالات الأخرى لكن بدرجة أقل بكثير من هذا النوع.

لكن في بداية الأمر، ينبغي علينا أن نتطرق إلى الموضوع الأساسي الذي تدور حوله السورة، وذلك من أجل أن ندرك العلاقة بين وسائل الاتساق وموضوع السورة.

ولأن سورة الكهف مكية، فقد عُولج فيها قضية الإسلام الأولى وهي القضية الكبرى والأساسية وهي قضية العقيدة.

---

[1] محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 19.

[2] محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ص: 129.

فالسور المكية يقع التركيز فيها على العقيدة وأمور التوحيد وأركان الإيمان كاليوم الآخر والملائكة والنبيين[1]، ونبذ الشرك ووسائله، فهي صراع بين الإيمان والكفر.

ولكون سورة الكهف أجزاء أو قصص مختلفة فهي تشمل مقدمة في الآيات الثمانية الأولى ثم تأتي قصة أصحاب الكهف من الآية التاسعة (09) إلى الثالثة والعشرين (23)، وتعقيب عليها، من الآية (27) إلى الآية (31)، ثم قصة الرجلين من الآية (32) إلى الآية (44)، والتعقيب عليها من الآية (45) إلى الآية (49) تليها مباشرة إشارة إلى قصة السجود لآدم في آية واحدة وهي الآية (50) والتعليق عليها من الآية (51) إلى الآية (59)، ثم قصة موسى مع الخضر من الآية (60) إلى الآية (82)، ثم بعدها قصة ذي القرنين من الآية (83) إلى الآية (99)، ثم التعليق عليها، وخاتمة السورة من الآية (100) إلى الآية (110).

ولا شك أن للإحالة دورا كبيرا في اتساق السورة بأكملها أو اتساق القصص منفردة فكيف ساهمت الإحالية بالضمير في تماسك واتساق كل قصة، وأيضا هل هناك من ضمائر إحالية ساهمت في تماسك كل هذه القصص مجتمعة؟

يكون البدء بمقدمة هذه السورة والتي تمتد من أول آية إلى الآية الثامنة، فكان الافتتاح بحمد الله تعالى على إنزال الكتاب على عبده، وجعل هذا الكتاب يحمل صفات الكمال، كونه كلام رب العزة ﷻ، فكان الحديث عن وظائف هذا الكتاب، وبعدها كان الحديث عن الرسول ﷺ الذي أُنزل عليه هذا الكتاب.

فقد جاءت افتتاحية السورة متضمنة لعدة حقائق أساسية وفي نفس الوقت مجملة، الحقيقة الأولى: توجيه الثناء المطلق لله ﷻ، والثانية: مزايا الكتاب المترل على عبده الله ورسوله، والثالثة: حقيقة الرسول الذي أنزل عليه الكتاب، والحقيقة الرابعة: تتحدث عن المسؤولية والحساب والأجر، والخامسة: حقيقة أن العلم المبني على تعاليم الوحي يوصل إلى القيم الثابتة، وآخر هذه الحقائق هي: أن الحياة الدنيا بمباهجها وزينتها... الهدف من خلقها وإيجادها هو ابتلاء البشر، ومآلها الزوال والفناء[2].

---

[1] عبد العزيز عتيق، دراسات في علوم القرآن، ص: 60.

[2] مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط5، 1428هـ-2007م، ص: 191-193.

وبما أن البداية كانت بحمد الله تعالى، فقد كان هناك ما يُحيل إلى لفظ الله ﷻ وهي: الذي، أنزل، عبده، يجعل، لدنه، به، إنا، جعلنا، لنبلوهم، وإنا.

فقد ذكر لفظ الجلالة في بداية السورة صراحة «الحمد **لله**»، وذلك في الآية الأولى، وذكرت بعدها الضمائر متأخرة عن المحال إليه، ولهذا كانت الإحالة، إحالة داخلية على لفظ سبق ذكره.

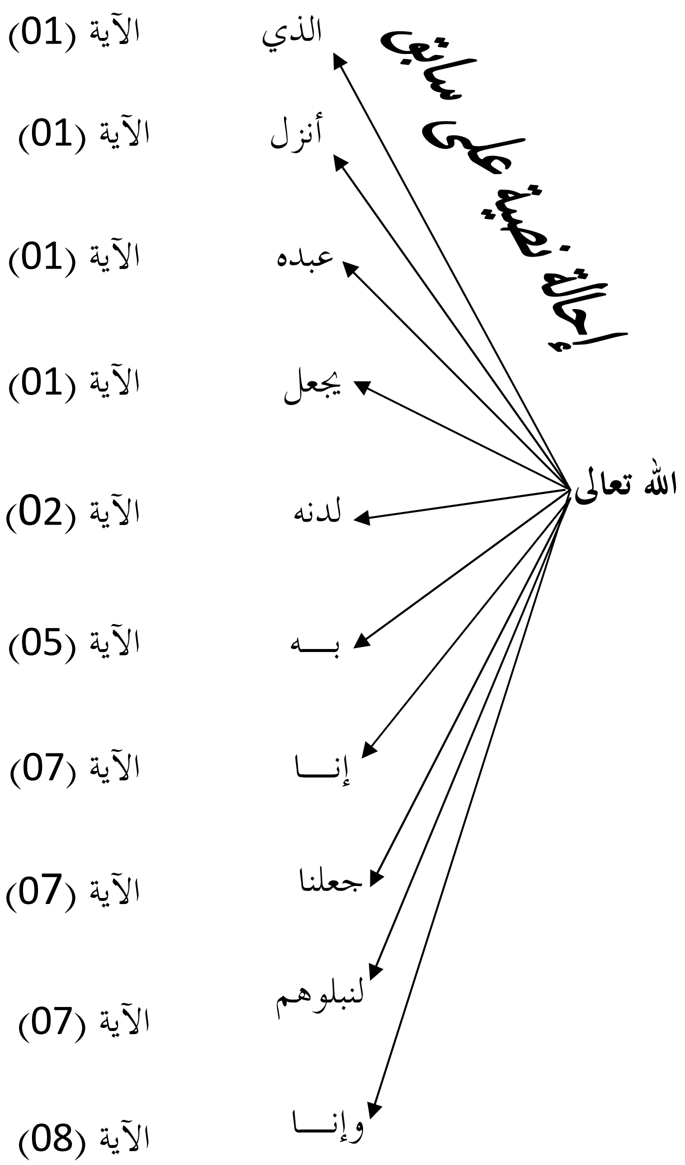

يتبين أن الإحالة هنا على سابق وهو لفظ "الله" ﷻ، وقد تواجدت في كل من الآية الأولى، الثانية، الخامسة، السابعة والآية الثامنة، وتواجدها في كل هذه الآيات من بداية المقدمة إلى نهايتها، دلالة واضحة على الاتساق الظاهر والتماسك النصي للمقدمة، فكان هذا النوع من الإحالة أحد وسائل الاتساق في هذا الجزء من السورة.

هذا بالنسبة للمحال إليه الأول "لفظ الجلالة"، أما العنصر الثاني المحال إليه، هو رسول الله ﷺ والمشار إليه بلفظ "عبده" وهي صفة من صفاته ﷺ، ثم جاءت الإحالة عليه في ألفاظ: ينذر، يبشر، ينذر، فلعلك، نفسك.

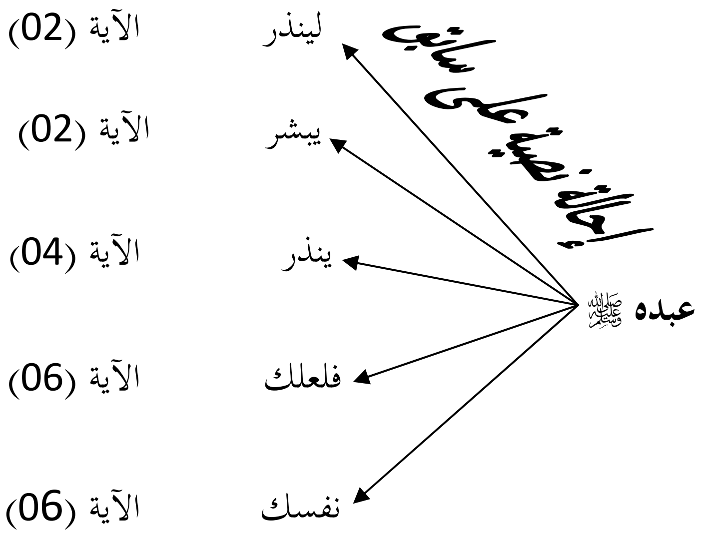

من خلال هذه الإحالات كان هناك نوع من الاتساق والتماسك بين أجزاء هذه الافتتاحية – المقدمة- لأن كل من الإحالات الموجودة في الآية الثانية والرابعة والسادسة، كان هناك نوع من إلزامية الرجوع إلى الأولى لفهم المحال إليه، وهذه الإحالة إحالة داخلية على سابق.

أما ثالث العناصر المحال إليها في مقدمة هذه السورة هو لفظ: الكتاب، وقد أحيل إليه بـــ: له، هذا.

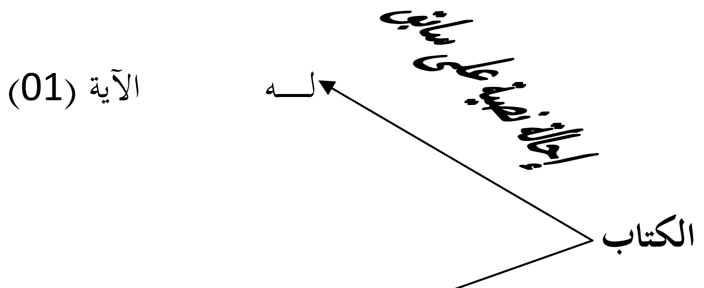

فهذه العناصر الثلاثة "الله" ﷻ و"محمد" ﷺ و"الكتاب" وهو القرآن الكريم، والإحالات التي تعود عليها، ساهمت في اتساق هذه الآيات الثماني الأولى والتي تمثل افتتاحية أو مقدمة السورة.

لكن السؤال المطروح: هل الإحالات إلى هذه العناصر الثلاثة استمرت في باقي آيات السورة، أم اقتصرت على هذه الافتتاحية فقط؟

عن طريق الإحصاء تبين أن الإحالات التي تعود إلى لفظ "الله ﷻ الموجودة في الآية الأولى، قد استمر وجودها في باقي أجزاء السورة وبدرجة كبيرة هذا باستثناء السماء الظاهرة للفظ الجلالة والتي سنتحدث عنها في قسم التكرار.

والجدول الإحصائي الآتي يوضح لنا انتشار الإحالة عن أجزاء السورة المختلفة باستثناء الآيات الثماني الأولى التي سبق ذكرها:

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية
الله ﷻ	آياتنا	إحالة داخلية على سابق	الآية (09)
	آتنا	إحالة داخلية على سابق	الآية (10)
	لدنك	إحالة داخلية على سابق	الآية (10)
	هيئ	إحالة داخلية على سابق	الآية (10)
	فضربنا	إحالة داخلية على سابق	الآية (11)
	لنعلم	إحالة داخلية على سابق	الآية (12)
	نحن نقص	إحالة داخلية على سابق	الآية (13)
	ربطنا- دونه	إحالة داخلية على سابق	الآية (14)
الله ﷻ	دونه	إحالة داخلية على سابق	الآية (15)
	ينشر- يهيئ	إحالة داخلية على سابق	الآية (16)
	نقلب	إحالة داخلية على سابق	الآية (18)
	بعثنا- اعلم	إحالة داخلية على سابق	الآية (19)
	أعلم	إحالة داخلية على سابق	الآية (22)
	اعلم- له- دونه- حكمه	إحالة داخلية على سابق	الآية (26)
	وجهه- ذكرنا	إحالة داخلية على سابق	الآية (28)
	إنا اعتدنا	إحالة داخلية على سابق	الآية (29)

	إنا لا نضيع	إحالة داخلية على سابق	الآية (30)
	جعلنا- حففنا- جعلنا	إحالة داخلية على سابق	الآية (32)
	فجرنا	إحالة داخلية على سابق	الآية (33)
	الذي- خلق- سوى	إحالة داخلية على سابق	الآية (37)
	هو	إحالة داخلية على سابق	الآية (38)
	يؤتي- يرسل	إحالة داخلية على سابق	الآية (40)
الله ﷻ	هو	إحالة داخلية على سابق	الآية (44)
	نسير- حشرنا- نغادر	إحالة داخلية على سابق	الآية (47)
	نجعل	إحالة داخلية على سابق	الآية (48)
	قلنا- دوني	إحالة داخلية على سابق	الآية (50)
	ما أشهدت- وما كنت	إحالة داخلية على سابق	الآية (51)
	جعلنا	إحالة داخلية على سابق	الآية (52)
	صرفنا	إحالة داخلية على سابق	الآية (54)
	وما نرسل	إحالة داخلية على سابق	الآية (56)
	إنا جعلنا	إحالة داخلية على سابق	الآية (57)
	عجل	إحالة داخلية على سابق	الآية (58)
	أهلكنا- وجعلنا	إحالة داخلية على سابق	الآية (59)
	آتينا- علمنا	إحالة داخلية على سابق	الآية (65)
	مكنا- آتينا	إحالة داخلية على سابق	الآية (84)
	يعذبه	إحالة داخلية على سابق	الآية (87)
	لم نجعل	إحالة داخلية على سابق	الآية (90)
	أحطنا	إحالة داخلية على سابق	الآية (91)
	جعل	إحالة داخلية على سابق	الآية (98)
	عرضنا	إحالة داخلية على سابق	الآية (99)
	عرضنا	إحالة داخلية على سابق	الآية (100)
الله ﷻ	أعتدنا	إحالة داخلية على سابق	الآية (102)
	ننبئكم	إحالة داخلية على سابق	الآية (103)
	فلا نقيم	إحالة داخلية على سابق	الآية (105)

مما يلاحظ على الانتشار الواسع لهذا النوع من الإحالة، هو ذلك التماسك الحاصل بين آيات هذه السورة، بحيث تجعل منها كلا موحدا تأخذ نهايته ببدايته، وتجعل الناظر إلى دلالات هذه الآيات يرى بأن السورة في تناسق من بدايتها إلى نهايتها، وأن وحدات هذه السورة على الرغم من تميز كل وحدة بموضوع يختلف عن الآخر، إلا أن الموضوع الأساسي وهو الإيمان والكفر أو بالأخص العقيدة، بحيث يؤيد الله المؤمنين ويكون لهم عونا على النصر، وعكس ذلك يكون للكافر، جعل موضوعات هذه السورة تتوحد وساعدهما على ذلك الإحالات المذكورة سابقا، لتجعل من آيات السورة متماسكة، بعيدة عن استقلال كل وحدة عن غيرها.

أما ثاني هذه العناصر المحال إليها في هذه المقدمة، رسول الله ﷺ، فقد ورد ذكره في أول آية "عبده"، وبعدها كان ذكر الإحالات إليه من الآية (01) إلى الآية (110)، وهذا الانتشار الواسع للإحالة على شخص رسول الله ﷺ، شيء واضح وطبيعي، كون أن هذه السورة سبب نزولها هو «سؤال ﷺ عن الروح وأهل الكهف وذي القرنين»[1]، ولذلك انتشرت الإحالات إليه في كافة هذه السورة كما هو موضح في الجدول الإحصائي: الإحالات إلى رسول الله ﷺ من الآية (09) إلى الآية (110)

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية
رسول الله ﷺ	عليك	إحالة داخلية على سابق	الآية (13)
	وترى(*)	إحالة داخلية على سابق	الآية (17)
	وتحسبهم	إحالة داخلية على سابق	الآية (18)
	قل	إحالة داخلية على سابق	الآية (22)
	ولا تقولن	إحالة داخلية على سابق	الآية (23)
	وأذكر- وقل	إحالة داخلية على سابق	الآية (24)
	قل	إحالة داخلية على سابق	الآية (26)
	واتل	إحالة داخلية على سابق	الآية (27)
رسول الله ﷺ	واصبر- ولا تعْد- ولا تطع	إحالة داخلية على سابق	الآية (28)
	وقل الحق	إحالة داخلية على سابق	الآية (29)

---

[1] مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص: 174.

رسول الله ﷺ	واضرب	إحالة داخلية على سابق	الآية (32)
	واضرب	إحالة داخلية على سابق	الآية (45)
	وترى	إحالة داخلية على سابق	الآية (47)
	فترى	إحالة داخلية على سابق	الآية (49)
	وإن تدعهم	إحالة داخلية على سابق	الآية (57)
	قل هل ننبئكم	إحالة داخلية على سابق	الآية (103)
	قل لو كان البحر	إحالة داخلية على سابق	الآية (109)
	قل إنما أنا بشر	إحالة داخلية على سابق	الآية (110)

وهذا الانتشار الواسع للإحالات في مختلف أجزاء السورة يوحي إلى تحقق الاتساق والتماسك بين موضوعاتها المختلفة في وحدة نصية كلية، تجعل من الرسول الكريم المخاطَب الأول لإخبار قومه على هذه الحقائق خصوصا في الإحالات عن طريق اللفظ "قل".

أما ثالث هذه العناصر —الكتاب– فلم يكن واسع الانتشار كالعنصرين السابقين، إلا أن وجوده في أجزاء مختلفة من السورة، من البداية إلى النهاية سواء بلفظه أو بضمائر تعود إليه فإنه يبين لنا ذلك الاتساق وتلك الوحدة الكلية للسورة.

- فكان وروده بلفظة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ الآية: 01.
- ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ﴾ الآية: 27.
- ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾ الآية: 56.
- ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ الآية: 105.
- ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى﴾الآية: 109.

(*) هناك من يعتبرها إلى غير معين، مثل الطاهر بن عاشور.

أما الضمائر:

- ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ الآية: 01.
- ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ ﴾ الآية: 06.
- ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴾ الآية: 54.

من خلال هذا التواجد الواسع للضمائر المحالة إلى العناصر الثلاثة السابقة ذكرها، حيث وجدت الإحالات إلى هذه العناصر في كافة موضوعات السورة، تبين لنا ذلك الاتساق النصي بين أجزاء النص المختلفة، وظهر ذلك التعالق بين الآية الأولى من افتتاحية السورة وبين بقية آيات السورة المختلفة، هذا كله بالنسبة لعلاقة مقدمة السورة بالموضوعات الأخرى، أما من حيث اتساق كل وحدة أوكل جزء من أجزاء السورة بعضه ببعض عن طريق الإحالة فيكون توضيحه كلا على حدى:

1- قصة أصحاب الكهف: وهي من الآية (09) حتى الآية (26)

أصحاب الكهف هم فتية آمنوا، وتمردوا على الظلم والطغيان وآواهم الكهف، بعد لجوئهم إلى كنف بارئهم ليجعل لهم من أمرهم رشدا[1]، فكانت الصفة التي أطلقت عليهم "أصحاب الكهف"، وتعتبر هذه الصفة هي محور ارتكاز هذه القصة في السورة.

وتبين لنابوضوح كيف ذكرت هذه الصفة وبعدها جاءت الإحالات لتعود عليها، فكانت بداية القصة قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ الآية: 09، ولأن "أصحاب الكهف" هم أساس الحديث في هذه القصة فقد جاءت الإحالات إليهم وذلك وفق الجدول الإحصائي الآتي:

---

(1) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص: 207.

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية
أصحاب الكهف	كانوا	إحالة نصية على سابق	الآية (09)
	فقالوا- ربنا- آتنا- لنا- أمرنا	إحالة نصية على سابق	الآية (10)
	آذانهم	إحالة نصية على سابق	الآية (11)
	بعثناهم	إحالة نصية على سابق	الآية (12)
	نبأهم- إنهم- آمنوا- بربهم- وزدناهم	إحالة نصية على سابق	الآية (13)
	قلوبهم- قاموا- فقالوا- ربنا- قلنا	إحالة نصية على سابق	الآية (14)
	قومنا	إحالة نصية على سابق	الآية (15)
	فأووا- لكم- ربكم- لكم- أمركم	إحالة نصية على سابق	الآية (16)
	كهفهم- تقرضهم- وهم	إحالة نصية على سابق	الآية (17)
أصحاب الكهف	وتحسبهم- وهم- نقلبهم- كلبهم- عليهم- منهم- منهم	إحالة نصية على سابق	الآية (18)
	بعثناهم- بينهم- منهم- قالوا- قالوا- لبثتم-فابعثوا- أحدكم- بورقكم- فليأتكم- بكم	إحالة نصية على سابق	الآية (19)
	عليكم- يرجموكم- أو يعيدوكم- تفلحوا	إحالة نصية على سابق	الآية (20)
	عليهم- عليهم- ربهم- عليهم	إحالة نصية على سابق	الآية (21)
أصحاب الكهف	رابعهم- كلبهم- سادسهم- كلبهم- ثامنهم- كلبهم- بعدتهم- ما يعلمهم- فيهم- فيهم	إحالة نصية على سابق	الآية (22)
	لبثوا- كهفهم- ازدادوا	إحالة نصية على سابق	الآية (25)
	لبثوا	إحالة نصية على سابق	الآية (26)

الناظر إلى هذا الجدول الإحصائي، يلاحظ ذلك الانتشار الواسع للإحالات إلى "أصحاب الكهف"، حيث أنه وفي ست عشرة آية فقط، كانت هنالك حوالي سبعين إحالة وكلها على مذكور وهو "أصحاب الكهف" فكانت الإحالة نصية على سابق ساهمت في ربط وحدات القصة مما جعل

"قصة أصحاب الكهف" متسقة اتساقا محكما في بدايتيها وحتى نهايتها بضمائر متصلة وأخرى منفصلة، أحالت إحالة قبلية إلى الآية الأولى من هذه القصة فحدث بذلك هذا التماسك النصي في موضوع من موضوعات السورة بأداة واحدة من أدوات الاتساق، على غرار الأدوات الأخرى التي ستذكر في محلها.

ويأتي بعد هذه القصة تعقيب عليها مباشرة وذلك من الآية (27) إلى الآية (31)، وفي هذا الجزء تتحول الإحالة من أصحاب الكهف إلى الإحالة إلى الله ﷻ والرسول ﷺ، وعن كتاب الله الكريم، وكذا أصحاب الجنة والنار، أما العناصر الثلاثة الأولى فقد سبق ذكرها، أما أصحاب الجنة والنار فجاءت كالآتي:

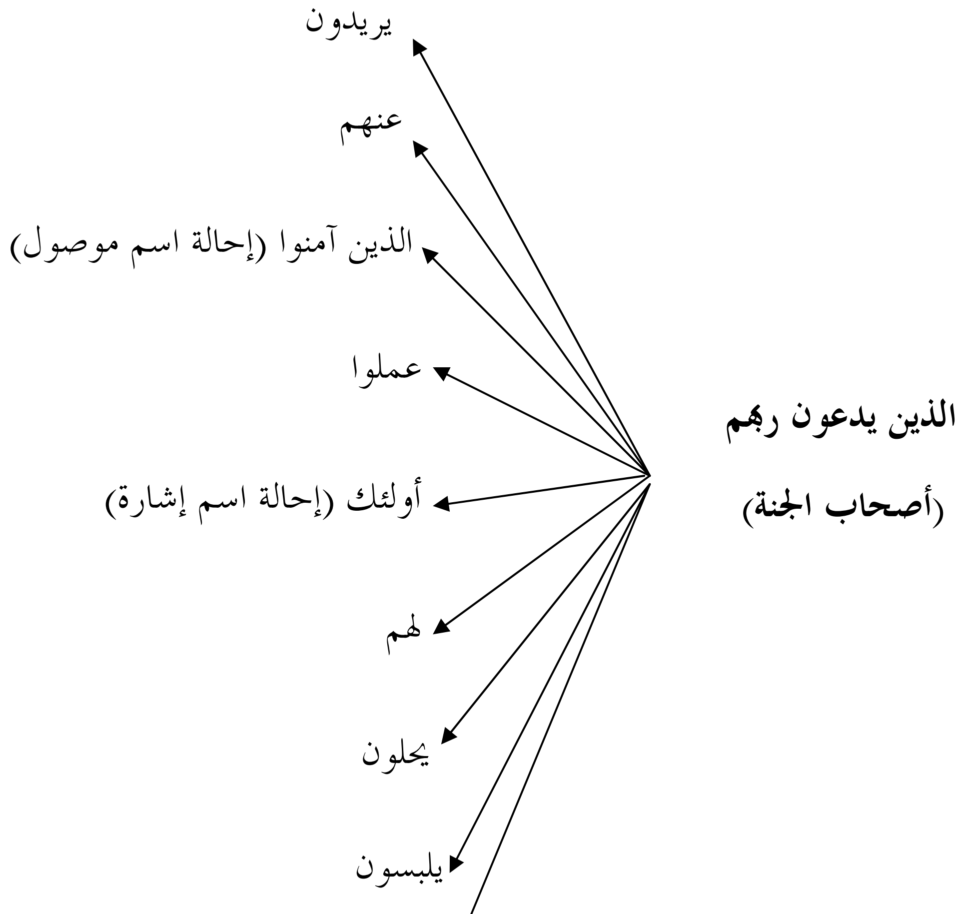

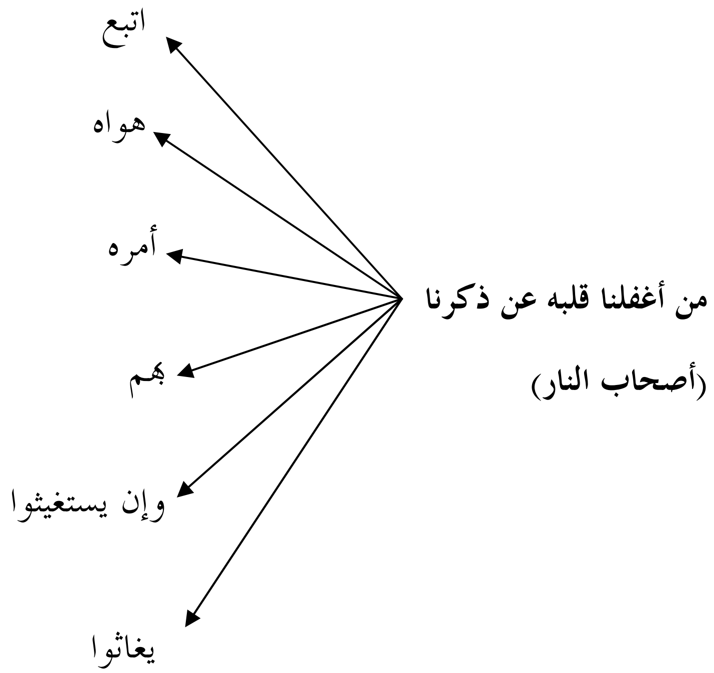

أما القصة الثانية فهي قصة الرجل الكافر والرجل المؤمن من الآية (32) إلى الآية (44)، «وهي حوار بين أخوين من بني إسرائيل أحدهما مؤمن والآخر كافر، ورثا مالا عن أبيهما، فاشترى الكافر بماله حديقتين وأنفق المؤمن ماله في مرضاة الله حتى نفذ، فعيّره الكافر بفقره فأهلك الله مال الكافر، منصفا موقف العبد المؤمن، فكان مثلا حيا للإنسان المؤمن الذي يعمل لطاعة الله، والكافر الذي أبطرته النعمة»[1].

فالعناصر الأساسية للقصة والتي تعود عليهم الإحالة هي: الرجلان (مجتمعان) ثم كل واحد على حدى (الكافر والمؤمن)، وأيضا آخر هذه العناصر هو: "الجنتان".

فالعنصر الأول: الرجلان أحيل إليه بلفظ "أحدهما" وهي إحالة نصية على سابق وهي قريبة المدى.

أما العنصر الثاني: الرجل المؤمن، فالضمائر الإحالية تعود على لفظ "صاحبه".

أما العنصر الثالث: الرجل الكافر، فالضمائر الإحالية تعود على اللفظ "له".

[1] إسماعيل بودشيش، معالم قرآنية- سورة الكهف، محاولة قرآنية هيكلية، دار النشر إديسون 48، البليدة، الجزائر، (د.ط)، 2003، ص: 21.

وفي العنصر الرابع: تعود الإحالات على لفظ "جنتين"، كما هو موضح في الجدول الإحصائي التالي:

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية
الرجلان	أحدهما	إحالة نصية على سابق	الآية (32)
(الرجل المؤمن) لصاحبه	يحاوره- منك	إحالة نصية على سابق	الآية (34)
	هـــو	إحالة نصية على سابق	الآية (35)
	ربي- أشرك- بربي	إحالة نصية على سابق	الآية (38)
	إن ترن- أنا	إحالة نصية على سابق	الآية (39)
	ربي- يؤتين	إحالة نصية على سابق	الآية (40)
الرجل الجاحد "لــــه"	له- قال لصاحبه- وهو- أنا	إحالة نصية على سابق	الآية (34)
	ودخل- جنته- وهو- لنفسه- قال- ما أظن	إحالة نصية على سابق	الآية (35)
	وما أظن- رددت- ربي- لأجدنّ	إحالة نصية على سابق	الآية (36)
	له- صاحبه- يحاوره- أكفرت- خلقك- سواك	إحالة نصية على سابق	الآية (37)
	دخلت- جنتك- قلت- إن ترن- منك	إحالة نصية على سابق	الآية (39)
	جنتك- فلن تستطيع- بثمره- يقلب- كفيه- ما أنفق- يقول- يا ليتني- لم أشرك- بربي	إحالة نصية على سابق	الآية (42)
	له- ينصرونه- وما كان	إحالة نصية على سابق	الآية (43)
الجنتـــان	حففناهما- بينهما	إحالة نصية على سابق	الآية (32)
	أُكُلُهَا- خلالهما	إحالة نصية على سابق	الآية (33)
	هـــذه	إحالة نصية على سابق	الآية (35)
	منـــها	إحالة نصية على سابق	الآية (36)
	عليها- فتصبح	إحالة نصية على سابق	الآية (40)
	مـــاؤها	إحالة نصية على سابق	الآية (41)
	فيها- وهي- عروشها	إحالة نصية على سابق	الآية (42)

مما هو ملاحظ على كل هذه الإحالات، أنها إحالات داخلية نصية تحيل على شيء سبق ذكره، في بداية هذه القصة، فحققت بذلك اتساقا نصيا جاوز التحام كل آية بعضها ببعض إلى تلاحم وترابط أجزاء القصة كاملة، فكانت وحدة نصية كلية متماسكة الأطراف من بدايتها إلى نهايتها، فتسلسلت الأحداث حدثا تلو الآخر، كان سبب ذلك كله، الدور الذي لعبته هذه الإحالة.

ثم يأتي بعد ذلك التعقيب وهو من الآية (45) إلى غاية الآية (59): حيث يضرب مثلا للحياة الدنيا وزينتها، وموقف الناس فيها[1]، ثم تعرض مشاهد يوم القيامة، وهي بمثابة النتائج لتصرفات المغرورين بالقيم الزائفة في الحياة الدنيا[2]، ثم يأتي الحديث عن قصة آدم مع الملائكة وإبليس، عندما أمرهم ربهم بالسجود إلى آدم وموقف إبليس من الأمر بالسجود.

وكان الحديث أيضا عن موقف الناس من الذكر الحكيم، والحكمة من إرسال المرسلين، وإهلاك القرى الظالمة، وفي هذا الجزء من السورة انتشرت إحالات كان لها عامل الربط بين أجزاء الآية الواحدة، وكذلك كان هناك نوع من الإحالات تربط بين الأجزاء المختلفة من هذا التعقيب وهي كالآتي:

الإحالات التي أحدثت اتساقا داخل كل آية مفردة:

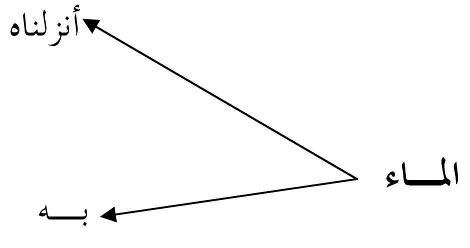

يقول العلامة محمد الطاهر بن عاشور: «"به" ضمير عائد إلى "ماء" أي فاختلط النبات بسبب الماء، أي اختلط بعض النبات ببعض»[3]، وهي إحالة داخلية على سابق قريبة المدى.

---

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص: 204.

[2] مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص: 242.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، والدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، 1984، ج14، ص: 331.

وهي أيضا إحالات داخلية على سابق قريبة المدى، أسهمت في تماسك هذه الآية.

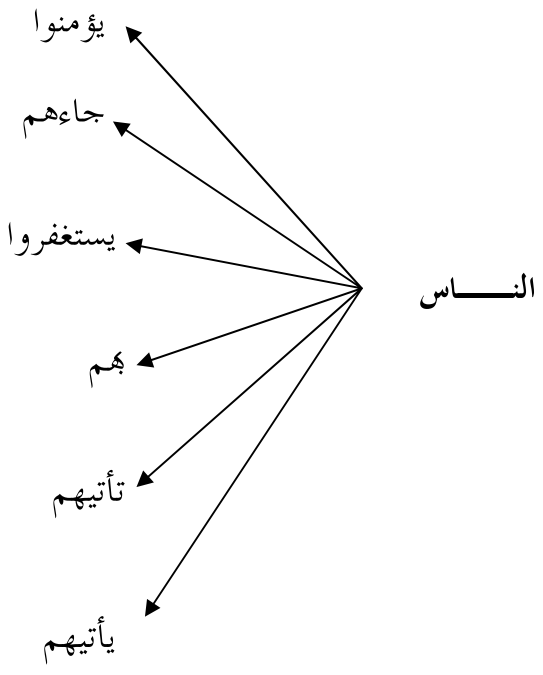

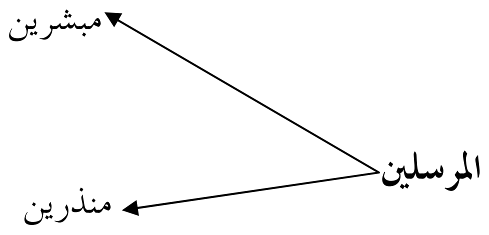

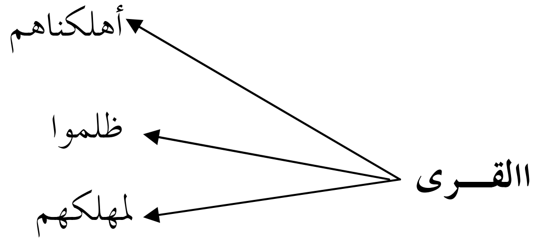

وكل هذه أيضا إحالات داخلية على سابق وهي تدور كل منها داخل الآية التي وجدت فيها مما أسهمت في تماسك واتساق هذه الآيات.

أما الإحالات الموجودة في هذا **التعقيب** والتي ساهمت في اتساق عدة آيات من هذا التعقيب بدلا من اتساق الآية مفردة من مثل قوله تعالى: «**أَفَتَتَّخِذُونَهُ**» والضمير هنا عائد على المشركين، أيضا في الآية (57) في قوله: «**أَنْ يَفْقَهُوهُ**» الضمير هنا عائد على القرآن الكريم.

وفي قوله تعالى أيضا في الآية (58): «**لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا**» الضمير هنا عائد على المشركين.

وهذه الإحالات الأخيرة هي أيضا إحالات على سابق بعيدة المدى، وقد ساهمت في اتساق هذا الجزء من السورة والمتمثل في التعقيب والحديث عن قصة آدم وإبليس.

أما إذا انتقلنا إلى القصة الرابعة من القصص الموجودة في هذه السورة والمتمثلة في **قصة موسى عليه السلام مع الخضر** وهي من الآية (60) إلى الآية (82)، فإننا نجد أن هناك ثلاثة عناصر محورية دارت عليها القصة ومن ثم الإحالة، وهي موسى عليه السلام، الفتى، والرجل الصالح (الخضر).

أما الضمائر الإحالية العائدة على موسى عليه السلام فعددها حوالي سبع وثلاثين إحالة، كما هي موضحة في الجدول الإحصائي التالي:

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية
موسى عليه السلام	فتاه- أبرح- أبلغ- أمضي	إحالة نصية على سابق قريبة المدى	الآية (60)
	قال- لفتاه	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	الآية (62)
	قال- أتبعك- تعلمني	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	الآية (66)
	قال- ستجدني- أعصي	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	الآية (69)
	اتبعتني- تسألني- لك	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	الآية (70)
	قـــال	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	الآية (71)
	لك- إنك- تستطيع	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	الآية (72)
	قال- لا تؤاخذني- نسيت- ترهقني- أمري	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	الآية (73)
	قـــال	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	الآية (74)
	لك- إنك	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	الآية (75)
موسى عليه السلام	قال- سألتك- تصاحبن- بدني	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	الآية (76)
	قـــال	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	الآية (77)
	وبينك- سأنبئك- تستطع	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	الآية (78)
	تستطع	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	الآية (82)

أما العنصر الثالث "الفتى" فالضمائر الإحالية التي تعود عليه فهي كالآتي:

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية
الفتـــى	آتـــــنا	إحالة نصية على سابق	الآية (62)
	قال- فإني- نسيتُ- أنسانيه- أذكر	إحالة نصية على سابق	الآية (63)

أما الإحالات العائدة على العنصر الثالث وهو "الرجل الصالح فهي كما في الجدول الإحصائي التالي:

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية
الرجل الصالح	آتيناه- علّمناه	إحالة نصية على سابق	الآية (65)
	له- اتبعك- تعلمني- عُلّمت	إحالة نصية على سابق	الآية (66)
	قال- معي	إحالة نصية على سابق	الآية (67)
	ستجدني- لك	إحالة نصية على سابق	الآية (69)
	قال- اتبعتني- فلا تسألني- أحدث	إحالة نصية على سابق	الآية (70)
	خرقها- قال- أخرقتها- لتغرق- جئت	إحالة نصية على سابق	الآية (71)
	قال- أقل- معي	إحالة نصية على سابق	الآية (72)
	لا تؤاخذني- ترهقني	إحالة نصية على سابق	الآية (73)
	فقتله- أقتلت- جئت	إحالة نصية على سابق	الآية (74)
	قال- أقل- معي	إحالة نصية على سابق	الآية (75)
	سألتك- تصاحبني- بلغت- لدني	إحالة نصية على سابق	الآية (76)
	فأقامه- شئت- لتخذت	إحالة نصية على سابق	الآية (77)
الرجل الصالح	قال- بيني- سأنبئك	إحالة نصية على سابق	الآية (78)
	فأردت- أعيبها	إحالة نصية على سابق	الآية (79)
	فعلته- أمري	إحالة نصية على سابق	الآية (82)

وتوجد ضمائر إحالية مشتركة منها ما تعود على موسى الطَيْكِلاً والفتى، وأخرى تعود على موسى الطَيْكِلاً والرجل الصالح، وهي كالآتي:

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية
موسى الطَيْكِلاً والفتى	بلغا- نسيا- حوتهما	إحالة نصية على سابق	الآية (61)
	جاوزا- آتنا- غداءنا- لقينا- سفرنا	إحالة نصية على سابق	الآية (62)
	أوينـــا	إحالة نصية على سابق	الآية (63)
	كنـّــا- فارتدا- آثارهما	إحالة نصية على سابق	الآية (64)
	فوجـــدا	إحالة نصية على سابق	الآية (65)
موسى الطَيْكِلاً والرجل الصالح	فانطلقا- ركبا	إحالة نصية على سابق	الآية (71)
	فانطلقا- لقيا	إحالة نصية على سابق	الآية (74)
	فانطلقا- أتيا- استطعما- يضيفوهما- فوجدا	إحالة نصية على سابق	الآية (77)

وكل هذه الضمائر الإحالية قد ساهمت مساهمة كبيرة في اتساق نص هذه القصة، وذلك عن طريق الإحالة الداخلية أو النصية على عناصر سبق ذكرها في بداية القصة، وهذه العناصر هي: موسىالطَيْكِلاً، وفتاه، والرجل الصالح، وهي العناصر المحورية والأساسية لها، وهذا الانتشار الواسع للإحالات دلالة واضحة على التماسك، ومما هو ملاحظ على هذه الإحالات أنه كلما ازداد دور الشخصية في القصة، كلما ازداد وجود الضمائر الإحالية العائدة عليها.

أما القصة الخامسة من قصص سورة الكهف فهي **قصة ذي القرنين**، ورحلاته الثلاث إلى الغرب والشرق وإلى السدين، وبناؤه للسد في وجه يأجوج ومأجوج، والعنصر الأساسي الذي تعود إليه الإحالات وهي شخصية "ذي القرنين" وهي الشخصية المحورية لهذه القصة، وهناك عناصر أخرى محال إليها مثل: "يأجوج ومأجوج"، فتعود الضمائر الإحالية أولا على ذي القرنين كما هو موضح في الجدول الإحصائي الآتي:

رقم الآية	نوعها	الإحالة	المحال إليه
الآية (83)	إحالة نصية على سابق قريبة المدى	منـــــه	ذو القـــرنين
الآية (84)	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	له- وآتيناه	
الآية (85)	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	فاتبـــع	
الآية (86)	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	بلغ- وجدها- ووجد- تعذب- تتخذ	
الآية (87)	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	قال- نعذبه	
الآية (88)	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	وسنقول- أمرنا	
الآية (89)	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	أتبـــع	
الآية (90)	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	بلغ- وجدها	
الآية (91)	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	لديـــه	
الآية (92)	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	اتبـــع	
الآية (93)	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	بلغ- وجـــد	
الآية (94)	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	لـــك- تجعل	
الآية (95)	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	قال ما مكني ربي فأعينوني- أجعل	ذو القـــرنين
الآية (96)	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	آتوني- آتوني أفرغ	
الآية (98)	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	قال- ربي- ربي	

أما الضمائر الإحالة التي تعود إلى العنصر الثاني في هذه القصة فهي كالآتي:

رقم الآية	نوعها	الإحالة	المحال إليه
الآية (94)	إحالة نصية على سابق قريبة المدى	مفسدون- بينهم	يأجوج ومأجوج
الآية (95)	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	بينـــهم	
الآية (97)	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	اسطاعوا- يظهروه- استطاعوا	
الآية (99)	إحالة نصية على سابق بعيدة المدى	بعضهم- فجمعناهم	

إن هذه الإحالات والإحالات التي سبق ذكرها والعائدة على شخصية ذي القرنين، قد ساهمت في تماسك هذه الوحدة من السورة، مما جعلها في اتساق نصي مستقل عن الأجزاء الأخرى على الرغم من وجود إحالات على عناصر أخرى من السورة تربط هذا الجزء بأجزاء السورة، فهي من جهة متماسكة بعضها متسق بجانب بعض، ومن جهة أخرى تعتبر في اتساق وتلاحم مع الوحدة الكلية النصية للسورة.

ثم يأتي بعد هذه القصة **تعقيب** أو خاتمة هذه السورة، وهذه الخاتمة لها علاقة مع افتتاحية السورة وكذا مع المحاور الموجودة داخل هذه السورة، وذلك ناتج عن الدور الذي لعبته الإحالة في هذا التعقيب، حيث كانت الإحالات تعود على عناصر سبق ذكرها في البداية وهي الله ﷻ، والرسول ﷺ، وكتاب الله الكريم، مما يوحي بذلك الاتساق العجيب بين آيات ووحدات هذه السورة، كل وحدة على حدى، بالإضافة إلى اتساق هذه الوحدات مع بعضها البعض مكونة وحدة نصية كلية، وهذه الوحدة كان أحد أسباب تكونها، هي هذه الإحالات التي سبق ذكرها، لكن السؤال المطروح: ما مدى مساهمة أدوات الاتساق الأخرى في تماسك السورة؟

2- الحـــــذف:

إن ضرورة تعبير الإنسان عن حاجاته وعن الأحداث المحيطة به، جعله يقع في صعوبة ذكر كل هذه الحاجات والأحداث، لأن ذكر كل شيء يتطلب طول الزمان لاستماع المتلقي إليه، على ما في هذه الإطالة، من الملل وذكر ما لا يستحق ذكره، ولذلك يلجأ المتكلم إلى الحذف، وهذا الأخير ظاهرة لغوية اختصت به جميع اللغات الإنسانية دون استثناء، بحيث يقوم المتكلمون بحذف بعض العناصر المكررة في الكلام، أو بعض ما يستحق حذفه ويفهم من خلال المقام أو المقال، ولذلك أخذت العناية من قبل أصحاب الاهتمام، من لغويين وغيرهم، فبينوا حقيقة هذه الظاهرة، لكن السؤال المطروح الذي يبقى يدور في الأذهان: ما دور هذه الظاهرة في اتساق الكلام؟ وهل يمكن لشيء محذوف أن يربط بين الكلام؟ ويكون له دور في تماسك النصوص؟

أ- مفهوم الحذف:

يدور **المعنى اللغوي** لمادة (حَ.ذَ.فَ) حول القطْع من الطرف خاصة، والطرح والإسقاط، جاء في لسان العرب: حذف الشيء يحذفه حذفا: قَطَعَهُ من طَرَفِهِ، وقال الجوهري: حذف الشيء إسقاطه، ومنه حذفت من شعري... أي أخذت[1].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص: 774.

أما **اصطلاحا** فقد ذكره "**كريستال** ***Crystal***" في موسوعته ومعجمه تحت مصطلح "***Ellipses***" وهو حذف جزء من الجملة الثانية، ودل عليه دليل في الجملة الأولى[1]، فالمحذوف من الجملة الثانية يدل عليه دليل في الجملة الأولى، فيؤكد كريستال هنا على وجود دليل لقيام الحذف.

أما "**دي بوجراند**"، فيذهب إلى أنه: «استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة، وأطلق عليه تسمية الاكتفاء بالمبنى العدمي[2]، والاكتفاء هنا إشارة إلى أن الحذف لا يعد نقصان في النص، وإنما يحقق الوحدة لهذا النص، ويذهب الباحثان "**هاليداي**" و"**رقية حسن**" بأن الحذف «علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أن الحذف عادة قبلية»[3].

ويكثر الحذف في النصوص دون الجمل المنفصلة، والذي يساعد على ذلك هو أن النص بنـــاء يقوم على التماسك، والاتساق، وهذان العاملان يساعدان مُنشئ النص علـــى الاختـــصار، وعـــدم الإحالة بذكر معلومات فائضة[4].

ولذلك اهتم النحاة والبلاغيون وأهل التفسير بهذه الظاهرة، قديما وحديثا، ولقد اعتبرها **الجرجاني** طريقة في الربط أفضل من الاعتماد على الذكر، يقول في تعليل ما ذهب إليه: «الحذف باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد من الإفادة... وتجدُك أَنْطَقَ ما تكون إذا لم تنطق، وأَتَمَّ ما تكون بيانا إذا لم تُبِنْ...» [5]، ورأيه هذا ينم عن رأي مصيب، وبصيرة نافذة بهذه الظاهرة.

---

(1) Crystal, the Cambridge Encyclopedia, P: 119.

نقلا عن: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج2، ص: 191.

(2) دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 340.

(3) محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 21.

(4) صلاح الدين صالح حسنين، الدلالة والنحو، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005، ص: 253.

(5) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص: 117.

ب- أنماط الحــذف:

أما عن أنماط الحذف المختلفة، فنجد أنها تبدأ من حذف الحركة والصوت ثم الحرف ثم الحركة والعبارة، وكذلك الجملة وما فوقها، وهي أنماط لا تخرج عن تقسيمات علماء النحو العربي، يقول **ابن جني** (تــ: 392هــ): «قد حذفت العرب الجملة والمفرد، والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك وإلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته»[1]، فشرط الحذف عنده توفر الدليل.

وأما **ابن هشام** فقد أفرد قسما خاصا تحدث فيه عن القضايا المتعلقة بالحذف، وقدم فيه أنماط الحذف مفصلة، وقد اتبع في ذلك ما اقترحه **ابن جني** وهذا ملخصه:

أولا: حذف الاسم، كما في حذف الاسم المضاف، والمضاف إليه، واسمين مضافين، وثلاثة متضايفات، والموصول الاسمي، والصلة، والموصوف، والصفة والمعطوف والمعطوف عليه، والمبدل منه، والمؤكد، والمبتدأ والخبر.

ومما هو ملاحظ أن في هذه المحذوفات المذكورة من هو اسما أو عبارة وحتى جملة، لن من بين هذه المواضع مثلا الحال ووقوعه جملة واردة، والقول ينطبق على الخبر والصفة.

ثانيا: حذف الفعل، وهو على ضربين: الأول: أن تحذفه والفاعل فيه، والثاني: أن تحذف الفعل وحده.

ثالثا: حذف الحرف، وهو على نوعين: الأول حرف زائد على الكلمة مما يجيء بمعنى، كحذف حرف العطف، وواو الحال، وما النافية للجنس، وما المصدرية، وحرف النداء...إلخ، والنوع الثاني: حذف حرف من نفس الكلمة.

رابعا: حذف الجملة، كما في حذف: جملة القسم، وجواب القسم، وجملة الشرط، وجملة جواب الشرط.

---

(1) ابن جني، الخصائص، ج2، ص: 140.

خامسا: حذف الكلام بجملته.

سادسا: حذف أكثر من جملة[1].

أما "**هاليداي**" و"**رقية حسن**" فقد ذكرا ثلاثة أنواع للحذف هي:

1- **الحذف الاسمي**: ويعني حذف اسم داخل المركب الاسمي مثل: (أي سيارة ستركب؟) هذه هي الأفضل، أي هذه السيارة.

2- **الحذف الفعلي**: ويقصد به الحذف داخل المركب الفعلي، مثل: (هل كنت تسبح؟ نعم فعلت).

3- **الحذف داخل شبه جملة**، مثلا: (كم ثمنه؟ واحد دينار)[2].

مما هو ملاحظ عن الأمثلة المقدمة، فإن الحذف يقوم بدور اتساقي، على الرغم من أن هذا الدور يختلف عن الدور الذي تلعبه الإحالة، لأن في الحذف لا يوجد أثر عن المحذوف فيما يلحق من النص إلا ما دلّ عليه دليل من السياق.

وبما أن الحذف يرتبط بالبنية السطحية، فإننا وجدنا من الباحثين، من قام بالربط بين ظاهرة الحذف والنظرية التحويلية حيث أن الطريقة التي يقدمها النحو التحويلي في تفسير ظاهرة الحذف شبيهة بما قدمه النحو العربي، وما يسميه التحويليون بقواعد الحذف الإجباري شبيهة بما سماه نحاة العرب القدماء بالحذف الواجب، حيث لا تكون الجملة صحيحة نحويا إلا إذا ظهر المحذوف في الكلام، أي في بنية السطح على حد تعبير التحويليين[3]، وقد أكد الدكتور **طاهر حمودة** على المعنى عند الحذف وعلى القرائن الحالية والمقالية وذلك يدخلنا في حيز السياق النصي[4].

---

[1] أنظر بالتفصيل: ابن جني، الخصائص، ج2، ص: 140-158.

- ابن هشام، مغني اللبيب، دار إحياء الكتب العلمية، فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ت.
- صبحي إبراهيم الفقي، علم لغة النص، ج2، ص: 193-194.
- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج2، ص: 1178-1212.

[2] محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 22.

[3] طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 1999، ص: 14.

[4] المرجع نفسه، ص: 15-18.

أما عن المواضع التي يكثر فيها الحذف فقد ذكراها **"هاليداي"** و**"رقية حسن"** جملة الاستفهام لأنها تعد الدرجة القصوى للحذف المعجمي، وسبب ذلك أن جملة الاستفهام تشمل على دليل الحذف، وذكرا أنواعا أخرى للحذف واعتبراها مهمة في التحليل النصي هو: حذف بعض الأحداث دون البعض في التسلسل الزمني للقصة... والحذف السببي مثل قوله تعالى: ﴿**فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا**﴾ **البقرة، الآية: 60** أي: فضرب فانفجرت، ومنها حذف الزمان والمكان... وغيرها من الحذف القصصي.

وقد لاحظا الباحثان أن أكثر الأنماط قياما بمهمة التماسك النصي هي:

1- حذف الاسم، 2- حف الفعل، 3- حذف العبارة، 4- حذف الجملة، 5- حذف أكثر من جملة[1].

وهذا الذي سيكون عليه التحليل النصي للسورة لاحقا، لكن هناك جوانب لها علاقة بهذه الأنماط من الحذف، مثل الإحالة والاستبدال وضرورة وجود الدليل، وهذه هي موضوعاتنا التالية على الترتيب.

ج- علاقة الحذف بالإحالة:

يعتبر الحذف ذو طبيعة مرجعية سابقة، «وذلك أن شرط الحذف هو العلم بالمحذوف، وهذه الكلمة هي الأساس الذي تدور عليه ظاهرة الحذف، لأن الحذف دون توفر القرينة والدليل من باب تكليف الغيب والرجم به[2]، ووجود القرينة والدليل هو بمثابة المرجع والإحالة.

وأحيانا تكون مرجعية الحذف خارجية، وهذه تعتمد على سياق الحال الذي يمدنا بالمعلومات التي تسهم في تفسير المثال، لكن الحذف المرجعي للخارج –خارج النص-، ليس له مكان في التماسك[3] النصي كونه لا يربط بين وحدات النص المختلفة، فأماكن تواجد هذا النوع على مستوى الجملة الواحدة لا على مستوى الجمل المترابطة.

---

(1) صبحي إبراهيم الفقي، علم لغة النص، ج2، ص: 196.

(2) أنظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج2، ص: 1148.

(3) صبحي إبراهيم الفقي، علم لغة النص، ج2، ص: 201.

والجملة الواحدة ليس فيها مذكور –في الغالب- يدل على المحذوف، كي يمكن فيما بعد أن يتماسك المحذوف مع ما يدل عليه في الجملة.

وقد ذكر **"هاليداي"** أمثلة كثيرة، خاصة في الاستفهام، توضح أهمية المرجعية في تحقيق التماسك بين جملة الاستفهام وجملة الجواب، إذ يوجد في الغالب، حذف الكثير من العناصر في جملة الجواب، يدل عليه ما ذكر في جملة الاستفهام(1).

وعليه يمكن أن نستنتج بأن مرجعية الحذف على ضربين: الأول منه قد تكون في الغالب على مستوى الجمل وهذا النوع هو مرجعية الحذف السابقة أو اللاحقة أو المتبادلة، أما الضرب الثاني فهو الذي يكون على مستوى الجملة المفردة، وهذا النوع هو المرجعية الخارجية، التي ليس لها دور في تحقيق الاتساق، كون هذا الأخير يتحقق في العلاقات بين الجمل، وليس في العلاقة بين الجملة وسياقها الخارجي.

د- علاقة الحذف بالاستبدال:

لا يختلف الحذف عن الاستبدال، باعتباره علاقة اتساق من جهة، ثم بكونه يتحقق بوجود عنصرين سابق ولاحق، لكن المظهر البارز الذي يميزه عنه، هو أن عنصر الاستبدال يشكل – بوجود عنصريه- علاقة حضور بينما يشكل الحذف –بإلغاء أحد عنصريه- علاقة حضور وغياب في آن واحد؟ حضور المبدل منه وغياب المبدل، ولذلك يميل بعض الباحثين –كما سبق- إلى تسميته "استبدالا صفريا" أو الاكتفاء بالمبنى العدمي "***Substitution by Zéro***"(2) وهذا ما ذهب إليه **"هاليداي** و**"رقية حسن"**، أي أن علاقة الاستبدال تترك أثرا، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تخلف أثرا، ولهذا فإن المستبدل يبقى مؤشرا يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض، مما يمكنه من ملء الفراغ الذي يخلقه الاستبدال، بينما الأمر على خلاف

(1) Haliday and R. Hassan, Cohesion in ebglish, languman, London, P: 144.

نقلا عن: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج2، ص: 202.

(2) دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 340.

هذا في الحذف، إذ لا يحل محل المحذوف أي شيء[1]، لكن الإبدال الذي يعنيه **"هاليداي"** و**"رقية حسن"** غير الإبدال الذي يعنيه علماء النحو العربي.

فالمثال التالي: عمر قرأ بعض الكتب وعلي (...) بعض المجلات، فالفراغ- الخالي الموضوع بين قوسين في الجملة الثانية يعتبر من وجهة نظر **"هاليداي"** و**"رقية حسن"** صفرا، لأنه خال من الكلام، فهو إذ يعبر عن الاستبدال الصفري، ومن ثم فإن هناك إبدال بين "قرأ" في الجملة الأولى والصفر أو المقدر في الجملة الثانية، وفي هذه الحالة تبرز لنا علاقة الاتساق بين الجملتين.

لكن المثال نفسه لا يعد في النحو العربي بدلا، بل يمثل نوعا من التكرار للفظ الفعل، وبهذا فالتكرار هو الذي ساهم في اتساق هاتين الجملتين وليس البدل.

ومن الأمثلة التي جاءت في كتب النحو العربي، المثال الذي أورده المبرد في المقتضب، وهو قول قيس بن الخطيم:

نَحْنُ بِمَــا عِنْــدَنَا وَأَنْــتَ بِمَــا عِنْـــدَكَ رَاضٍ والــــرَّأْيُ مُخْتَلِــــفٌ

والمراد منه: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راضٍ[2]، ويمكن تمثيله كالآتي:

نحن- بما- عندنا- (........)

أنت- بما- عندك- راض↑ هذا إبدال من الصفر بتعبير **"هاليداي"**، التماسك هنا تحقق عبر عدة جوانب:

1- تكرار اللفظ نفسه.
2- الإحالة بين الشطرين.
3- وجود دليل على المحذوف.

---

(1) محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 21.

(2) المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، (د.ط)، 1399، ج4، ص:73.

بعد هذا يمكن القول أن العلاقة بين الحذف والإبدال، هي في الحقيقة علاقة بين الحذف والتكرار، لأن هذه النماذج العربية والغربية ليست من الإبدال، وعليه فالإبدال الذي يقصده **"هاليداي"** و**"رقية حسن"**، لا يماثل الإبدال التابع في النحو العربي[1].

هـــ- كيف يتحقق الاتساق من خلال الحذف؟

يعتبر المحذوف كالمذكور، خاصة ,انه لا يحذف شيء لا وجوبا ولا جوازا إلا مع قرينة دالة على تعيينه[2]، ولذلك يطبق على العناصر المحذوفة في النص ما يطبق على النص غير المحذوف.

ومما هو ملاحظ أن الاتساق في تراكيب الحذف يقوم على محورين أساسيين:

المحور الأول: التكرار.

المحور الثاني: الإحالة (المرجعية)[3].

فهناك إذن بيانات أو معلومات نهتدي بها إلى معرفة العناصر المحذوفة وهي القضية المحورية، ثم بعد ذلك يكون البحث عن أثر هذه العناصر في تحقيق الاتساق، وذلك بعد ملاحظة نوع التكرار ونوع الإحالة المحققة تبعا للحذف.

ولقد أدرك علماء العرب القدامى دور الحذف في تحقيق التماسك النصي، فهذا **السيوطي** يطلق مصطلح "الاحتباك" ويقصد به: «أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره من الأول»[4]، وكلمة الاحتباك مأخوذة من الحبك والذي يعني عند **السيوطي**: «الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فحبك الثوب سد ما بين خيوطه، من الفُرَج، وشده وإحكامه، بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق، وبيان أخذه منه من مواضع الحذف من الكلام شُبهت بالفُرَج بين الخيوط، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه، فوضع المحذوف مواضعه كان حابكا له مانعا من خلل يطرقه، فسد بتقديره ما يحصل به الخلل»[5].

---

(1) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج2، ص: 201.

(2) محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج2، ص: 1148.

(3) صبحي إبراهيم الفقي، المرجع نفسه ، ج2، ص: 221.

(4) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص: 182.

(5) جلال الدين السيوطي، المرجع نفسه ، ص: 183.

من خلال ما جاء به **السيوطي**، تتبين لنا تلك النظرة القديمة للحذف عند علماء العرب وتبرز من خلالها بعد النظر واتساعه لهذه الظاهرة عندهم، وكيف أنهم ربطوا العلاقة بين الحذف والتماسك النصي، كما جاء به علماء لسانيات النص في الوقت الحالي، إلا أنها طرحت من خلال ضمنيات داخل الكتب التي جاءوا بها من أمثال الإتقان.

إن الغاية من الحذف هنا، هو بيان وظيفته في تحقيق الاتساق النصي، وتتلخص الخطوات التي لا بد لمحلل النص اتباعها في إبراز دور الحذف في تماسك النص في الآتي:

1- ذكر النماذج التي يراد تحليلها.

2- تحديد وظائف عناصر الجملة.

3- البحث عن المعلومات التي تهدينا إلى المحذوف، مثل السياق المقامي، والسياق اللفظي المتمثل في وجود دليل على المحذوف سابق أو لاحق[1]، لأنه إذا وجد الحذف، فلا بد من وجود دليل عليه.

ومن خلال هذا العرض النظري لظاهرة الحذف، وما يرتبط بها من قضايا كعلاقتها بالإبدال والإحالة، وكيفية تحقيق التماسك النصي من خلالها، نقوم الآن بالتطرق للدراسة التحليلية لسورة الكهف، وذلك بإبراز كيفية تحقق اتساق السورة من خلال ظاهرة الحذف، وذلك وفق ما جاءت به لسانيات النص.

و- التحليل النصي للسورة من خلال ظاهرة الحذف:

قبل بداية تحليل السورة، يجدر بنا أن نحدد أهم الجوانب التي لا بد لنا أن نركز عليها، لما لها من دور في تحقيق الاتساق النصي لسورة الكهف من خلال ظاهرة الحذف وهي:

1- إبراز الشيء المحذوف أو تقديره.

2- الكشف عن الدليل بما له دور في تحقيق وإيضاح العلاقة الاتساقية بين الأجزاء المترابطة عن طريق الحذف.

---

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج2، ص: 221.

3- العلاقة التي تربط الحذف بالإحالة والتكرار، مع توضيح نوعية هذه الإحالة.

وتزخر سورة الكهف بعدد كبير من المواضع التي بها حذف، سواء كان حذف الاسم أو الفعل أو العبارة أو الجملة أو حتى الجمل، وهذا أمر واضح، كون السورة تحوي العديد من القصص، ومن طبيعة القصة أن تحذف منها بعض المشاهد التي يمكن أن يستغنى عنها ويدل عليها دليل، وأيضا من طبيعة الإعجاز القرآني عدم التفصيل الطويل حول حيثيات القصة، ويكون الاقتصار على الأمور الإنسانية منها.

ويبقى استخلاص الأمور الثانوية التي لم تذكر، من مهمة المتلقي، وهذا ما جاء به النصانيون.

و لم تقتصر مهمة الحذف في هذه السورة على تحقيق الاتساق بين أجزاء الجملة الواحدة، أو الآية الواحدة، بل بفضل الحذف تحقق الاتساق بين أكثر من جملة، وكذلك بين أكثر من آية، غير أن النوع الأكثر وجودا، هو النوع الأول من التماسك.

1- حذف الاسم: نبدأ بتحليل الآيات التي حذف فيها الاسم، وهي منتشرة في أجزاء السورة المختلفة في قوله تعالى:

- ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا﴾ **الآية: 05.**
- ﴿لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا﴾ **الآية: 14.**
- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ **الآية: 21.**
- ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ **الآية: 25.**
- ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا﴾ **الآية: 49.**

وفي الجدول التالي يتم توضيح المحذوف من هذه الآيات، وكذا الدليل عليه، ونوعيته أهو سابق للمحذوف أو لاحق له، ونوع الاتساق الذي أحدثه هذا الحذف إما بين أجزاء الآية الواحدة، أو كان عاملا في اتساق أكثر من آية.

رقم الآية	المحذوف	الدليل	سابق/لاحق	نوع الاتساق الذي تحقق
الآية: 05	كبرت (مقالتهم) كلمة	كلمة إن يقولون	دليل لاحق	تحقق الاتساق على مستوى الآية الواحدة
الاية: 05	إن يقولون إلا (قولا) كذبا	كلمة إن يقولون	دليل سابق	تحقق الاتساق على مستوى الآية الواحدة
الآية: 14	لقد قلنا إذا (قولا) شططا	قلنا	دليل سابق	تحقق الاتساق على مستوى الآية الواحدة
الآية: 21	(عثورا) كذلك	أعثرنا	دليل لاحق	
الآية: 25	ثلاثة مائة سنين وازدادوا تسعا (تسع سنين)	سنين الأولى	دليل سابق	تحقق الاتساق على مستوى الآية الواحدة
الآية: 49	مال هذا الكتاب لا يغادر (حسنة أو سيئة) صغيرة ولا كبيرة	سياقي	—	تحقق الاتساق على مستوى الآية الواحدة

من خلال التحليل عبر الجدول السابق، نجد أن الدليل مقالي في الأمثلة المذكورة باستثناء المثال الأخير والذي كان فيه دليل الحذف من خلال السياق، لذا لم يظهر الاتساق واضحا في هذا الحذف، أما الأمثلة الخمس الأولى؛ فالتماسك بين عناصر كل آية واضح، ولأن الدليل مذكور فقد جاء المحذوف من لفظ المذكور ومعناه في الآيات: (05-14-21-25-49)، ففي الآية الأولى كانت الكلمة وهي عنصر القول، وفي الثانية (قولا من يقولون)، والثالثة (قولا، قلنا)، والرابعة (سنين، سنين)، والخامسة (عثورا-أعثرنا)، وكل هذا حقق الاتساق بين عناصر الآية الواحدة.

وهناك نوع آخر من الحذف الاسمي في السورة، لكن لم يعمل على اتساق أجزاء السورة، بل من خلاله يتضح لنا اتساق السورة القرآنية بعضها ببعض وهو دليل على تماسك النص القرآني، وهو في قوله تعالى: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ الآية: 48، أي:جئتمونا بلا مال ولا أهل ولا عشيرة، وما معهم إلا الأعمال التي عملوها، والمكاسب في الخير

والشر التي كسبوها[1] كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ الأنعام، الآية: 94.

فالفراغ الموجود في الآية من سورة الكهف «لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ» سده لفظ "فرادى" الموجودة في سورة الأنعام، وهذا الحذف حقق الاتساق بين سور القرآن.

2- حذف الفعل: والآيات التي حذف منها الفعل، في قوله تعالى:

- ﴿قَيِّمًا﴾ الآية: 02.

اختار **الزمخشري** وغيره أن "قيما" منصوبة بفعل محذوف، والتقدير: "ولم يجعل له عوجا"، وجعله قيما، لأن حذف ناصب الفضلة، إذا دل عليه المقام جائز.

- ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ الآية: 10.

إذا أوى متعلق بمحذوف تقديره "أذكر إذا أوى الفتية" كأن القصة من هنا بدأت[2].

- ومن حذف الفعل أيضا قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ الآية: 18، والتقدير "ونقلبهم ذات اليمين (ونقلبهم) ذات الشمال.

- وأيضا قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ الآية: 47، فعل محذوف تقديره "أذكر"، أي أذكر "يوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) أي أذكر للناس هذه الحال[3].

والجدول التالي يوضح المحذوف الفعلي والدليل عليه ونوع الاتساق الذي أحدثه:

---

[1] عبد الرحمن السعدي، تسيير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الغد الجديد، المنصورة، مصر، ط1، 1426هـ-2005م، ص: 478-479.

[2] محمد العثيمين، تفسير القرآن الكريم، سورة الكهف، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ط1، 1423هـ، ص: 22.

[3] محمد العثيمين، المرجع نفسه، ص: 80.

رقم الآية	المحذوف	الدليل	سابق/لاحق	نوع الاتساق الذي تحقق
الآية: 02	(وجعله) قيما	ولم يجعل له عوجا	سابق	حقق الاتساق بين أكثر من آية
الآية: 10	و(اذكر) إذا أوى الفتية	السياق	ــ	حقق اتساق بين عناصر الآية الواحدة
الآية: 18	ونقلبهم ذات اليمين (ونقلبهم) ذات الشمال	نقلبهم	سابق	حقق اتساق بين عناصر الآية الواحدة
الآية: 47	و(اذكر) يوم نسير الجبال	السياق	ــ	حقق اتساق بين عناصر الآية الواحدة

ومما هو ملاحظ فإن الحذف لم يقتصر على الفعل وحده، بل قد يتعداه إلى حذف الفاعل، لأننا من الصعب أن نفصل الفعل عن فاعله، وعلى هذا فقد يشترك هذا النوع من الحذف مع النوع اللاحق من الحذف وهو حذف الجملة، غير أن الشيء الذي يميزه عنه، كون الحذف في النوع الذي ذكرناه كان: و(جعله)، و(أذكر)، و(نقلبهم)، و(أذكر)، لأن الفعل هو الأظهر، بينما حذف الجملة قد يكون حذف جملة كاملة العناصر، فعلية أو اسمية أيضا، كما في الآتي:

3- حذف جملة أو أكثر:

ومن حذف الجملة، حذف جملة القسم مثلا، وجملة الشرط، وجملة جواب الشرط، وهناك أيضا حذف الكلام بجملته، وحذف أكثر من جملة، وقد وُجد هذا النوع من الحذف في سورة الكهف، وكان له الأثر الكبير في الاتساق الداخلي للسورة، كما هو ملاحظ في المواضع التالية:

- في قوله عز وجل: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ الآية: 10-11.

والتقدير فاستجبنا دعاءهم فضربنا[1]، وهذا الحذف حقق الاتساق بين الآية العاشرة والتي بعدها، أي بين جملة الدعاء وجملة إجابة الدعاء.

---

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج2، ص: 235.

-وأيضا في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ﴾ الآية: 17، وإذا رجعنا إلى الآية التي سبقتها: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴾ الآية: 16.

فالآيات بينيها وبين السابق ما يسمى عند البلاغيين: إيجاز حذف، وإيجاز الحذف في هذه السورة: أن الله لم يذكر أنهم اتفقوا على الكهف، و لم يذكر مسيرهم إلى الكهف، وإنما أتى بالخطاب مباشرة: أن الشمس تطلع عليهم فيحفظهم بذلك[1]، وذلك أن ميزة القصص حذف عناصر كثيرة.

ويظهر كذلك الحذف في أحداث القصة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴾ الآية: 20.

وبين الآية التي بعدها: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ﴾ الآية: 21.

فبين الآية الأولى والثانية لم تذكر أحداث قصصية، وهذه طبيعة القصص، إذ الاستغناء بأحداث معينة، ونستنتج الأحداث الأخرى من خلال السياق، إذ للمتلقي دور كبير في تقدير ما حذف، وهذا ما تضطلع به لسانيات النص، بحيث يستنبط المتلقي المحذوف من الأحداث قصد إبراز تماسك النص وترابطه.

وفي قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ ﴾ الآية: 71.

أي: فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر... فركبا[2]، وقد دل على هذا الحذف سياق القصة.

---

[1] صالح بن عواد المغامسي، تفسير سورة الكهف، الموقع الإلكتروني:
تم الاطلاع على الموقع يوم: 2008/10/09 http// audio.ISLAMWEB.net/audio/index.php.

[2] أبو حيان الأندلسي، النهر المهاد من البحر المحيط، تح: عمر الأسعد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1416هـ-1995م،مج3، ص: 262.

ولم يقتصر الحذف على القصص فحسب، بل لم يظهر أيضا في مراحل نمو الزرع، وذلك في قوله تعالى: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ **الآية: 45**، أي فتعقب وتسبب عن إنزال الماء أنه اختلط «به نبات الأرض» أي التراب الذي كان نباتا أرفت بطول العهد في بطنها، فاجتمع بالماء والتف وتكاثف، فهيأناه بالتخمير والصنع التي لا يقدر عليه سوانا حتى أخرجناه من الأرض أخضر يهتز على ألوان مختلفة، ومقادير متفاوتة ثم أيبساه «فأصبح هشيما» أي يابسا مكسرا مفتتا[1].

ومن هنا تتضح أهمية الحذف بأنواعه: حذف الاسم والفعل والجملة وأكثر من جملة، في اتساق سورة الكهف سواء على مستوى الآية الواحدة، أو على مستوى الآيات، ليساهم مع وسائل الاتساق الأخرى، التي ذكرناها، في التماسك الشكلي للسورة، إذ لا يقل أهمية عن غيره من الوسائل، وذلك لأن المحذوف كالمذكور إذا دل عليه دليل.

---

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1415هـ- 1995م،ج4،ص: 472.

3- العطــف:

لعل التصور القائم على أن النص: «عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيا، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص»[1]، يعطي إشارة واضحة على أهمية العطف في بناء اتساق النص وتماسكه.

أ- مفهوم العطف:

تدور كلمة "العطف" حول الثني والميل والرجوع، وهذا هو المعنى الذي أراده النحاة المتقدمون حين اختاروا كلمة "العطف"، فحين يقال: «الواو حرف عطف في مثال "جاء زيد وعمرو" فهذا يعني أن الواو تثني وتميل وترجع "عمرا" على "زيد" فيجري على عمرو ما يجري على زيد من حكم معنوي، هو إسناد المجيء إليه، وحكم إعرابي ترتيبا على هذا الإسناد هو الرفع، وعلى هذا يفترض أن "العطف"يعني إرجاع الثاني إلى الأول في الحكم والإعراب.

والعطف باعتباره أحد أدوات الربط، فقد كثر وروده في القرآن الكريم، إلى درجة أنك تجده في الآية الواحدة عدة مرات، ولذلك فقد نال نصيبا وافرا من الدراسة سواء من أهل اللغة في القديم، أو حتى عند الدارسين في الوقت الحالي، دون أن يهمله النصانيون، بل عده غير واحد منهم، وسيلة مستقلة من وسائل الاتساق، كما سيوضح.

ب- العطف عند القدماء:

الكلام عن العطف عند القدماء يستدعي بالضرورة الحديث عن ظاهرة القطع والفصل باعتبارها الظاهرة التي تقابله وتكسبه قيمته[2]، إذ أن القدماء ربطوا العطف بقضية الفصل والوصل، وعرضوا القضية على ثلاث محاور.

---

(1) محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 23.

(2) محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج1، ص: 402.

1- **كمال الاتصال:** وهذا لا يجوز العطف فيه[1]، وهو أن يكون ما قبلها بمثابة الصفة من الموصوف والتأكيد من المؤكد، فلا يدخلها عطف لشدة الامتزاج[2]، كقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا**﴾ لقمان، الآية: 07.

2- **كمال الانقطاع:** مثل سابقه، لا يجوز فيه العطف[3]، وهو أن يغاير ما قبلها، وليس بينها نوع ارتباط بوجه(4)، إذ لا توجد أي علاقة رابطة، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ البقرة، الآية: 06، بعد قوله تعالى: ﴿**وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ**﴾ البقرة، الآية: 05.

3- **التوسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع:** بمعنى وجود جهة جامعة تجيز العطف، وهذه الحالة الوحيدة التي أجازوا فيها العطف[5] حيث أن هناك نوع من الارتباط بين المعطوف والمعطوف عليه، كقوله تعالى: ﴿**أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ**﴾ البقرة، الآية: 05.

ويرى تمام حسان إلى أنه لم تتجه عناية النحاة إلى علاقة الجملة بالجملة إلا في مواضع بعينه كعلاقة الجملة الفرعية... بالجملة الكبرى وكالإضراب والاستدراك والاستثناء والأجوبة ونحوها مما يعتمد على الأدوات الداخلة على الجملة وتركوا ما عدا ذلك من علاقة الجملة بالجملة لعلماء البلاغة ليدرسوه تحت عنوان "الفصل والوصل"، ومعنى الفصل عدم استعمال الأداة لتبدو الجملة الثانية في صورة استئناف، ومعنى الوصل وجود الأداة الرابطة بين الجملتين[6]، وهذا هو الذي يعنينا.

---

(1) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص: 247.
(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج4، ص: 104.
(3) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص: 247.
(4) الزركشي، نفس المرجع، ج4، ص: 104.
(5) صبحي إبراهيم الفقي، نفس المرجع، ج1، ص: 248.
(6) تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1420هـ–2000م، ج1، ص: 397.

وقد حصر البلاغيون الوصل في الواو العاطفة، فيُعقِّب تمام حسّان على هذا بقوله: «وكأن البلاغيين لم يشغلهم من الأدوات الداخلة على الجملة اللاحقة إلا واو العطف فوجودها مظهر الوصل وعدمها مظهر الفصل»[1]، فوجود الوصل في نظرهم، وجود "للواو" العاطفة، وغياب الوصل غياب لهذه الواو.

ثم ينتقد تمام حسان هذا الموقف، ويرى بأنه قد ضيق واسعا، فيقول: «وأول ما ينتقد في موقف البلاغيين اقتصارهم في الوصل على واو العطف، فالجملة في اللغة العربية تترابط بغير الواو من الأدوات، وبغير مطلع الجمع من العلاقات... والعطف ذاته ليس مقصورا على مطلق الجمع، إذ يكون أحيانا للترتيب والتعقيب، أو للترتيب والتراخي، فالاقتصار على الواو ومطلق الجمع لا مبرر له ما دامت الاحتمالات الأخرى تمثل علاقات بين الجمل»[2]، فتمام حسان يذهب إلى أن الوصل لا يقتصر على الواو العاطفة ومطلق الجمع فحسب، بل يتعداها إلى بقية أدوات العطف الأخرى، وبقية العلاقات.

وقد فرق عبد القاهر الجرجاني بين أدوات العطف فيقول: «واعلم أنه إنما يعرض الإشكال في "الواو" دون غيرها من حروف العطف، وذلك لأن تلك تفيد مع الإشراك معاني: مثل أنّ "الفاء" توجب الترتيب من غير تراخ و"ثم" توجبه مع تراخ، و"أو" تردّد الفعل بين شيئين، وتجعله لأحدهما لا بعينه....لكن الواو وليس للواو معنى سوى الإشراك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي أَتبعْت الثاني الأول، فإذا قلت (جاءني زيد وعمرو) لم تفد بالواو شيئا أكثر من إشراك عمرو في المجيء الذي أثبته لزيد والجمع بينه وبينه»[3]، ولتوضيح ما قاله، يضرب "الجرجاني" لذلك بمثال لا يستقيم فيه العطف، وهو قول أبي تمام:

لا والذي هوا عالم أنّ النوى   صَبِرٌ وأنَّ أَبا الحُسَيْنِ كريمٌ[4]

---

[1] تمام حسان المرجع السابق، ج1، ص: 398.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص: 399.

[3] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 240.

[4] أبو تمام الطائي، ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ج3، ص: 290.

والبيت في مدح أبي الحسين محمد بن الهيثم في قصيدة مطلعها:

أسقي طُلُولَهُمُ أَجَشُّ هَزِيمُ   وعدت عليهم نضرة ونعيمُ

وذلك لأنه لا مناسبة بين كرَمِ الممدوح أبي الحسين ومَرَاة النوى، ولا تعلّق لأحدهما بالآخر، وليس يقتضي الحديث بهذا الحديث، بذاك[1].

وأثناء حديثه عن عطف الجملة –على قبل ما يليها- يظهر سداد رأيه، وبعد نظره، فيقول: «اعلم أن مما يقلّ نظرُ الناس فيه من أمر العطف، أنه قد يؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها، ولكن تعطف على جملة، بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان»[2]، أي عطف الجملة على جملة أخرى بينهما جملة أو ثنتان تفصلان بين المعطوف عليه والمعطوف، وفي هذا النوع من ترابط الجمل الشيء الكثير، ويصبح كحلقة العقد المترابط أجزاؤها، ويضرب لذلك مثالا من قول المتنبي:

تَوَلَّوْا بَغْتَةً فَكَــأَنَّ بينًــا   هَيَّـــبني فَفَاجَـــأَنِي اغْتِيَـــالاً

فَكَانَ مَسيرُ عِيسِهِمُ ذَمِيلا   وَسَيْرُ الدَّمْعِ إِثْرَهُمْ انْهِمَالاً[3]

فقوله: (فكان مسير عيسهم) معطوفة على (تولوا بغتة)، وليست معطوفة على (ففاجأني)، لأنا إذا عطفناه على هذا الذي يليه، أفسدنا المعنى... وذلك يؤدي إلى أن لا يكون مسيرُ عيسهم حقيقة[4].

فمن خلال عطف الجملة على قبل ما يليها يحدث ذلك الاتساق العجيب بين أجزاء النص، وخاصة عند انتشاره يكون تلك الوحدة الكلية للنص محدثا ترابط بين الوحدات، لأن المتكلم إذا ربط بين الجمل، كان إيذانا منه أراد من ذلك الوصل بين المعاني.

وقد توصل "عبد القاهر الجرجاني" إلى أن الجمل في العطف وعدمه على ثلاثة أضرب:

1- جملة حالها مع التي قبلها، حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف البتّة.

---

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص: 240.

(2) المرجع نفسه، ص: 255.

(3) عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ–1986م، ج3، ص: 338.

(4) الجرجاني، المرجع نفسه، ص: 255.

2- جملة حالها مع التي قبلها، حال الاسم يكون غير الذي قبله، إلا أنه يشاركه في الحكم، ويدخل معه في معنًى، فيكون حقها العطف.

3- وجملة ليست في شيء من الحالين... فيكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله، لعدم التعلق بينه وبينه رأسا، وحق هذا ترك العطف البتة.

فترك العطف يكون إما للاتصال إلى غاية، أو الانفصال إلى الغاية، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حال بين الحالين فاعرفه[1]، أي أنه في حالة كمال الاتصال، وكمال الانفصال لا يكون هناك عطف، بل يكون العطف في التوسط بينهما، كما هو موضح في التمثيل الآتي:

كمال الاتصال
(صفة مع موصوف، تأكيد مع مؤكد)
لا يحتاج فيها إلى عطف

كمال الانفصال
(كالبدل لا يحتاج فيه إلى عطف)

التوسط بين كمال الاتصال وكمال الانفصال
(يحتاج فيه إلى "عطف النسق")

ففائدة العطف هي وصل الكلام بعضه ببعض والإشراك بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم والدخول معه في المعنى، حتى يكون النص وحدة كبرى حيث يعتبر "ابن يعيش": «أن الغرض من عطف الجمل ربط بعضها ببعض واتصالها والإيذان بأن المتكلم لم يرد قطع الجملة الثانية من الأولى[2]، فذكر "ابن يعيش" لعطف الجمل يوحي بنظره البعيد في دور العطف في تماسك ما فوق الجملة.

أما ابن الناظم –محمد بن مالك– فقد قسم حروف عطف النسق إلى قسمين:

الأول: ما يعطف مطلقا: أي يشرك في الإعراب والمعنى، وهو ("الواو"، "ثم"، "الفاء"، "حتى"، "أم" "أو").

---

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 254.

(2) ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ج3، ص: 75.

والثاني: ما يعطف لفظا: فحسب، أي يشرك في الإعراب وحده، وهو: ("بل"، "لا"، "لكن")[1].

ففي النوع الأول من العطف يتحقق الترابط الشكلي الدلالي، وفي النوع الثاني يتحقق الترابط الشكلي فقط، أي أن أنهما يشتركان في أن لهما خاصية الترابط الشكلي كون التماسك هنا حدث بأداة العطف.

يتضح لنا مما سبق ذكره، كيف أدرك علماء العربية، أهمية العطف في تحقيق الترابط بين الجملة الواحدة وأهميته أيضا في تحقيق اتساق النص عامة، ويزداد الاهتمام أكثر، خصوصا عند البلاغيين في مسألة الوصل والفصل.

ج- العطف عند النصانيين:

أما عند الباحثين في لسانيات النص، فنجدهم قد جعلوا أدوات العطف إحدى وسائل الاتساق، وهذا ما نجده، مثلا عند "هاليداي" و"رقية حسن" في كتابهما "الاتساق في الإنجليزية"، حيث كان العطف الوسيلة الرابعة من وسائل الاتساق المذكورة في الكتابة وهي (الإحالة-الإبدال-الحذف-العطف- التماسك المعجمي).

وقد تنبه "محمد الشاوش" في كتابه "أصول تحليل الخطاب" إلى دور العطف في تحقيق التماسك النصي، واعتبره أحد مظاهر الربط بين الجمل، وأفرد له جزءا كبيرا من كتابه، شارف على المائة صفحة[2].

أما "أحمد عفيفي" فقد جعل العطف أحد وسائل الربط إلى جانب أدوات أخرى، تساهم في اتساق النص عن طريق الربط، الذي عده أصعب الأدوات تحديدا، كونه تماسكا وظيفيا بدرجة كبيرة، لأن هذا النوع يعتمد على الروابط السببية المعروفة بين الأحداث التي يدل عليها النص، وهي متنوعة تسمح بالإشارة إلى مجموعة المتواليات السطحية بعضها ببعض[3].

---

(1) محمد بن مالك- ابن الناظم-، شرح ابن الناظم، تح: عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص: 519-520.

(2) أنظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج1، ص: 401-498.

(3) أنظر: أحمد عفيفي، نحو النص، ص: 128.

ولقد جعل "دفيد كريستال" العطف أول وسيلة من وسائل التماسك النصي،... إلى جانب وسائل أخرى مثل الإحالة بأنواعها، والتكرار والعلاقات المعجمية، والمقارنة(1).

لكن هذا الدور الكبير الذي يناط بأدوات العطف في جعلها وسيلة من وسائل الاتساق بوجود عوامل أخرى محيطة بهذه الأداة، كتوفر العلاقة الإعرابية، وأفعال المشاركة، ومعنى حرف العطف، لأن لكل حرف معنى خاص به، يقول "محمد حماسة عبد اللطيف": «يقوم حرف العطف مع التطابق في العلامة الإعرابية بالدور العظيم في ترابط المعطوف بالمعطوف عليه، وقد تتوافر عناصر أخرى من خارجها، كأن يكون المعطوف عليه والمعطوف مطلوبين لما يدل على المشاركة... ويقوم معنى حرف العطف نفسه بدور في مشاركة المعطوف المعطوف عليه...»(2).

ولأن حروف العطف تكتسب معانيها من السياق الذي ترد فيه، فقد قسم النصانيون الربط إلى عدة أقسام:

1- **الربط الإضافي**: ***(Additive)***: بواسطة الأداتين "و" و"أو".

2- **الربط العكسي**: ***(Adversative)***: والذي يعني على عكس ما هو متوقع، والأداة التي تعبر عن الوصل العكسي، في نظر "هاليداي و"رقية حسن" هي: ***"Yet"***(3)، والتي يمكن أن نقابلها في العربية الأداة "حتى".

3- **والربط السببي**: فيمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر، وتمثله اللفظة ***"So"*** والتي يمكن أن تقابلها في العربية "وهكذا".

4- **الربط الزمني**: علاقة بين جملتين متتابعتين زمنيا، وأبسط تعبير عن هذه العلاقة هو ***"Then"***(4)، والتي تمثلها في العربية حرف العطف "ثم".

---

(1) David Crystal, the Cambridge encyclopedia of language, P 119.
نقلا عن صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي –بين النظرية والتطبيق–، ج1، ص:257.

(2) محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 193.

(3) محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 23.

(4) المرجع نفسه، ص: 23-24.

وبعد هذا العرض النظري حول دور العطف في تحقيق تماسك النصوص من خلال أدواته المختلفة، وذكر آراء علماء العربية القدامى، والمهتمين بلسانيات النص في الوقت الحالي، يجدر بنا أن نتناول تطبيقيا، دور العطف في تحقيق اتساق سورة الكهف.

د- التحليل النصي لسورة الكهف:

تتكون سورة الكهف -كما سبق- من قصص، كل قصة تتحدث عن قضية معينة، وتجتمع كلها في أن قضيتها الأساسية، هي التوحيد والعقيدة، كونها تعد من السور المكية.

ولقد برزت بكثرة أدوات العطف في هذه السورة، وداخل كل قصة على حدة، مما يولد لدينا تساؤلا حول مدى تحقق اتساق موضوعات السورة من خلال العطف؟

يتضح من خلال إحصاء أدوات العطف الموجودة في سورة الكهف أنها كالآتي:

أداة العطف	عدد المرات	رقم الآيات
حرف "الواو"	161 مرة	من الآية (01) إلى الآية (110)
حرف "الفاء"	70 مرة	من الآية (10) إلى الآية (98)
ثم	05 مرات	الآيات: (12)- (37)- (87)- (89)- (92)
أو	05 مرات	الآيات: (19)- (20)- (41)- (55)- (60)
بل	مرتان	الآيتان: (48)- (58)
أم	مرة واحدة	الآية: (09)
إمّا العاطفة	مرة واحدة	الآية: (86)

نبدأ بتحليل مقدمة هذه السورة التي تبتدئ بحمد الله تعالى الذي بعث نبيه بالقرآن الكريم بشيرا ونذيرا ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا...﴾، وهي من الآية الأولى إلى الآية الثامنة، وكانت بداية العطف في قوله (ولم يجعل له عوجا)، وهذه الجملة معطوفة على الجملة السابقة، قال الزمخشري "ولم يجعل" معطوفة على "أنزل" فهو داخل في حيز الصلة[1]، وقد تحقق الاتساق من خلال أداة العطف هذه بين جملتين داخل آية واحدة.

[1] الزمخشري، تفسير الكشاف، تح: محمد مرسي عامر، دار المصحف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ج3، ص: 197.

بحيث علم الله ﷻ عباده في أول هذه السورة الكريمة أن يحمدوه على أعظم نعمة أنعمها عليهم، وهي إنزاله على نبينا محمد ﷺ هذا القرآن العظيم(1)، ثم اتبع عن طريق العطف بأن هذا القرآن لا اعوجاج فيه، بل في كمال الاستقامة، فكان هناك نوع من التماسك داخل الآية.

ومن العطف الموجود في هذه المقدمة قوله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ﴾الآية: 05.

وعطف «ولا لآبائهم» لقطع حجتهم، لأنهم كانوا يقولون «إنا وجدنا آبائنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون»، فإذا لم يكن لآبائهم حجة على ما يقولون فليسوا جديرين بأن يقلدوهم(2)، فأحدث هذا العطف اتساقا بين هذه الآية والآية التي قبلها، حيث ربط بين قوله تعالى: «ولا لآبائهم» وقوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا﴾ الآية: 04، فجانب العقيدة وهي توحيد الله تعالى، ربط بين الآية الرابعة والآية الخامسة بحيث نفى الولد عن الله ﷻ، وأن هذا الافتراء «مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ» ولا يمكن وجوده، ولا يوجد حتى عند آبائهم الذين يقلدونه، وبهذا يقول البقاعي: «ثم قرر هذا المعنى وأكده بقوله «وَلاَ لآبَائِهِمْ» الذين هم مغتبطون بتقليدهم في الدين حتى في هذا الذي لا يتخيله عاقل»(3).

وبعد هذا نجد العطف "بالواو" وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا﴾ الآية: 08، فكان بذلك تكميلا للعبرة وتحقيق لفناء العالم، فقوله «جاعلون» اسم فاعل مراد به المستقبل، أي سنجعل ما على الأرض كله معدوما فلا يكون على الأرض إلا تراب جاف أجرد لا يصلح للحياة فوقه(4). ويعتبر هذا العطف عطف على الآية التي سبقت: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ...﴾ فتحقق عندها تماسك بين الآيتين، فبعدما كان ما فوق الأرض زينة لها سيكون مآله ويصبح صعيدا جرزا،ثم بعد ذلك ننتقل إلى حرف عطف آخر وهو "أم" في قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ

(1) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1427هـ–2006م، ج4، ص:03.

(2) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص:251.

(3) برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ–1995م،ج4،ص: 444.

(4) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع نفسه، ج15، ص:258.

﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ الآية: 09، وهو انتقال من المقدمة إلى القصص، يقول "ابن عاشور": «أم للإضراب الانتقالي من غرض إلى غرض، ولما كان هذا من المقاصد التي أنزلت السورة لبيانها، لم يكن هذا الانتقال اقتضابا بل هو كالانتقال من الديباجة والمقدمة إلى المقصود»[1].

وبهذا يتحقق الاتساق عن طريق أداة العطف "أم" بين مقدمة السورة أو الافتتاحية، وبين القصة الأولى من هذه السورة وهي قصة أصحاب الكهف، محدثا بذلك تماسكا بين وحدات النص، وربطا بين أجزائه.

هذا فيما يخص تماسك افتتاحية السورة بقصة أصحاب الكهف –أولى قصص هذه السورة–.

أما فيما يتعلق بتماسك قصة أصحاب الكهف وتحقق اتساقها من خلال العطف، فقد ساهمت في ذلك عدة أدوات، فعملت على اتساق القصة والتعقيب الخاص بها، وقد وجدت هناك جهة جامعة بين المعطوف والمعطوف عليه، والتي تتمثل في الرابط الشكلي داخل الآيات، وبين آيتين وأحيانا بين مجموعة من الآيات.

وقد جاءت قصة أصحاب الكهف في شكل مراحل متسلسلة، حدث داخل كل مرحلة اتساق بواسطة أدوات العطف فكانت كالآتي:

1- ملخص عام حول القصة من الآية (10) إلى الآية (12).
2- مرحلة ما قبل الكهف من الآية (13) إلى الآية (16).
3- مرحلة المكوث في الكهف من الآية (17) إلى الآية (18).
4- مرحلة البعث من الآية (19) إلى الآية (20).
5- مرحلة العثور عليهم الآية (21).
6- مرحلة ما بعد القصة من الآية (22) إلى الآية (31).

فالملخص العام حول القصة: من الآية (10) إلى الآية (12):

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج15، ص: 258.

﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا﴾ الآيات: 10-11-12.

حيث أوى الفتية إلى الكهف ودعوا الله، فضرب الله على آذانهم في الكهف سنوات، ثم بعثهم فهو عبارة عن ملخص لقصة بأكملها.

وقد ساهمت أدوات العطف المختلفة في اتساق هذا الجزء من السورة حيث كانت هناك أداة العطف "الفاء" و"الواو" في الآية العاشرة في قوله «فَقَالُوا» وقد دلت الفاء هنا كما يقول "محمد الطاهر بن عاشور": «على أنهم لما أووا إلى الكهف بادروا بالابتهال إلى الله»[1]،ثم جاء بعد ذلك حرف العطف "الواو" في قوله تعالى: «وَهَيِّئْ» وبعدها يأتي العطف "بالفاء" في قوله تعالى: ﴿**فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ....**﴾ الآية: 11، ليربط بين هذه الآية والتي قبلها.

وتفريع هذه الجملة "بالفاء" إما على جملة دعائهم، فيؤذن بأن مضمونها استجابة دعوتهم... وإما على جملة «إِذَا أَوَى الْفِتْيَةُ»...إلخ، فيؤذن بأن الله **عز وجل** عجّل لهم حصول ما قصدوه مما لم يكن في حسبانهم[2].

فرغم هذا الاختلاف وعلى اعتبار أي منهما، فقد أسهمت هذه الأداة في التماسك بين الآيتين وإحداث نوع من الترابط.

ثم تأتي في الآية التي بعدها أداة العطف "ثم" وتعني في تعريفها: ضم الشيء إلى الشيء مهلة[3]، فجاءت كذلك "الفاء" في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ**﴾ الآية: 12، فبعد أن ضرب الله على آذانهم في الكهف سنين عددا، جاء وقت بعثهم.

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص: 266.

[2] المرجع نفسه، ج15، ص: 268.

[3] مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص: 153.

وحدث الاتساق بين هذه الآيات الثلاث عن طريق العطف، وثلاث أدوات هي "الواو" و"الفاء" و"ثم".

ثم يأتي بعد ذلك مرحلة ما قبل الكهف من الآية (13) إلى الآية (16)، ويبدأ الاتساق عن طريق العطف في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى**﴾ الآية: 13، فكان هناك نوع من التماسك بين «آمَنُوا» و«زِدْنَاهُمْ».

ويفهم من هذه الآية الكريمة أن من آمن بربه وأطاعه زاده ربه هدى، لأن الطاعة سبب للمزيد من الهدى والإيمان[1]، ولذلك عطفت الزيادة على الإيمان.

ثم بعد ذلك يأتي قوله تعالى: ﴿**وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا**﴾ الآية: 14، فكان هناك تماسك بين الآية (14) والآية (13)، وقد ربط بين الآيتين أداة العطف "الواو" في «وَرَبَطْنَا»، هذا بين الآيات، أما داخل الآية فكان هناك ربط بأداة العطف "الفاء" في «فَقَالُوا».

ثم يحدث التماسك داخل الآية (16) في قوله تعالى: ﴿**وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا**﴾ الآية: 16.

فاعتزلوهم واعتزلوا ما يعبدونه من دون الله، فرُبط "بالواو" بين اعتزال القوم واعتزال ما يعبده هؤلاء القوم.

وواو العطف الثانية عطفت جملة «يُهَيِّئْ لَكُمْ» على جملة «يَنْشُرْ لَكُمْ» والمعنى: «فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُم» يبسط عليكم رحمته، «وَيُهَيِّئْ لَكُمْ» ما ترتفقون به في أمر معيشتكم[2].

---

[1] محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص: 23.

[2] أبو حيان الأندلسي، النهر المهاد من البحر المحيط، تح: عمر الأسعد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1416هـ-1995م،مج3، ص: 222.

ثم تأتي بعد ذلك مرحلة المكوث في الكهف، بداية من قوله تعالى:﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ الآية: 17.

فحدث هنا عطف داخل هذه الآية في موضعين: الأول عطف جملة «وَإِذَا غَرَبَتْ» على استئناف سابق «وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ»، وهو عطف بين جملتين داخل آية واحدة، والثاني: عطف جملة «وَمَنْ يُضْلِلْ» على جملة «مَنْ يَهْدِ الله...».

ثم تتسق الآيتان (17–18) عن طريق "الواو" في قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ﴾ الآية: 17.

ثم يحدث اتساق أيضا، لكن داخل الآية 18 في قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ الآية: 18.

فتماسكت هذه الآية بالعطف في ثلاثة مواضع: الأولى: «وَنُقَلِّبُهُم»، الثانية: «ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ»، الثالثة: «لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِّئْتَ مِنْهُم رُعْبًا».

ثم تأتي بعد ذلك مرحلة البعث من الآية (19) إلى الآية (20)، حيث تم وصف حال بعثهم من رقادهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾.**الآية19–20.**

فحدث هنا اتساق عن طريق عدة حروف "أو" مرتين، و"الفاء" ثلاث مرات، و"الواو" ثلاث مرات، حيث ومن خلال هذه الأدوات كان هناك نوع من التماسك بين هذه الكلمات والجمل،

وتماسك الجمل الواضح في الآية الأخيرة هو عطف الجملتين: «أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ» و«لَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا» حيث عطفتا على الجملة السابقة.

ثم تأتي بعد هذه المرحلة مرحلة العثور عليهم في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ الآية: 21.

وقد تم الانتقال إلى جزء القصة الذي هو موضع عبرة أهل زمانهم بحالهم وانتفاعهم باطمئنان قلوبهم لوقوع البعث يوم القيامة بطريقة التقريب بالمشاهدة[1]، حيث كان العطف بين وصف ساعة العثور عليهم وساعة الحشر، وبعث الناس يومها، يقول تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ الزمر: الآية: 68.

أما فيما يخص اتساق أجزاء القصة ووحداتها المتباعدة يقول "محمد الطاهر بن عاشور" في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ الآية: 21، بأنه عطف على قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾ الآية: 19.

ثم تأتي بعد ذلك مرحلة ما بعد القصة ابتداء من الآية (22) وحتى الآية (31)، وتكون البداية عن اختلاف الناس في عددهم، وكان لاستخدام أدوات العطف الدور البارز، يقول الله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص: 286.

فتماسكت كل آية بأداة العطف "الواو" بين من قالوا بأن عددهم ثلاثة ورابعهم كلبهم، وبين من قال خمسة وسادهم كلبهم، وكذا العطف بين النهي عن المراء في عدهم «إِلاَّ مِرَاءًا ظَاهِرًا» وبين النهي «وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ» في شأنهم «مِنْهُم» من الخائضين «أَحَدًا» لأن ما أوحي عنهم كاف.

ثم تتماسك الآية (23) والآية (22) عن طريق "واو" العطف أيضا، وهو عطف على الاعتراض، ومناسبة موقعه هنا....أن المشركين لما سألوا النبي ﷺ... وعدهم بالجواب، ولم يقل «إن شاء الله» فلم يأته جبريل عليه السلام بالجواب إلا بعد مدة[1] اختلف في تحديدها.

ثم يستمر التماسك والربط بين الآيات لتحقيق الاتساق بين الأجزاء، في قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعٗا ﴾ الآية: 25، حيث تم الربط بين الحلقة الأخيرة من قصة أصحاب الكهف بما سبقها عن طريق أداة العطف "الواو"، ليستمر بذلك التحام أجزاء القصة بعضها ببعض.

ثم جاءت مرحلة استخلاص العبر من هذه القصة والتعقيب عليها، بحيث إذا كان هذا حال هؤلاء الفتية من صبر عن الشهوات حفاظا على دينهم، فمن باب أولى النبي ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطٗا وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾الآية 28-29.

فحدث هناك تماسك بين الجمل داخل الآيات وبين الآيات بعضها ببعض، وكان هناك حديث عن عاقبة الكافرين والمكذبين وجزاء المؤمنين وثوابهم خصوصا في كل من الآيات (29-30-31)، ومع اختتام هذه القصة بجزاء المؤمنين وعقاب غيرهم، جاءت بعدها قصة أخرى ترتبط مع الأولى في عقاب الظالم وإثابة المؤمن، لكن كانت في نموذج آخر من طاعة الله، وسبل مختلف العصيان، ألا وهي فتنة المال، ووقعت بين الآية (32) والآية (44)، وقد كانت هي الأخرى على مراحل، ارتبطت فيما

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص: 295.

بينها بوسيلة الاتساق (العطف)، من خلال أدوات مختلفة مما جعلها متماسكة بعضها بتلابيب بعض، دون أن تنفصل عراها وحدات الأخرى للسورة بداية من قوله تعالى في الآية: 32: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ﴾ إلى قوله: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ الآية: 44.

وقد تماسكت من خلال حروف العطف الثمانية عشر استخدمت "الفاء" ثلاث مرات، و"ثم" مرتين، والباقي حرف العطف "الواو" وكان هناك أنواع الربط الثلاثة وهي الربط بين الكلمات والعبارات والربط بين الجمل وكذا بين الآيات، وكلها كانت وسيلة للاتساق.

فمن الأمثلة الدالة على ترابط بعض الكلمات، قوله تعالى: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ الآية: 39، حيث حدث ترابط بين المال والولد، وهي من بين الفتن المذكورة في هذه السورة.

ومن الأمثلة الدالة على ترابط بعض العبارات ببعضها الآخر، قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ الآية:37.

فترابطت العبارات بأداة العطف "ثم" بحيث قال له صاحبه المؤمن مذكرا له حاله التي أوجده الله عليها في الدنيا «مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثم سواك رجلا»، وهي عبارة عن نقله من طور إلى طور، حتى سواء رجلا كامل الأعضاء والجوارح.

أما أمثلة العطف الرابطة بين الجمل داخل الآيات فهي كثيرة ومنها قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ الآية: 32.

فجملة «وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا» معطوفة على الجملة السابقة لها، ليحدث بذلك الاتساق بين هذه الجمل.

ومن أمثلة الاتساق بين الجمل في هذه القصة قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ الآية: 34.

وقوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ الآية: 42.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ الآية:43، وقوله تعالى: ﴿هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾ الآية: 44.

ومن أمثلة الاتساق بين الآيات، وتحقيق التماسك عن طريق العطف بينهم، قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا﴾ الآية: 35، فتحقق الاتساق هنا عن طريق الآية هذه "الواو" على الآية التي قبلها.

ومن أمثلة الربط بين الآيات أيضا في هذا الجزء من السورة قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾ الآية: 36، وهي معطوفة على قوله تعالى:﴿ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا﴾ الآية:35، وقوله أيضا: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الآية: 39، وقوله: ﴿وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا﴾ الآيتان: 40-41.

فتحقق الاتساق من خلال الربط الحاصل بين هذه الآيات عن طريق أداة العطف "الواو" و"أو مما جعلها متماسكة شكليا، وهذا التماسك الشكلي، أدى إلى تماسك هذه القصة من خلال تسلسل أحداثها.

ثم يأتي بعد هذه القصة جزء آخر ووحدة من وحدات القصة وهو الحديث عن مثل الحياة الدنيا ما بين الآية (45–49)، وقد ساهم العطف في تحقيق اتساق هذا الجزء من خلال تماسك الآية

الواحدة بعضها ببعض، وأيضا التماسك بين الآيات المختلفة، فكان التماسك داخل الآية مثلا في قوله تعالى: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ الآية: 45.

- ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ الآية: 46.

- ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ الآية: 47.

ومن أمثلة الربط بين الآيات قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾، وجملة «وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ....» معطوفة على جملة «وَحَشَرْنَاهُمْ»، أي حشرناهم وقد عرضوا تنبيها على سرعة عرضهم في حين حشرهم[1]، فتحقق الاتساق بين الآيات من خلال أداة العطف "الواو".

ومن التماسك بين الآيات قوله تعالى أيضا: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ الآية: 49. معطوفة على جملة ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾ الآية: 48.

وهذا الجزء من السورة هو بمثابة تعقيب على قصة الرجل المؤمن والكافر، وقد تماسكت آياته داخليا، كما تماسكت بعضها ببعض من خلال أدوات العطف متمثلة في "الواو" و"الفاء".

وقد ضرب الله هذا المثل تحذيرا من الاغترار بالحياة الدنيا، وهو بيان لقصر هذه الحياة مهما طال وقت وجودنا فيها، فهي آيلة إلى الزوال، وأن ما ينفع الناس، هي الباقيات الصالحات، لأن يوم القيامة، يفرق فيه كل أمر، فيثاب المؤمن ويعاقب الكافر، وكما أن هذه القصة تعتبر تعقيبا على قصة الرجل المؤمن والرجل الكافر، فهي أيضا تمهيدا لقصة آدم وإبليس.

وقصة آدم والملائكة وإبليس، تتلخص بأن أمرهم ربهم بالسجود لآدم تكريما له، فسجد الملائكة خضوعا لله وإجلالا له، ولم يسجد إبليس بكبريائه وإعجابه بنفسه، فحذر الله تعالى من أعماله، وأن جزاء أتباعه العقاب، وبداية هذه القصة من الآية (50) حتى الآية (53).

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص: 336.

وقد ترابطت آيات هذه القصة من خلال أدوات العطف ترابطا داخليا، و لم يساهم العطف هنا بالترابط بين الآيات المختلفة وساهم في ترابط الآيات داخليا، في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ الآية: 50، تحقق اتساق هذه الآية من خلال أداة العطف "الفاء" التي ظهرت في موضعين: **الموضع الأول**: ربط بين الأمر بالسجود وطاعة الملائكة لربهم «فَسَجَدُوا»، **الموضع الثاني**: ربط بينها وبين جملة "وكان من الجن"، وترابطت هذه الآية أيضا من خلال أداة العطف "الواو" «أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ».

وبعد قصة آدم وإبليس يأتي الحديث عن القرآن الكريم والأمثلة وهذا الجزء أيضا تماسك من خلال أدوات العطف المشتركة في ثناياه، حيث بهذه الأدوات تحقق تماسك الآيات داخليا كما تحقق تماسك بعض الآيات ببعضها، من أمثلة التماسك الداخلي للآيات، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾ الآية: 54، ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا﴾ الآية: 56.

ومن ترابط الآيات قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ﴾ الآيتان: 55-56، فجملة «وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ» معطوفة على جملة «وَمَا مَنَع النَّاسُ أَنْ يُؤْمِنُوا».

وهذا المثل اتسق من خلال أدوات العطف وتلخص أسلوبه فيما يلي[1]:

1- التأكيد على احتواء القرآن الكريم لجميع الأمثلة والتي هي عبرة للإنسان: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ﴾ الآية: 54.

2- ثلاثة تذكيرات:

---

[1] إسماعيل بودشيش، معالم قرآنية، ص: 35.

أولا: عتاب للناس: ﴿**وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ...**﴾ الآية: 55.

ثانيا: توضيح: ﴿**وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ ...**﴾ الآية: 56.

ثالثا: تحذير وترغيب: ﴿**وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا....وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ ...**﴾ الآيات: 57-59.

بعد هذا تأتي قصة موسى عليه السلام والخضر، وهي أيضا قد تماسكت بأدوات العطف المختلفة، وتحقق الاتساق فيها بين الكلمتين وبين العبارتين، وكذا بين الجملتين، وتعداه حتى تماسكت بعض الآيات ببعضها الآخر، وكل هذا يدل على مدى ترابط هذه القصة وتلاحم أجزائها، وهي أيضا ترتبط بأجزاء السورة الأخرى، وكانت بداية هذه القصة من الآية (60) إلى الآية (82).

ومن أمثلة الربط في هذه القصة بين كلمتين، قوله تعالى: ﴿**فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا**﴾ ***الآية: 80***

من خلال العطف بين الكلمتين الطغيان، والكفر تحقق تماسك الآية داخليا، يقول "برهان الدين البقاعي" في قوله تعالى: «**طُغْيَانًا**» أي تجاوزا في الظلم وإفراطا فيه «وَكُفْرًا» أي كفرا لنعمتهما فيفسد دينهما[1]، وهو يسير في المحور العام للسورة والمتمثل في الصراع بين الحق والباطل.

أما أمثلة العطف بين عبارة وعبارة ففي قوله تعالى: ﴿**قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ**﴾ ***الآية: 78.***

فعطف المضاف والمضاف إليه على المضاف والمضاف إليه، فكان هناك تماسك واتساق بين عبارتين داخل هذه الآية.

وأما أمثلة العطف في الجمل داخل الآيات، ففي قوله تعالى:

- ﴿ **نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا** ﴾ ***الآية: 61.***

---

[1] البقاعي، نظم الدرر، ج4، ص: 496.

- ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا﴾ الآية: 63.

«**واتخذ سبيله في البحر**» معطوفة على جملة «**فإني نسيت الحوت**»، ومن عطفه الجملة أيضا قوله تعالى: ﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ الآية: 65.

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن الترابط بين الآيات فإننا نجده قد انتشر في هذه القصة، مما يدل على تماسكها وإحكام اتساقها، ومن الآيات المرتبطة بالعطف في هذه القصة ما يلي:

﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ الآيتان: 60- 61.

فالربط في هذا المقطع من القصة حقق الاتساق بين الآيتين من خلال:

1- قول موسى عليه السلام لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين.

2- بلوغهما مجمع البحرين.

أما المقطع الثاني من القصة والذي ربط فيه بين آيتين، ففي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ الآيتان: 61- 62.

فقد تماسك هذا المقطع بأداة العطف "الفاء" ودل على الترتيب والتعقيب في أحداث القصة، ووجود "الفاء" هنا يناسب القصة المتسلسلة وفقا لسريان أحداثها.

ومن اتساق الآيات أيضا قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ﴾ الآيتان: 64- 65.

فقد أدت أداة العطف "الفاء" إلى الربط بين الآيتين (64) و(65) إذ جملة «**فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا**» معطوفة على جملة «**فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا**»، والمعنى الذي يفهم من خلال العطف، أنهما رجعا يقصان أثرهما الذي نسيا فيه الحوت، فلما وصلا إليه، وجد «**عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا**» وهو

الخضر[1]، فوجوده عليه السلام ارتبط برجوعهما على آثار سيرهما، فتماسكت بذلك أحداث القصة عن طريق هذه "الفاء" العاطفة.

ومن تماسك الآيات أيضا قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ۝ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ۝ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ۝ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾.الآية 79-82.

فكثرة هذه الأدوات وتنوعها، تعكس اتساق هذا الجزء من السورة، وهو قصة موسى والخضر عليهما السلام، حيث برزت أداة العطف "الواو" و"الفاء" وقامت بالربط بين كل من الآيات (79-80-81-82) وأحدثت التماسك بينهم فكانت بمثابة جواب واحد حول القضايا الثلاث التي لم يستطع موسى عليه السلام الصبر عليها وهي:

1- خرق السفينة.

2- قتل الغلام.

3- الجدار الذي أقامه.

فكان العطف في هذه القصة قد توزع بين الكلمات وكذا الجمل والعبارات وكثر أيضا عطف الآيات من بدايتها حتى نهايتها، ساهم في ذلك تنوع أداة العطف بين "الفاء" و"الواو".

ووجود العطف بين الجمل والآيات يحقق التماسك بين أركان النص، على عكس وجوده بين الكلمات، فإنه يحقق التماسك على مستوى الجملة الواحدة، وانتشار النوع الأول دلالة على تماسك هذه القصة.

ولما فُرِغَ من هذه القصة التي حاصلها أنها طواف في الأرض لطلب العلم[2]، استأنف الحديث عن قصة أخرى بقوله جل شأنه: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ﴾ *الآية: 83.* ولكون هذا المقطع من السورة، مثل سابقيه، يتسم بالطابع القصصي، فقد تماسك هو الآخر عن طريق عطف الكلمات

---

(1) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 482.

(2) البقاعي، نظم الدرر، ج4، ص 501.

والجمل والعبارات وكذلك الآيات، وتنوع استعمال العطف فيها بين "الواو" و"الفاء و"ثم"، فيما بين الآية (83) والآية (101).

ومن أمثلة عطف الكلمات في هذه القصة قوله تعالى:﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ﴾ *الآية: 94.*

ومن أمثلة عطف العبارات بعض على بعض قوله تعالى:﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ﴾*الآية: 94.*

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ *الآية: 95.*

ومن أمثلة عطف الجمل بعضها على بعض قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ *الآية: 84.* ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ *الآية: 86.*

أما بخصوص عطف الآيات فقد كثرت في هذه القصة، وذلك نتيجة تسلسل أحداث القصة وتتابعها، وقد ساهمت ثلاث أدوات عطف في اتساق القصة بمراحلها الثلاث بعد مقدمة قصيرة وهي[1]:

المرحلة الأولى: السفر إلى مغرب الشمس (الآية: 85-88).

المرحلة الثانية: السفر إلى مطلع الشمس (الآية: 90-91).

المرحلة الثالثة: السفر إلى السدين (الآية: 92-101).

وهذه الأدوات هي "الفاء" و"الواو" و"ثم" في قوله تعالى:

- ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾.الآية **84-85.**

- ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾الآية **87-89.**

---

(1) إسماعيل بودشيش، معالم قرآنية، ص 39-40.

- ﴿ءَاتُونِىٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ۝ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾الآية 96-97.

- ﴿فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ۝ وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا﴾الآية 99-100.

فقد حصل الترابط بين الآيات في ستة مواضع، حيث توزعت أدوات العطف في بداية هذه الآيات، مما يوحي بالتماسك النصي لهذا الجزء من السورة، عبر مقدمة هذه القصة ومحاورها الثلاثة، من خلال إقرارها –كسابقاتها- بنزول العذاب والوعيد للظلم في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة، والحسن لمن آمن وعمل صالحا.

وإذا تبين لنا اتساق هذه القصة وتماسكها، حيث تنوعت فيها أدوات العطف وتوزعت من خلال آياتها داخليا، وربطت بين آياتها أيضا، فإنه لا يخفى علينا اتساقها مع القصص الأخرى السابقة، وهذا ما هو واضح من خلال الاستئناف "بالواو" في بداية كل قصة، باستثناء القصة الأولى التي جاءت بأداة العطف "أم" كالآتي:

- قصة الرجل المؤمن: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ﴾.

- قصة آدم وإبليس: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾.

- قصة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾.

- قصة ذي القرنين: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِ﴾.

هذا باستثناء القصة الأولى؛ قصة أصحاب الكهف التي ابتدأت بحرف العطف "أم"، وهذا إنما يدل على ترابط القصص بعضها ببعض، بالإضافة إلى ترابط القصص الأربع، مع قصة أصحاب الكهف، كونها تعتبر القصة المحورية في هذه السورة وبها سميت.

وبعد هذه القصص تأتي الخاتمة وهي عبارة عن سؤال وجواب، حيث جاءت في شكل تحفة فنية ربانية في منتهى أساليب الاتصال وتبليغ الكلمة إلى الناس عامة والمؤمنين وأولي الألباب خاصة[1]،

---

[1] إسماعيل بودشيش، معالم قرآنية، ص 57.

مؤكدة قضية أساسية محورية، تعتبر قضية السورة بصفة عامة، وهي التوحيد والعقيدة: ﴿**وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا**﴾الآية **110**، وساهم في تماسك هذه الخاتمة بعض أدوات العطف التي عملت على اتساقها داخليا، فربطت بين العبارات والجمل.

فمن أمثلة ربط العبارات في خاتمة هذه السورة، قوله تعالى:

- ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ**﴾ *الآية: 105.*
- ﴿**وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا**﴾ *الآية: 106.*

ومن أمثلة ربط الجمل عن طريق العطف في الخاتمة، قوله تعالى: ﴿**فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا**﴾الآية110.

أما عطف الآيات بعضها على بعض في هذه الخاتمة، فلم تكن هناك أدوات عطف رابطة بينهما، بينما كانت هناك وسائل تماسك أخرى ذكرت وستذكر في محلها عملت على تماسكها النصي مع باقي وحدات السورة.

ومن هنا يتبين أن توزيع أدوات العطف في هذه السورة يؤدي إلى نتيجة مفادها أن العطف لا يتوقف دوره على الربط بين الكلمات والجمل المتقاربة والعبارات بل يتعدى دوره إلى تحقيق الاتساق النصي لسورة الكهف، من خلال دوره البارز في هذه الأدوات وحققت هذا التماسك مع وسائل الاتساق السابقة.

لكن السؤال المطروح: هل هناك وسائل اتساق أخرى ذكرها علماء النص تستطيع أن تحقق التماسك النصي لهذه السورة؟

لا شك أن هناك التكرار الذي عده العلماء أحد وسائل اتساق النصوص، لكن دوره في تحقيق اتساق سورة الكهف من عدمه، سيكون بعد الدراسة والتحليل لمواضع التكرار فيها.

4- التكـــرار:

التكرار أحد الظواهر اللغوية التي اتسمت بها جميع اللغات، وخصوصا منها العربية، فاعتنى به أهل اللغة قديما وحديثا، فكان محل اهتمام النحويين والبلاغيين، فتحدثوا عن حقيقة التكرار، وأنواعه وأغراضه البلاغية، مع إعطاء أمثلة على كل نوع وشواهد لكل غرض فكانت نظرهم إلى التكرار في تماسك النصوص قليلة ، على نحو ما عده "الجرجاني" من معاني النحو «التي تبث في الكلام الانسجام والاتساق والتناسق»[1].

وبما أن دراستنا تدور حول أهمية التكرار في تحقيق الاتساق النصي لسورة الكهف، سوف لن نتطرق إلا للأمور التي لها علاقة بين التكرار ولسانيات النص، ومنها إمكانية معرفة:

- العلاقة بين المعنى المعجمي للتكرار والتماسك النصي؟
- وما هي المفارقات بين البلاغيين العرب وعلماء لسانيات النص، في معالجة ظاهرة التكرار؟
- وما هي أنواع التكرار ووظائفه؟
- وما هو دوره في تحقيق الاتساق النصي لسورة الكهف؟

أ- مفهوم التكرار:

المعنـــى اللغـــوي:

الناظر إلى معجم لسان العرب في مادة "كرر"، نجد أنها تدور حول عدة معاني، حيث يذكر "ابن منظور" عدة محاور أساسية لها، ومنها: الكرُّ: الرجوع... وكرّر الشيء وكركره: أعاده مرة بعد أخرى...ويقال: كرّرْت عليه الحديث وكَرْكَرْتَهُ إذا ردّدته عليه... والكرّ: الرجوع على الشيء، ومنه التكرار...والكُرّة: البعث وتجديد الخلق بعد الفناء، والكرْ: حبل تقاد به السفن في الماء، وقيل الكرّ: الحبل الغليظ... والكرُّ: ما ضم ظَلِفَتَيْ الرّحل وجمع بينهما... والكرْكرَة: تصريف الريح السحاب إذا جمعته بعد تفرق...وكركره عن الشيء: دفعه ورده وحبسه... والكرَاكرُ: الجماعات، قال الجوهري: الكِرْكِرَةُ: الجماعة من الناس.

---

(1) إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، ص 231.

من خلال هذه التعاريف اللغوية يتبين لنا أن مادة "كرر" تحوي عدة معاني فمنها:

- الرجوع، وهذا له علاقة بالإحالة على مذكور سابق داخل النص أو إحالة على سابق.
- أيضا من معانيها: إعادة الشيء أكثر من مرة، وكذلك: البعث، والحبل الغليظ المشدود خيوطه بعضها ببعض والتفت لتكون حبلا متينا.
- وكذلك ضم ظلفتي الرّحل، والضم أحد معاني التماسك.
- وتصريف الريح السحاب إذا جمعته بعد تفرق، فهذا يعني ضم الشيء وجعله في وحدة كلية، والدراسة النصية تدرس النصوص بصفتها وحدة كلية.
- ومن المعاني أيضا الجماعات، والجماعة من الناس، وهذه الجماعة تدل تماسكها ووحدتها وترابطها الاجتماعي، والجماعة تعني الوحدة، فكذلك النص يدرس بصفة وحدة كلية شاملة.

المعنى الاصطلاحي:

أما من الناحية الاصطلاحية، فيعرفه البلاغيون العرب وعلى رأسهم "ابن الأثير" على أنه: «دلالة اللفظ على المعنى مرددا»[(1)].

ويحدده "السجلماسي" بقوله: «هو إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو النوع (أو المعنى الواحد بالعدد أو النوع)، في القول مرتين فصاعدا»[(2)].

ولقد أشار أيضا –السجلماسي- إلى وظيفة التكرار في الربط بين الأجزاء واصطلح على تسمية هذا النوع من التكرار "بالبناء" وسنلحظ ما في هذا المصطلح من دلالة الربط والتلاحم، قال: «البناء: هو إعادة اللفظ الواحد بالعدد وعلى الإطلاق، المتحد المعنى كذلك مرتين فصاعدا، خشية تناسي الأول لطول العهد في القول»[(3)].

---

(1) ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، نهضة مصر (د.ط)، (د.ت)، ج3، ص 03.

(2) السجلماسي، المنزع البديع، ص 476، نقلا عن: جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 84.

(3) جميل عبد المجيد، المرجع نفسه، ص 92.

أما "الزركشي" فيعرفه بأنه الترديد والإعادة، وذكر أن من أسباب عده من أساليب الفصاحة «تعلق بعضه ببعض»[1].

أما من منظور لسانيات النص، فيعرف "محمد خطابي" التكرار على أنه: « شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له، أو شبه مرادف، أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما»[2]، وتجدر الإشارة هنا إلى أن مصطلح التكرار الذي استعمله "محمد خطابي"، هو نفسه مصطلح التكرار.

ويذكر الأزهر الزناد بأن الإحالة بالعودة تشتمل على نوع آخر من الإحالة يتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد وهو الإحالة التكرارية[3].

أما "دفيد كريستال" ***David Crystal*** فيجعله واحدا من عوامل التماسك النصي، وذكر أنه «التعبير الذي يكرر في الكل والجزء»[4].

ويؤكد الباحثون إلى أن التكرار ليس مقصورا في جزء من النص دون الآخر، بل نجده في بداية النص كما في نهايته أو حتى في وسطه، ويقدم أحد المهتمين بلسانيات النص تعريف للتكرار حيث يقول: «التكرار هو إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه أو بالترادف، وذلك لتحقيق أغراض كثيرة، أهمها تحقيق التماسك النصي بين عناصر النص المتباعدة»، فهذا التعريف يضمن الوظيفية النصية للتكرار.

ب- التكرار بين البلاغيين العرب والنصانيين:

أما فيما يخص المفارقات بين البلاغيين العرب والمهتمين بلسانيات النص في معالجة ظاهرة التكرار فتوجز في الآتي:

---

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 09.

(2) محمد خطابي، لسانيات النص، ص 24.

(3) الأزهر الزناد، نسيج النص، ص 119.

(4) David Crystal, the Cambridge encyclopedia of language, p 119.

نقلا عن: صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي، ج2، ص 19.

الأولى: معالجة هذه الظاهرة عند البلاغيين العرب من منظور بلاغي صرف؛ ومن ثم كان التركيز على الكلام الأدبي والشعري خاصة، وكذلك القرآن الكريم من حيث إعجازه البلاغي، بينما عولجت الظاهرة –عند علماء لغة النص– من منظور لساني صرف، ومن ثم شملت النصوص بمختلف أنواعها.

الثانية: عدم الاقتصار في هذه المعالجة –عند علماء لغة النص– على مستوى الجملة، بل تجاوز هذا المستوى إلى الجمل والفقرة والنص بتمامه، بينما ركزت المعالجة -عند البلاغيين العرب– أكثر ما ركزت وخاصة في مرحلة التقعيد على الجملة أو البيت، وإن جاءت عندهم –أحيانا– شواهد تجاوزت هذا المستوى.

الثالثة: وقف علماء لغة النص على أربع درجات للتكرار، وهم في هذا أفادوا من الدراسات اللغوية والدلالية المعاصرة، بينما وقف البلاغيون العرب على درجتين فقط (إعادة العنصر المعجمي، والترادف أو شبه الترادف).

الرابعة: سيطرت الغاية التقعيدية التعليمية على البلاغة العربية –خاصة مرحلة التقعيد– بينما سيطرت على علماء لغة النص الغاية الوصفية التشخيصية[1].

وقد كانت من نتائج هذه المفارقات هو كشف البلاغيين العرب على جانب أو جوانب دور ظاهرة التكرار في أدبية الكلام وشعريته على مستوى الجملة أو البيت غالبا، بينما كشف علماء لغة النص عن دور هذه الظاهرة في الاتساق وهو أحد عوامل التماسك النصي.

ج- أنــواع التكــرار:

تتنوع صور الروابط التكرارية، إذ يمكن ذكر نوعين لها:

1- التكرار المحض (التكرار الكلي) وهو نوعان:

- التكرار مع وحدة المرجع (أي يكون المسمى واحدا).
- التكرار مع اختلاف المرجع (أي المسمى متعددا).

---

[1] جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 85-86.

2- التكرار الجزئي: ويقصد به تكرار عنصر سبق استخدامه، ولكن في أشكال وفئات مختلفة[1].

وهناك من يذكر أربعة أنواع:

1- التكرار التام أو المحض: تكرار اللفظ والمعنى والمرجع واحد.

2- التكرار الجزئي: وذلك بالاستخدامات المختلفة للجذر اللغوي.

3- تكرار المعنى واللفظ مختلف: وبشمل الترادف وشبه الترادف، والصياغة أو العبارة الموازية.

4- التوازي: وذلك بتكرار البنية مع ملئها بعناصر جديدة[2].

وهناك من قسمه على حسب الزيادة من عدمها فجعل:

الأول: مذموم، وهو ما كان مستغنى عنه، غير مستفاد به زيادة معنى...

فيكون التكرار حينئذ فضلا من القول ولغوا، وليس في القرآن شيء من هذا النوع.

الثاني: ما كان بخلافه، ولا يمكن تجنبه، لأن ترك التكرار في الموضع الذي يقتضيه وتدعو إليه الحاجة فيه مماثل لتكلف الزيادة في وقت الحاجة إلى الحذف والاختصار[3].

وهناك من يذكر للتكرار عدة أنواع هي:

1- تكرار الحروف والكلمات والعبارات والجمل والفقرات أحيانا.

2- تكرار القصص[4].

---

(1) أحمد عفيفي، نحو النص، ص: 106-107.

(2) جميل عبد المجيد، "علم النص أسسه المعرفية وتجلياته النقدية"، عالم الفكر عدد 02، مج32، (أكتوبر/ ديسمبر 2003)، ص: 146.

(3) حسين النصار، إعجاز القرآن- التكرار-، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1423هـ-2003م، ص: 77.

(4) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج2، ص: 22.

فالنوع الأول يظهر في القرآن الكريم داخل السورة، ومن أمثلة تكرار "لفظ الجلالة" أو تكرار ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾الآية13، أو ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾الآية 15...إلخ، ومن خلال هذا النوع يظهر الاتساق النصي بين أجزاء أو وحدات السورة.

أما النوع الثاني فإنه لا يحقق الاتساق بين أجزاء السورة، كونه يحصل على مستوى السور المختلفة، حيث لا تكرر القصة في سورة واحدة، وإنما يتكرر ذكرها في القرآن الكريم بصفة عامة، مثل ذلك: بعض قصص الأنبياء، منها قصة: آدم وإبليس، وقصة موسى عليه السلام...إلخ.

ولكون النوع الثاني لا يحقق الاتساق على مستوى السورة الواحدة فإننا سنقتصر في دراسته سورة الكهف على النوع الأول.

د- وظائف التكرار وأغراضه البلاغية:

لقد تناول كثير من البلاغيين وظائف التكرار المعجمي، وعددوها له، واعتبروا التكرار دون وظيفة تذكر، عيب أو «خذلان بعينه» على حد قول "ابن رشيق"[1]. الذي ذكر تسع وظائف للتكرار حيث يقول: «ولا يجب للشاعر أن يكرر اسما إلا على جهة التشويق والاستعذاب... أو كان على سبيل التنويه والإشادة بذكر، إن كان في مدح...أو على سبيل التعظيم للمحكي عنه، أو على سبيل التقرير والتوبيخ...أو على جهة الوعيد والتهديد، إن كان عتاب موجع... أو على وجه التوجع إذا كان رثاء وتأبينا... أو على سبيل الاستغاثة... ويقع التكرار في الهجاء على سبيل الشهرة وشدة التوضيع بالمهجو... ويقع أيضا على سبيل الازدراء والتهكم والتنقيص»[2]، وهذا يوحي بأن البلاغيين العرب قد اهتدوا إلى كثير من وظائف التكرار.

---

(1) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، 1982، ج2، ص: 73.

(2) المرجع نفسه، ص 74-76.

أما وظيفته في إطار لسانيات النص، فقد ذكر الباحثون في مجال هذا العلم، عدة وظائف يأتي على رأسها أنه «يهدف إلى تدعيم التماسك النصي»[1]، وكذلك «يعطي منتج النص القدرة على خلق صورة لغوية جديدة»[2].

فوجود التكرار في النص يحقق الاتساق، وترابط وحدات النص، سواء كان في بداية النص أو في نهايته أو حتى في ثناياه، وسواء كان كلمة أو جملة أو عبارة أو حتى تكرار آية في سورة من سور القرآن الكريم، لكن اشتراط وجوب ورود الشيء المكرر بكثرة في النص حتى يتحقق الاتساق، فهذا شرط قد يصعب تعميمه على كل النصوص، إذ كثرة وروده قد تحقق الاتساق حقا، لكن وروده بأعداد قليلة لا ينفي تحقيقه للاتساق.

والسؤال المطروح: هل حقق التكرار في سورة الكهف الاتساق النصي أم لا؟

هـــ- التحليل النصية للسورة:

ظاهرة التكرار في القرآن الكريم ظاهرة لافتة للنظر... تستريح لوجوده النفس، وتتقبله الطبع ويحس المستمع باستجابة يدرك عمقها[3]، وتتميز سورة الكهف ببعض التكرارات، تمنح النص خصوصية، وتسهم في اتساقه معجميا أفقيا، ثم اتساقه معجميا كليا، ومثل هذا التكرار بين الترابط والتلاحم بين العبارات والآيات، وكذلك وحدات السورة، مؤكدة بذلك الهدف العام للسورة.

وسورة الكهف سورة مكية، عنيت بعدة قضايا، ومن أجلّها، بلا شك قضية العقيدة[4]، وهو إثبات العبادة لله تعالى دون ما سواه، ولذلك فقد تكررت لفظ الجلالة لدرجة لافتة للنظر وهي: خمسة وخمسين مرة، اختلفت بين لفظ الجلالة "الله" في خمسة عشرة مرة، والباقي موزعة بين لفظة "رب" واشتقاقاتها المختلفة، بالإضافة إلى الضمائر التي تعود على لفظ الجلالة "الله"، والتي سبق ذكرها في موضوع الإحالة وهي نوع من التكرار، لأن الضمائر تحل محل الأسماء، وقد ذكرت الضمائر التي تميل إلى الله عز وجل تسع وثمانين مرة.

---

(1) صبحي إبراهيم، الفقي، علم اللغة النصي، ج2، ص 21.

(2) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 306.

(3) البدراوي زهران، ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1993، ص 27.

(4) صالح المغامسي، سلسلة محاسن التأويل.http://audio,ISLAMweb.net 09/10/2008

واستمرار ذكر لفظ الجلالة عبر الآيات المختلفة في هذه السورة يحقق التواصل بين الآيات والمواضيع المختلفة للسورة.

وقد كانت البداية بالآية الأولى في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ الآية: 01.

وهي هنا جملة خبرية، أخبر الله نبيه والمسلمين، بأن مستحق الحمد هو الله تعالى لا غيره[1].

وتكرر لفظ الجلالة قد توزع من الآية الأولى، وحتى الآية الأخيرة: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ الآية: 110.

وقد انتشر هذا في ثنايا السورة، وأحيانا في الآية الواحدة يتكرر فيها أكثر من مرة، وهذا لا يحقق الاتساق على مستوى الآية فقط، بل يتعداه ليحقق الترابط بين الآيات المنتشرة فيها لفظ الجلالة، ويتأكد هذا الاتساق عندما نتأكد أن معظم هذه الآيات تحمل أمورا مسندة إلى الله تعالى، وعلاقة الإسناد لها الدور البارز في تحقيق الترابط بين الأجزاء، ومن هذه الآيات: قوله تعالى:

- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ الآية: 01: إنزال الكتاب.
- ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ الآية: 17: الهداية.
- ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ الآية: 16: العبادة لله تعالى.
- ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ الآية: 24: مشيئة الله.
- ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ﴾ الآية: 26: العلم.

هذا بلفظ الجلالة الله.

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص 246.

وكذلك بلفظ الجلالة "الرب" والتي منها:

- ﴿يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ *الآية:* **16**: فأسندت إليه جل جلاله الرحمة.
- ﴿وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا﴾ *الآية:* **24**: فأسندت إليه جل جلاله الهداية.
- ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ *الآية:* **27**: فهو الذي أوحى إلى رسوله.
- ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ *الآية:* **28**: فأسندت إليه العبادة لأنه مستحق للعبادة، والدعاء عبادة من العبادات، بل من أجلها.

هذه الأمور كلها حمد الله تعالى، والهداية واستحقاق العبارة، والمشيئة والعلم، ونشر الرحمة، والهداية أيضا، والوحي، والدعاء، كلها أسندت إلى الله تعالى وغيرها من الأمور التي لم تذكر، ولما انتشرت في ثنايا السورة كانت عاملا مهما وأساسيا في تماسكها واتساقها عبر هذا التكرار، ولا يخفى من استمرار ذكر الله في الآيات المختلفة من تحقيق التواصل بينها.

وهذا التكرار -كما سبق- حقق الاتساق على مستويين:

المستوى الأول: اتساق الآية فيما بينها.

المستوى الثاني: اتساق الوحدات والأجزاء المختلفة للسورة.

وأفضل مثال يمثل المستوى الأول، هو الآية الأخيرة في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ *الآية:* **110**.

فقد تكرر لفظ الجلالة عدة مرات وتحقق الاتساق بين جمل هذه الآية وترابطت في نسق محكم وفي الوقت الذي حققت فيه هذه الألفاظ الاتساق داخل هذه الآية، حققت أيضا الاتساق على مستوى الآيات، بل على مستوى السورة بأكملها، لأن الله تعالى لا بد أن نحمده حق حمده على إنزال الكتاب على نبينا محمد ﷺ.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ الآية: 01.

وفي الآية الأخيرة يذكر أنما علمه ﷺ مستند إلى وحي ربه[1] ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ الآية: 110.

فتحقق الاتساق بين الآية الأولى والأخيرة عن طريق تكرار لفظ الجلالة في كل من الآيتين، بالإضافة إلى الآيات الأخرى التي انتشر فيها لفظه عز وجل، ولكون السورة يغلب عليها الطابع القصصي وعلم هذه القصص موكل إلى الله ﷻ، ونحن أمة تؤمن بالغيب، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ البقرة، الآية: 03، ولأن القضية الأساسية للسورة هي إثبات العبودية لله ﷻ فقد تكون هذه أسباب كثرة تكرار لفظ الجلالة الذي حقق الاتساق النصي للسورة والله تعالى أعلم.

من خلال تكرار لفظ الجلالة، تبرز الوظيفية التماسكية للتكرار، حيث اتسقت الآيات التي تدور حول إسناد الأمور إلى الله ﷻ، وهذه الآيات انتشر وجودها من بداية السورة حتى نهايتها، ومن ثم لم يتحقق الاتساق على مستوى هذه الآيات منفردة فقط، بل تعداها إلى اتساق السورة بأكملها، فتكونت بذلك وحدة نصية كلية.

فإذا كان التكرار السابق يتعلق بلفظ الجلالة ﷻ، فإن التكرار الثاني يتعلق بالسورة كونها سورة قصصية بالأساس، إذ نتيجة للطبيعة القصصية لها، كان الحوار السمة البارزة فيها، ولفظ القول من أهم أساليب ذلك الحوار، وبذلك فقد بين الإحصاء وجود سبع وخمسين موضع تكرار لفظ القول، منها لفظ: قالوا، يقولون، قلنا، قال، قل، قلت، يقول، أقل، قولا.

حيث تكرر في افتتاحية السورة مرتين، وفي قصة أصحاب الكهف مع تعقيبها ست عشرة مرة، حيث تماسكت من خلال تكرار الجذر "ق و ل" فيها، واتسقت فيما بينها، من بداية القصة حتى نهايتها، منها قوله تعالى:

- ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ الآية: 10.

---

[1] أبو حيان الأندلسي، النهر المهاد من البحر المحيط، مج3، ص: 280.

- ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا﴾ الآية: 14.

- ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ﴾ الآية: 19.

- ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ الآية: 22.

ومما يلاحظ على تكرار لفظ القول أنه حقق التماسك من جانبين؛ جانب أول داخلي، وهو الاتساق الذي حصل بين جمل الآية الواحدة، والتماسك الثاني هو ذلك الاتساق الحاصل بين الآيات والذي ربط بين مجريات القصة من بدايتها حتى نهايتها والتعقيب عليها.

أما القصة الثانية: قصة الأخوان المؤمن والكافر، فقد تكرر فيها لفظ القول بدرجة أقل من قصة أصحاب الكهف، فكان في خمسة مواضع فقط، لكن على الرغم من عدم انتشاره فيها، إلا أن هذه الألفاظ المتكررة كانت عاملا على التماسك منها قوله تعالى:

- ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ الآية: 34.

- ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا﴾ الآية: 35.

- ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ الآية: 37.

- ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الآية: 39.

- ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ الآية: 42.

وكل هذه التكرارات كانت نتيجة الحوار القائم بين الأخوين، وهذا الحوار في أساسه بألفاظه المتكررة، كان أحد أسباب تماسك هذه القصة واتساقها، لأن طبيعة الحوار تقتضي القول والرد عليه.

أما مثَل الحياة الدنيا، فلم يذكر فيها لفظ القول إلا مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ الآية: 49.

وتكررت في قصة آدم عليه السلام وإبليس مرتين، أما في المثل الخامس الذي يتحدث فيه عن القرآن الكريم والأمثلة، فلم يُذكر لفظ القول إطلاقا.

والملاحظ على هذه الثلاثة –مثل الحياة الدنيا وقصة آدم عليه السلام وإبليس، والقرآن الكريم والأمثلة– لم يتكرر فيها لفظ القول مجتمعة إلا ثلاث مرات، وهذا راجع لكون هذا الجزء من سورة الكهف لم يكن ذا طابع حواري بين شخصين أو فئتين، ولهذا لم يتكرر فيها هذا اللفظ.

أما قصة موسى عليه السلام فقد كانت ذات طابع قصصي حواري كثر فيها تكرار لفظ القول ثمانية عشر مرة، فتماسكت آيات بعضها برباط بعض واتسقت داخليا بين جمل بعض الآيات، وخارجيا بين آيات القصة بعضها ببعض.

ومن أمثلة تماسك الآيات عن طريق تكرار لفظ القول في هذه القصة، قوله تعالى:

- ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ الآية: 72.
- ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ الآية: 75.

ففي الآيتين السابقتين يلاحظ الاتساق الداخلي لكل واحدة منهما، وأيضا ترابط أجزاء القصة بتكرار نفس الألفاظ الواردة في الآية (72) وردت في الآية (75) وقد عمل بذلك على تماسكها.

وتكرر لفظ القول في قصة ذي القرنين تسع مرات، ويعود ذلك أيضا للطابع القصصي الحواري لها، فأحدثت ترابطا داخل الآيات، وساهم في ربط الآيات بعضها ببعض.

فمن أمثلة ربط الآيات، قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ الآية: 96.

ومن أمثلة ربط الآيات بعضها ببعض في هذه القصة، قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَـٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا﴾ الآية: 94-95.

فجملة: «قالوا» استئناف للمحاورة[1]، وكذا أيضا جملة "قال" استئناف للمحاورة التي وقعت بين ذي القرنين والقوم الذين اشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج، فكان التكرار هنا أحد أدوات اتساق هذه القصة.

لتأتي في الأخير، خاتمة هذه السورة، وقد تكرر فيها لفظ القول في ثلاث مواضع:

- ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَـٰلًا﴾ الآية: 103.
- ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّي﴾ الآية: 109.
- ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ الآية: 110.

وهذا التكرار، لم يعمل على تماسك هذه الخاتمة فحسب، بل بفضل تكرار لفظ القول هنا، حدث تماسك واتساق بين نهاية السورة وبدايتها.

وذلك لأن في هذه الآيات استئناف ابتدائي، وهو انتقال إلى التنويه بعلم الله تعالى مفيض العلم على رسول الله ﷺ، لأن المشركين لما سألوه عن أشياء يضنونها مفحمة للرسول... أخبر عنها أصدق خبر وبينها بأقصى ما تقبله إفهامهم[2].

وكان آخر شيء أخبر به، خبر ذي القرنين، وأتبع ذلك بما يعلم منه سعة علم الله تعالى، وأنه لا يعجزه أن يوحي إلى رسوله بعلم كل ما يُسأل عن الإخبار به، وفي هذا رد عجز السورة على صدرها[3]، ومن المعلوم أن رد العجز على الصدر نوع من أنواع التكرار، يعمل على تماسك

---

(1) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص: 32.

(2) المرجع نفسه، ج16، ص: 51.

(3) المرجع نفسه، ج16، ص: 52-54.

النصوص وتلاحمها ليجعل منها وحدة مترابطة الأجزاء يتعالق فيها العجز مع الصدر مكونا بذلك لحمة واحدة.

أما النماذج الأخرى التي تكررت فلم تكن بدرجة تكرار لفظ الجلالة، وكذا لفظ القول، وإنما أحيانا يتكرر اللفظ مرة أو مرتين.

وغالب هذا التكرار، تكرار حاصل على مستوى قصة معينة أو جزء من سورة، دون أن يتعداه إلى الأجزاء الأخرى، لكن على الرغم من قلة تكرارها، إلا أنها حققت أيضا الاتساق النصي لهذه الأجزاء، ومن بين هذه التكرارات، تكرار لفظ "الكهف" في ستة مواضع من الجزء الخاص بقصة أصحاب الكهف دون غيرها، وذلك في كل من الآية: (09-11) و(16-17) و(25)، وهذه التكرارات كان دورها في الاتساق بارز وواضح، إذ عمل على تماسك هذه القصة وترابطها من بداية الحديث عن أصحاب الكهف: ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا**﴾ *الآية: **09***، إلى آخر ذكر للفظ "الكهف" في قوله تعالى: ﴿**وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا**﴾ *الآية: **26***.

وهناك ألفاظ أخرى تكررت في هذه القصة، مثل لفظ «لَبِثُوا» التي تكررت خمس مرات من الآية: (12) إلى الآية (26)، ولفظ الفتية تكرر في موضعين، في الآية (10) والآية (13)، وتكررت أيضا عبارة «ذات الشمال» في موضعين، وكل هذه التكرارات حققت الاتساق بين الآيات التي ورد فيها تكرار كل لفظة.

أما قصة الرجلين فقد تكررت فيها لفظ«الجنة»في خمس مواضع، ولأن الجنتين هما سبب الافتتان والامتحان، فقد وصف الله تعالى ما جعل فيها من ثمرات[1]، فقال تعالى: ﴿**...جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا**﴾ *الآية: **32***، ثم ذكر أن ﴿**كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا**﴾ *الآية: **33***، ثم تكرارلفظ الجنة عندما دخل(الظالم لنفسه)إحدى جنتيه: ﴿**وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ**﴾ *الآية: **35***، وتكرر هذا اللفظ أيضا في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلَآ إِذْ**

---

[1] عبد الحميد محمود طهمار، العواصم من الفتن في سورة الكهف، دار القلم، دمشق، ط2، 1420هـ-1999م، ص: 72.

دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ *الآية: 39*، وأيضا في قوله تعالى: ﴿**فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ**﴾ *الآية: 40*، فحدث التماسك بين الآيات التي احتوت هذه الألفاظ، هذا بالإضافة إلى تحقيقه للحوار الذي دار بين الأخوين والذي يعد أحد عوامل اتساق هذا الجزء من السورة.

ومن بين التكرار الوارد في هذه القصة أيضا، تكرار عبارة «قال له صاحبه» في الآيتين: 34-35، ويظهر الاتساق من خلال هذا التكرار، رغم وجود آيات فاصلة بينها.

أما في قصة موسى عليه السلام مع الخضر، فقد تكرر فيها لفظ «البحر» في أربعة مواضع وحقق اتساق ثلاث آيات وهي: الآية: (60-61)، (63)، وتكرر أيضا في أواخر هذه السورة في قوله تعالى: ﴿**أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ**﴾ *الآية: 79*.

وفي قصة ذي القرنين تحقق اتساق من خلال تكرار عبارة «اتبع سببا» في ثلاثة مواضع، وذلك بتماسك ثلاث آيات غير متجاورات، هي الآية: (85)، (89)، (92)، فكان هناك نوع من الترابط الشكلي لأجزاء القصة.

وخلاصة القول أن للتكرار دورا كبيرا في تحقيق الاتساق النصي لسورة الكهف، فقد وظف توظيفا نصيا تماسكيا في هذه السورة، إذ ساهم تكرار الألفاظ والعبارات في تماسكها، حيث أن هناك نماذج تكرارية ساهمت في اتساق مواضيع السورة كاملة، كلفظ الجلالة "الله"، ولفظ "القول"، وأخرى حققت اتساق وحدات السورة منفردة، هذا بالإضافة إلى رد العجز عن الصدر ودوره في ترابط هذه السورة المباركة.

الفصل الثالث

الانسجام في سورة الكهف

تمهيـــــد:

من المعلوم أن لسانيات النص تنظر إلى النص نظرة كلية، مما أدى بها إلى البحث في تماسكه، فكان من ذلك الاتساق الذي يعتبر من أهم أدوات هذا العلم، لكن هذا الأخير –كما سبق ذكره- مركز اهتمامه البنية السطحية الظاهرية، التي تبحث في الترابط الشكلي للنصوص مما جعلها تمهيدا للباحث قصد الغوص في أعماق النص والبحث في خباياه التي تساهم في ترابطه من جهة المعاني والأفكار المتواجدة فيه، وهذا ما يبحث فيه الانسجام.

فالترابط الدلالي للنص مكمل لترابطه الشكلي، ونقطة وصول إلى تماسكه الكلي، لأن النص عندما يكون مترابطا من الناحية الشكلية ولا يكون مترابطا من الناحية الفكرية، نقول أن نصيته لم تكتمل[1]، كون الأول يعطينا نظرة شاملة حول التماسك السطحي للنص، والثاني من جهة اهتمامه العلاقات الخفية والترابطات الدلالية التي توصلنا إلى عالم النص ووحدته الكلية، فهما وجهان لعملة واحدة، لا قيمة لوجهها الأول إلا بحضور الثاني، والذي هو الانسجام.

والإشكالية المطروحة في هذا الفصل تتمحور حول هذا السؤال ما آليات الانسجام التي ساهمت في تماسك سورة الكهف، بعد توضيحنا لأهم أدوات اتساقها؟

I- مفهـــوم الانسجام[*]:

1- لغـــة:

جاء في لسان العرب، مادة (سَجَمَ): سَجَمَتِ العين الدمع والسحابةُ الماء تَسْجِمُهُ سَجْمًا وسُجُومًا وسَجَمَانًا: وهو قَطَرَان الدمع وسَيَلاَنِه، قليلاً كان أو كثيرًا...والعرب تقول دَمْعٌ ساجمٌ، ودمع مسجومٌ: سَجَمَتْهُ العين سَجْمًا...وكذا عين سَجُوم وسحاب سَجُوم، وانْسَجَمَ الماء والدمع، فهو مُنْسَجِمٌ، إذا انْسَجَمَ أي انصب، وسَجَّمَتِ السحابة مطرها تَسْجِيما وتَسْجَامًا إذا

---

(1) سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص: 146.

(*) يقابل مصطلح الانسجام المصطلح الأجنبي ***(Cohérence)***، وهناك من يترجم هذا المصطلح إلى العربية "بالحبك" أمثال جميل عبد المجيد.

صبَّته،...وسجم العين والدمعُ الماءَ يَسْجُمُ سُجُومًا وسِجَامًا إذا سال وانْسَجَمَ، وأسْجَمَتِ السّحَابة دَامَ مَطَرُها[1].

والناظر لمحاور معاني مادة (سَجَمَ) يجد أنها تدور حول الانصباب والصب والسيلان ودوام المطر، مما يجعلنا نصل إلى نتيجة مفادها، أن هذه المعاني اللغوية تتصل بمعنى الانسجام الذي تدور حوله دراستنا، حيث إن انصباب الماء ودوام المطر يقابل انصباب معاني النص، لأن توالي قطرات الماء يؤدي إلى تجمعه، وأيضا تجميع المعاني المستخلصة من النص يؤدي إلى وحدته دلاليا.

2- اصطلاحا:

يعتبر الانسجام أعم من الاتساق كما أنه يغدو أعمق منه، حيث يطلب الانسجام من المتلقي النظر إلى ما هو ليس شكليا ولا معجميا، بل إلى علاقات خفية قائمة داخل النص المراد دراسته، حيث يهتم بترابط المفاهيم والعلاقات الدلالية المتحققة داخله.

ويعتبر الانسجام من المفاهيم التي وظفتها لسانيات النص في الكشف عن التلاحم القائم بين الجمل والفقرات والنص بكامله، أما فيما يخص مفهومه الاصطلاحي فيمكن البحث عنه من خلال آراء النصانيين الذين تحدثوا عنه وأبرزوا المقصود منه:

حيث حدد (سوفنسكي ***Sowinski***) الانسجام بقوله: «يقضى للجمل والمنطوقات بأنها محبوكة، إذا اتصلت بعض المعلومات فيها ببعض، في إطار نصي أو موقف اتصالي اتصالا لا يشعر معه المستمعون أو القراء بثغرات أو انقطاعات في المعلومات»[2]، فترابط المعلومات وعدم انقطاعها شرط لانسجام النص عنده.

أما (ليفاندوفسكي ***Levandowski***)، فيحدد الانسجام على أنه حصيلة تفعيل دلالي يؤدي إلى ترابط معنوي بين التصورات والمعارف يحددها متلقي النص، حيث يقول: «ليس الحبك محض خاص من خواص النص، ولكنه أيضا حصيلة اعتبارات معرفية (بنائية) عند المستمعين أو القراء، الحبك

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص: 1762-1763.

[2] Sowinski, Bernhard: Text linguistik, verlage W. Kohl hammer, Stuttgart- Berlin-Koeln-Mainz (1983) S 83.

نقلا عن: محمد العبد، حبك النص، منظورات من التراث العربي، ص: 55.

حصيلة تفعيل دلالي، ينهض على ترابط معنوي بين التصورات والمعارف، من حيث هي مركب من المفاهيم وما بينها من علاقات، على معنى أنها شبكة دلالية مختزنة، لا يتناولها النص غالبا على مستوى الشكل، فالمستمع أو القارئ هو الذي يصمم الحبك الضروري أو ينشئه»[1].

وقد لخص "ليفاندوسكي" زوايا النظر إلى الحبك (الانسجام) في لسانيات النص فيما يلي:

1- الحبك من حيث هو الشرط اللغوي لفهم السبك (الاتساق) فهما معمقا.

2- الحبك من حيث هو إحدى خصائص الارتباط بين الأشياء والأوضاع وبين مراجعها.

3- الحبك من حيث هو إحدى خصائص الإطار الاتصالي الاجتماعي.

4- الحبك من حيث هو إجراء ومن حيث هو حصيلة التلقي الابتكاري البنّاء[2].

تدل هذه الزوايا مع التعريف المقدم، أن الانسجام عبارة عن تنظيم مضمون النص تنظيما دلاليا منطقيا.

أما (فندايك ***Vandyk***) ففي أثناء تحليله للنص اعتبر الانسجام بأنه: «التماسك الدلالي بين الأبنية النصية الكبرى»[3]، وقد ربط (فندايك) بين التماسك الدلالي والبنية العميقة، بينما التماسك الشكلي يخص البنية السطحية للنصوص، فالأول يدرسه الانسجام والثاني يهتم به الاتساق، فالانسجام عنده، عبارة عن مجموعة من العلاقات الدلالية التي تربط الأجزاء الكبرى للنص في بنيته العميقة.

وقد توصل (فاندايك) إلى نتيجة مفادها، أن تحليل النصوص يعتمد –أساسا- على رصد أوجه الربط والترابط والانسجام والتفاعل بين الأبنية الصغرى الجزئية والبنية الكلية الكبرى (أو الأبنية الكبرى) التي تجمعها في هيكل تجريبي منتظم[4].

وقد ربط محمد مفتاح بين عالم النص والواقع في نظرته للانسجام، هذا الأخير الذي يقصد به: «ما يكون من علاقات بين عالم النص وعالم الواقع».

---

(1) Lewandowski, Theodor: linguistishes woerterbuch, Heidelberg, Wiesbaden (1994) S, 546.

نقلا عن المرجع السابق، ص: 55.

(2) محمد العبد، المرجع نفسه، ص: 55.

(3) سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص: 220.

(4) المرجع نفسه، ص: 131.

وبيّن بعد ذلك أن "بتوفي" و"دانشي" و"فندايك" لهم مقارباتهم الخاصة التي تهتم جميعا بانسجام النص وتماسكه وتسلسله، واعتبر أن أشيع هذه الأعمال هي إنجازات "فندايك" الذي ركز على مظهرين أساسيين في تحليل الخطاب:

المظهر الأول: مراعاة علائق الانسجام الخطي الموجود بين الجمل.

المظهر الثاني: البنية الكلية أو مدار الحديث[1].

واعتبر "دي بوجراند" و"دريسلر" الانسجام معيارا يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص، والمقصود منها بالاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم[2] وعالم النص عند "دي بوجراند" هو: الموازي الإدراكي في ذهن مستعمل اللغة لهيئة المفاهيم المنشطة فيما يتعلق بالنص[3] أي أن الانسجام لديه هو الاستمرارية الدلالية للمفاهيم الموجودة في ذهن مستعمل اللغة داخل نص معين.

واقترح "دجين سون شا" مفهوما للانسجام من خلال نموذج اقترحه، سماه "بالنموذج التماسكي النسقي"، حيث افترض فيه أن التماسك يكون في المستوى المعجمي، وفي المستوى النحوي، وفي المستوى الدلالي وفي المستوى السيميائي، كما هو موضح في الشكل التالي[4]:

(1) محمد مفتاح، التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط$_1$، 1999، ص.ص: 35-38.

(2) جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص: 141.

(3) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 201.

(4) محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، ص: 41.

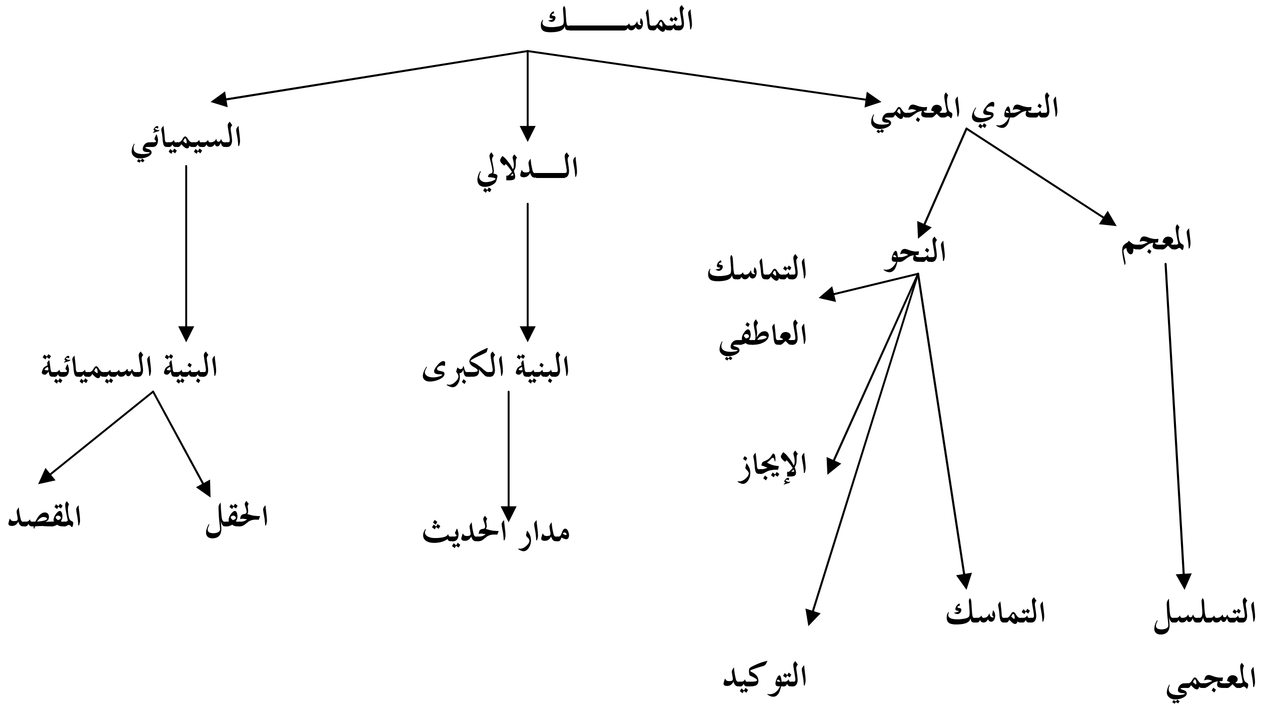

ومن خلال هذا الشكل، يتضح لنا أن التماسك النحوي المعجمي يقصد به "الاتساق"، أما "الانسجام" فيطلق عليه مصطلح "التماسك الدلالي.

وذهب "محمد خطابي" إلى أن الانسجام أعم من الاتساق، كما أنه يغدو أعمق منه، بحيث يتطلب الانسجام، من المتلقي، صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده، أي تجاوز المتحقق فعلا (أو غير المتحقق) أي الاتساق، إلى الكامن وهو الانسجام[1].

وذهب "صبحي إبراهيم الفقي" إلى التوحيد بين مصطلحي *"Cohésion"* و*"Cohérence"*، حيث رأى أن كليهما يعنيان معا "التماسك النصي" فوجب بذلك التوحيد بينهما واقترح مصطلح *"Cohésion"* ثم قسمه بعد ذلك إلى التماسك، بما يحقق التماسك الشكلي للنص، والثاني يهتم بعلاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص من ناحية، وما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى[2]، وهذا الأخير هو الذي أطلق عليه بعض الباحثين مصطلح "الانسجام" واعتمدناه في هذه الدراسة.

---

(1) محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 06.

(2) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي –بين النظرية والتطبيق–، ج1، ص: 96.

وكتعريف إجرائي نستطيع أن نعتبر الانسجام هو ذلك الترابط والتماسك الدلالي، والعلاقات الخفية بين المفاهيم الموجودة في نص معين، والتي نكتشفها من خلال معارفنا السابقة، وكذا سياقات النص المختلفة.

ومن خلال سرد أهم المفاهيم المتعلقة بالانسجام، من خلال الآراء المختلفة للباحثين، فإن هناك من حصر أهم خصائصه في نقاط معينة، هي كالتالي:

1- يعد الانسجام شرطا، وقواما لتوفر خاصية "النصية".

2- إن النص هو وحدة التبليغ والتبادل، ويكتسب انسجامه وفصاحته من خلال هذا التبادل والتفاعل، ولذلك ينبغي تجاوز إطار الجملة للاهتمام بأنواع النسيج النصي التي يحدثها المتكلمون أثناء ممارستهم الكلامية.

3- لا تستقيم نصية قطعة نصية إلا بانسجامها، وهذا يأتي عند إدراج النص ضمن إطار السياق، ولا يكتمل إلا إذا اكتملت كل أبعاد النص وبعده التداولي.

4- للانسجام علامات خاصة متميزة تحدد النص في بعده الجزئي، وفي بعده الكلي، أما البعد الجزئي أو الميكرونصي، فالانسجام المحلي فيه علامات أفعال الكلام التي يحتويها النص، وتحدده كذا علامات الخطاب المختلفة.

أما البعد الكلي أو الماكرونصي، فالتوجه التداولي العام للنص يحدد انسجام النص العام.

5- يرتبط معيار الانسجام بمجموعة من العلوم الأخرى، مثل الأنثروبولوجيا، والتاريخ، وعلم النفس الإدراكي... وغيرها من العلوم[1].

---

(1) خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص.ص: 168-171.

II- آليات الانسجام:

إن الكلام عن آليات الانسجام، يقودنا إلى الحديث عن دور القارئ وجهده التأويلي الذي يبذله لربط أجزاء النص دلاليا، وذلك بالتدرج في بنية معرفية كلية، تكون بدايتها رصد العلامات الخفية التي تجعل من النص متماسك الوحدات، فالمتلقي المبدع له دور كبير في الحكم على انسجام النصوص وترابطها، خصوصا إذا كان السياق الذي جاء فيه هذا النص بارز ومعلوم لدى هذا المتلقي.

ولعل هذا ما يلفت نظرنا إلى افتراض أن ثمة شروطا خاصة لمتلقي الخطاب (النص)...، فهو لا يقوم على الخطاب إلا وقد امتلك معارف وثقافات وأدوات تؤهله للقيام بهذا الدور المهم، لا سيما أن كثيرا من الخطابات بحاجة إلى إحالة فكر، وتشكيل رؤيا[1]، وإمعان نظر للوصول إلى استخراج العلاقات الخفية التي تجعل منه وحدة دلالية، وهذا ما سنوضحه بعد إبراز أهم الآراء في تصنيف آليات الانسجام:

1 – فان دايك: النص والانسجام

يتفق جل الباحثين في مجال لسانيات النص حول الأهمية الكبيرة للجهود التي جاء بها الباحث الهولندي "فان دايك"، حيث استطاع أن يصل، بفضل إسهاماته ودراساته النصية، إلى أن يبلور نظرية متطورة في علم النص، حيث: «وصل هذا الباحث الهولندي ومدرسته إلى أهم نتائج دراسات الأبنية النصية الكبرى وتماهيها مع البحوث البلاغية»[2]، وكان هدفه في وضع قواعد النحو النص واضحا، من خلال رؤيتين متكاملين منسجمين هما[3]:

- النظر إلى النص من الداخل (بنيته).
- النظر إلى النص في علاقته مع المتلقي (وظائف النص).

"وفان دايك" في تحليله للنصوص يولي اهتماما كبيرا بالجانب الدلالي، لأنه يبرز عددا ضخما من السمات النصية، كما أن الكلمات لا تظهر وظائفها بشكل جلي إلا من خلال العلاقات الدلالية الخاصة بمركب ما أو جملة ما، يقول: «فعلى الرغم مما قيل من ورود علاقات مورفولوجية وتركيبية

---

(1) فتحي رزق خوالدة، تحليل الخطاب الشعري، ص: 32.

(2) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 324.

(3) نوال لخلف، الانسجام في القرآن الكريم، ص: 17.

بين الجمل المتتابعة، فإنه يتضح أن العلاقات بين هذه الجمل ذات طبيعة دلالية في الغالب، ومن ثم يستند فيها غلى معنى الجمل والإحالة»[1].

ويرى "فان دايك" أن كل مضمون بجملة يدل على قضية، أو ما يسمى أيضا بالبنية العميقة، «فإذا وردت قضيتان "ق و"ك" تفسران على أنهما الواقعة "أ أو ب"، فإنه يمكن أن نقول مؤقتا أن بين هذه القضايا يوجد رابط داخلي»[2].

إذ أن هناك بعض القيود لتتابع الجمل، تقوم أحيانا على العلاقات بين المعاني، وتقوم أحيانا أخرى على العلاقات بين إحالة الجمل.

أما بالنسبة لمظاهر انسجام الخطاب عند "فان دايك" فهي كالآتي[3]:

- ترتيب الخطاب:

ويسميه أيضا الترتيب العادي للوقائع في الخطاب، ذلك أن ورود الوقائع في متتالية معينة يخضع لترتيب عادي تحكمه مبادئ مختلفة على رأسها معرفتنا للعالم، وقد بين أن هناك علاقات تحكم ترتيب هذه الوقائع في النص تتمثل فيما يلي:

- العام- الخاص.
-
- الكل- الجزء.
-
- المجموعة- المجموعة الفرعية العنصر.
- المتضمِّن- المتضمَّن.

---

(1) فان دايك، علم النص، تر: سعيد حسن بحيري، ص: 46، نقلا عن المرجع السابق، ص: 21.

(2) المرجع نفسه، ص: 21.

(3) محمد خطابي: لسانيات النص، ص.ص: 38-42.

- الكبير- الصغير.

- الخارج- الداخل.

- المالك- المملوك.

- الخطاب التام والخطاب الناقص:

وهو مظهر من مظاهر انسجام الخطاب عند "فان دايك"، والمقصود عنده بالخطاب التام، أن كل الوقائع المشكلة لمقام معين توجد في الخطاب، أو بمعنى آخر أن المعلومات الواردة في خطاب ما تخضع لعملية انتقاء، بحيث لا نجد في الخطاب إلا المعلومات الضرورية، ومن ثم يميز "دايك" بين:

- الخطاب التام/ الخطاب الصريح.

- الخطاب الناقص/ الخطاب الضمني.

لكن هناك من الباحثين من لا يجعل تمام الخطاب مظهرا قارًّا ملازمًا لكل أنواع الخطابات.

- موضوع الخطاب/ البنية الكلية:

يعد موضوع الخطاب بنية دلالية بواسطتها يصف "فان دايك" انسجام الخطاب، وبالتالي يعتبر أداة "إجرائية" حدسية بها تقارب البنية الكلية للخطاب، ويعتبر "فان دايك" نفسه بأن هذا الموضوع "فضفاض".

2- ج. ب. براون وج. يول:

تطرق الباحثان في كتابهما "تحليل الخطاب" إلى مبادئ وعمليات الانسجام، فيجعلا المتكلم/ الكاتب والمستمع/ القارئ في قلب عملية التواصل، وللإشارة فإنهما لا يعتبران انسجام الخطاب شيئا معطى، وإنما هو في نظرهما شيء يُبنى، أي ليس هناك نص منسجم في ذاته ونص غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي[1]، أي أن الذي يحكم على انسجام نص من عدمه هو المتلقي، فيقولان: « إن المتكلمين/ الكتاب هم الذين يطرحون موضوعات وفرضيات، ويضعون المعلومات التي لديهم بنية

---

(1) محمد خطابي، المرجع السابق، ص: 51.

معينة... وأن السامع/ القارئ هو الذي يقوم بعملية التأويل والانسجام»[1]، ولتحديد المبادئ والعمليات التي يشغلها المتلقي بهدف اكتشاف انسجام أو عدم انسجام خطاب ما انطلق "محمد خطابي" من افتراضين[2]:

الأول: أن الخطاب لا يملك مقومات انسجامه في ذاته، وإنما القارئ هو الذي يسند إليه هذه المقومات.

الثاني: أن كل نص قابل للفهم والتأويل فهو نص منسجم، والعكس صحيح.

يتوقف اختيار هذين الافتراضين على مبادئ وعمليات الانسجام، فما هي إذن هذه المبادئ عند "براون ويول"؟

أهم هذه المبادئ عند الباحثَيْن هي:

- السياق وخصائصه:

يذهب الباحثان إلى أنه يتحتم على محلل الخطاب، أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي ورد فيه مقطع ما في الخطاب[3]، (والسياق لديهما يتشكل من المتكلم/ الكاتب، والمستمع/ القارئ، والزمان والمكان)، لأنه –السياق- يؤدي دورا فعالا في تأويل الخطاب[4]، لأن كثيرا من الأقوال تؤول تأويلات مختلفة إذا اختلف سياق كل قول عن الآخر، حتى ولو تطابقت هذه الأقوال في اللفظ.

- مبدأ الفهم المحلي ومبدأ السياق:

وهو أن المتلقي مدعو إلى عدم إنشاء سياق يفوق ما يحتاج إليه للوصول إلى فهم معين لقول ما[5].

---

(1) ج. ب. براون وج. يول، تحليل الخطاب، ص: ك (المقدمة).

(2) محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 52.

(3) ج. ب. براون، ج. يول، تحليل الخطاب، ص: 35.

(4) محمد خطابي، المرجع نفسه، ص: 52.

(5) ج. ب. براون، ج. يول، المرجع نفسه، ص: 71.

– **مبدأ التشابه:** ويتجلى في أهمية التجربة السابقة في المساهمة في إدراك المتلقي للإطرادات عن طريق التعميم[1]، وهذا لن يحصل إلى بعد التعامل مع خطابات عديدة ومتنوعة، ينتهي فيها المتلقي إلى اكتشاف خصائص كل نوع من أنواع الخطابات التي مرت على محك تجربته التحليلية.

– **مبدأ التغريض أو موضوع الخطاب وتصوير محتواه:**

وهو أن موضوع الخطاب يعتبر إلى حد ما شاملا للعناصر "المهمة" الموجودة في محتوى الخطاب[2]، وهذا ما يمكن أن نمثله في القرآن الكريم، بمناسبة اسم السورة لمحتواها، أو في القصائد الشعرية في علاقة اسم القصيدة لمحتواها.

فهذه هي أهم المبادئ التي اعتمدها الباحثان للوصول إلى انسجام النصوص.

وبصفة عامة يمكن إبراز منظور كل من "براون ويول" حول الانسجام في النقاط التالية[3]:

1- أنهما يهتمان بالانسجام في النص منظورا إليه من جملة المتلقي، وذلك بدراسة العمليات التي يوظفها هذا ألأخير لبناء انسجام النص.

2- يستعملان بعض المفاهيم التي تسهم وتساعد في انسجام النصوص، مثل معرفة العالم والمدونات والأطر.

3- يعتبران الانسجام مرتبطا بالقدرة على الفهم والتأويل.

4- يتعاملان فقط مع النصوص والخطابات المستعملة لأغراض تواصلية (تفاعلية).

وبصفة عامة فإن جهود كل من "فان دايك" و"براون ويول" حول الانسجام، أخذا أمرين بعين الاعتبار: الأول هو السياق الذي أنتج فيه النص، والأمر الثاني: هو أهمية المتلقي في التعامل مع النص[4]، وهما أمران لا يمكن الفصل بينهما للوصول إلى انسجام نص معين، ومن أجل ذلك كانا محل دراسة في هذا الفصل.

---

(1) محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 57.

(2) ج. ب. براون، ج. يول، تحليل الخطاب، ص: 124.

(3) محمد خطابي، المرجع نفسه ، ص: 89-90.

(4) المرجع نفسه، ص: 90.

لأن للسياق دور في تحقيق انسجام النص، ولذلك اعتنى به العلماء، قديما وحديثا، دون نسيان دور المتلقي في الحكم على انسجام النص من عدمه، ومن الأدوات الأخرى التي تساعد في الكشف في انسجام النص خصوصا في القرآن الكريم هي بنية الخطاب القرآني للسورة وكذا التغريض والمناسبة وكل هذه الأدوات تعمل على كشف تماسك النص دلاليا، والتي قد تكون نتيجة علاقات خفية تربط وحدات السورة.

1- السيـــاق:

أ- مفهوم السياق:

يعتبر السياق أداة معرفية، حققت نجاحا معتبرا في دراسة النصوص، وهذه الأداة مرتبطة ارتباطا قويا بالنص، وهو«إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية ومقياس تتصل بواسطته الجمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية وتداولية، ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ»[1]، حيث أنه بالسياق يُفهم معنى الكلمة أو الجملة، وذلك يوصلها بالتي قبلها أو بالتي بعدها حتى تتضح الدلالة المرادة.

وكثيرا ما يرد الشبه بين الجمل والعبارات مع بعض الفوارق التي تميز بنها، ولا نستطيع تفسير تلك الفوارق إلا بالرجوع إلى السياق اللغوي، ولحظ الفوارق الدقيقة التي طرأت بين الجمل، فاختلاف سياقات الألفاظ يجرنا حتما إلى معنى مخالف للسياق الأول.

والسياق مصطلح شاع استعماله بمعان مختلفة، ولا بد من التنبيه ترادفا بين المقام والحال، وبذلك استعمل السياق أيضا للدلالة طورا على السياق النصي[2]، أي الكلمات أو العبارات التي تجاور كلمة أو عبارة ما داخل النص، وهذه التجاورات نبحث من طريقه عن تأويل كلمة أو عبارة أو جملة أو نص، نلتمس في ذلك مراد مؤلف النص.

كما يستعمل –السياق- للدلالة على الظروف والملابسات الخارجية التي تستعمل لتأويل لفظة أو عبارة أو نص ما، فهو إما للدلالة على السياق النصي، وإما على السياق الخارجي أو المقام[3].

---

(1) عبد الرحمن بودرع، أثر السياق في فهم النص القرآني، الإحياء، 25، (جمادى الثانية 1428هــ- يوليوز 2007م)، ص: 73.

(2) محمد الولي، السياق إشكالية قديمة في أضواء جديدة، الإحياء، 25 (جمادى الثانية 1428هـــ- يوليوز 2007)، ص: 63.

(3) المرجع نفسه، ص: 63.

ولأهميته فقد كان محل اهتمام العلماء قديما وحديثا، استعانوا به في فهم النصوص وتحليلها، بل أكثر من ذلك فإنه لم يكن محل اهتمام الباحثين في مجال لسانيات النص في الوقت الحالي لوحدهم، بل كان محل اهتمام علماء اللسانيات بصفة عامة و لم يغفلوا عن دراسته.

وقد أدرك علماؤنا القدامى أهمية السياق في تحديد المعنى واعين بدوره الكبير في توجيه دلالات العلامات اللغوية، خصوصا في النص القرآني الكريم.

ولقد اعترف علماء الأمة الإسلامية -من علماء الأصول والتفسير وغيرهم- بفكرة السياق بشقيه المقالي والمقامي، متقدمين بأكثر من ألف سنة عن زمانهم، لأن الاعتراف بفكرتي المقام والمقال باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرة العقل المعاصر في دراسة اللغة[1].

ويعتبر أول لفت انتباهه فكرة السياق من علمائنا هو الإمام الشافعي، حيث تنبه إلى دوره في دراسة المعنى، وذلك في كتابه "الرسالة" ورأى أن بالسياق تُستخرج دلالات ألفاظ القرآن الكريم، وتفصيل مجملها وتخصيص عامّها، ولقد أحسن الشافعي استثمار هذه الأداة ولا سيما في التفريق بين نمطين نصيين هامين تعبر عنهما الثنائية الدلالية: العام والخاص، وهي من الثنائيات التي تعتبر معرفتها من أجل العلوم[2]، ولذلك كان اهتمام الشافعي بها كبير لفهم كثير من الأحكام الشرعية الواردة في النص القرآني.

ولقد أخذ بالمنهج السياقي في التفسير كثير من المفسرين في مقدمتهم إمام المفسرين "**ابن جرير الطبري**" فكثيرا ما يحتكم إلى السياق، ومنهم أيضا "**فخر الدين الرازي**"، وكذلك "**الزمخشري**" في كتابه "تفسير الكشاف"، ومن المحدثين "**محمد الطاهر بن عاشور**" في "تفسير التحرير والتنوير"[3]، فقد كان السياق أحد الأدوات المعرفية التي استعانوا بها في فهم النص القرآني وتفسيره.

---

(1) إبراهيم أصبان، السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة، الإحياء، 25 (جمادى الثانية 1428هـ- يوليوز 2007م)، ص: 54.

(2) مسعود صحراوي، المنهج السياقي ودوره في فهم النص وتحديد دلالات الألفاظ، نقلا عن موقع الشهاب: www.CHIHAB.net/modules.php

(3) أنظر: مسعود صحراوي، المرجع نفسه.

ولذلك عدّ العلماء مراعاة السياق في فهم القرآن الكريم المنهج الأمثل في التفسير وضابطا من الضوابط المهمة في حسن الفهم والتأويل، وتجلت هذه القاعدة المنهجية- أي المنهج السياقي- في تفسير القرآن بالقرآن[1].

ولأهميته في فهم المعنى وكشفه إذا حدث لبس أو غموض، فقد أصبح من اهتمام كبار المدارس اللغوية على المستوى العالمي، وصار نظرية للدراسة الدلالية، ومن بين المدارس التي اهتمت به، مدرسة "فيرث ***Firth***" –اللغوي الإنجليزي- الذي وضع نظرية سماها "نظرية السياق".

ولهذا يصرح "فيرث" بقوله: «أن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة... فمعظم الوحدات الدلالية تقع مجاورة وحدات أخرى، وإن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها...» [2]، معنى هذا أن علاقة الكلمة مع الكلمات في النص هي من يحدد معناها.

ومن هنا فإن فكرة السياق عندما تناولها الغربيون في القرن العشرين لم تكن جديدة تماما.

لكن ولعل من الإنصاف القول بأنهم –الغربيين- قد صاغوا فكرة السياق في شكل نظرية قابلة للتطبيق على جميع أنواع المعنى... ووضعوا لها من المعايير والإجراءات ما يجعلها تقف على قدم المساواة مع بقية النظريات التي تتناول المعنى بالتحليل والتفسير[3].

ب- أنواع السياق في القرآن الكريم:

للسياق القرآني عدة أنواع فهناك سياق السورة الذي يشكل وحدة عضوية متكاملة متتامة، وسياق المقطع الذي يشكل محورا رئيسيا من محاور سياق السورة، وسياق الآية الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بسياق المقطع، حيث يشكل سياق الآية لبنة في بناء سياق المقطع، وتتحد مباني الآيات حول معاني مقطعِها، ويشكل المقطع عضوا أساسيا في جسم السورة، حيث تدور جميع المقاطع حول فلك

---

(1) عبد الرحمن، بودرع، المرجع السابق، ص: 75.

(2) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998، ص: 68-69.

(3) ردة الله الطلحي، دلالة السياق (رسالة دكتوراه في اللغة العربية، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1423هـ) ص: 165.

السورة الواحدة، ألا وهو موضوعها الذي سبقت المعاني والموضوعات لأجله[1]، معنى هذا أن هناك ثلاث أنواع من السياقات القرآنية: سياق الآية، وسياق المقطع، وسياق السورة، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي:

أولا: سيــاق الآيــة

في هذا النوع يتم النظر والبحث في معنى الآية، فإذا اختلف في معنى الآية، فإننا ننظر في سياقها، لأنه يحدث هناك لفظ مشترك لا يتضح معناه إلا من سياق الآية، ومن أمثلة ذلك لفظ "الإحصان" الذي يطلق على الحرية والعفاف والتزويج، لكن تحديد المعنى المقصود في آية معينة يكون حسب سياقها، فمثلا في قوله تعالى: ﴿**فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ**﴾ النساء، الآية: 25.

قال "**ابن كثير**" في تفسير هذه الآية[2]: والأظهر –والله أعلم-: أن المراد بالإحصان ها هنا التزويج؛ لأن سياق الآية يدل عليه، حيث يقول سبحانه وتعالى:﴿**وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ**﴾النساء، الآية:25.

حيث أن معنى لفظ "الإحصان" تحدد من خلال سياق الآية.

ثانيا: سيــاق النــص

وهو المقطع المتحد في الغرض، ويتبين هذا كثيرا في سياق القصص، فيكون الترجيح أحيانا بناء على سياق النص[3].

---

(1) المثنى عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط$_1$، 1429هـ-2008م، ص: 77.

(2) محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، دار الجيل، القاهرة، ط$_1$، 2002، مج$_2$، ص:

(3) فهد الشتوي، دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام، (رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1426هـ-2005م)، ص: 43.

مثال ذلك ذهاب "الشنقيطي"[1] –رحمه الله– إلى عدم صحة من قال بأن أزواج النبي ﷺ لا يدخلن في أهل بيته في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ الأحزاب، الآية: 33.، فإن قرينة السياق صريحة في دخولهن، لأن الله تعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ﴾ الأحزاب، الآية: 28، ثم قال في نفس خطابه لهن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ الأحزاب، الآية: 33، ثم قال بعده: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ الأحزاب، الآية: 34، فقد استند "الشنقيطي" إلى سياق النص، لأنه كان في أزواج النبي ﷺ، فمن خلال النظر إلى هذا المقطع كونه متماسكا فيما بينه اتضحت الدلالة وتبين وجه الصواب من أقوال العلماء في هذه المسألة.

ثالثا: سيـــاق الســـورة

حيث أن العلماء نظروا في سياق السور، وبحثوا عن الغرض العام والمحور الرئيسي الذي تدور حوله كل سورة، فإذا كانت مثلا السورة مكية، فإن الأمثلة التي تساق في هذه السورة آيات تثبت وحدانية الله تعالى وأنه المستحق للعبادة وحده دون ما سواه والحذر من الشرك وبيان عواقبه.

لكن إذا نظرنا إلى السور القرآنية الكريمة، فإننا نجد قد نزلت مفرقة، فالنص القرآني نزل منجما كما هو معروف، ولم يترل جملة واحدة، بل اختلف نزوله من مكان إلى آخر، فهناك المكي والمدني، وكذا اختلاف نزوله زمانيا، فقد نجد سورة في زمن والأخرى في زمن آخر، بل إن من السور إن لم تكن أكثرها، نزلت متقطعة زمانا ومختلفة مكانا، ولمعرفتنا للكيفية التي انسجمت بها السورة، كان لا بد علينا من وضع إطلالة عامة حول السورة وسبب نزولها، حتى نصل إلى الدلالية الكلية للسورة المراد دراستها –سورة الكهف–، وكنا بحاجة إلى هذا الوصف في هذا الفصل، لارتباط الوصف العام للسورة بجانب الانسجام أكثر من ارتباطه بالاتساق.

---

[1] محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، ج6، ص: 576-577.

ج- التحليل النصي لسورة الكهف:

- وصف عام للسورة:

تسمى "سورة الكهف" وتسمى أيضا "سورة أصحاب الكهف"، وتسميتها بسورة الكهف أغلب، ومصدر هذه التسمية رسول الله ﷺ، فقد روى مسلم وأبو داوود عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ، قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف**»، وفي رواية لمسلم: «**من آخر الكهف، عصم من فتنة الدجال**»، ورواه الترمذي عن أبي الدرداء بلفظ «**من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عُصم من فتنة الدجال**»[1].

وعن سبب التسمية "بسورة الكهف" أو "سورة أصحاب الكهف" يقول صاحب البرهان: «ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أ خذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء، من خلق أو صفة تخصه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز»[2].

وعلى هذا كانت التسمية بهذا الاسم "سورة الكهف" لقرينة ذكر الكهف فيها، كما سميت "أصحاب الكهف" لقرينة ذكر أصحاب الكهف فيها، وهي مكية في قول جميع المفسرين[3].

أما عن **سبب نزولها** والذي له دور في كشف انسجام السورة وتماسكها، فيورد **"ابن جرير الطبري"** رواية مفادها[4]: «أن مشركي قريش بعثوا بالنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، فقالوا لهم سلوه عن ثلاث، فإن أخبركم بهن فهو نبي

---

[1] أنظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص: 243.

[2] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 270.

[3] محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، دار الجيل، القاهرة، ط1، 2002، مج2، ص: 500.

[4] ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، دار الفكر، لبنان، (د.ط)، 1405هـ- 1984م، مج9، ص: 191-192.

مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم؟ فإنه كان لهم أمر عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟

فأقبلا حتى قدما على قريش فقالا: قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد؟ فجاء رسول الله فسألوه: فقال أخبركم غدا بما سألتم عنه، -ولم يستثن- فانصرفوا، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة، لا يحدث الله في ذلك إليه وحيا، ولا يأته جبريل، حتى أرجف أهل مكة، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه، وشق ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ.....﴾ الآية: 85 من سورة الإسراء.

وهذه الرواية -كما قال مسلم- وإن تكلم بعضهم في سندها وأن فيها رجلا مجهولا، فإن واقع السورة وما ورد فيها من صيغ الاستفسار منهم كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾الآية 09، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ﴾، وقوله أيضا: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾الآية 23 24، كل ذلك يؤكد حادثة الاستفسار من رسول الله ﷺ عن الفتية، وعن الرجل الطواف، وعن نسيان ذكر المشيئة[1].

ويمكن استخلاص من كل هذا:

- أن هناك ثلاث أسئلة موجهة للرسول ﷺ.
- أن النبي ﷺ وعد بالإجابة عليها.
- تأخر الوحي مدة زمنية.

يعني أن هناك:

[1] مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص: 174.

- موجِّه السؤال.
- موجَّه له السؤال (الرسول ﷺ).
- أن هناك مقاما، وهو مقام اختبار.

نقوم بدراسة انسجام سورة الكهف من خلال موضوع السياق وفق المعطيات التالية:

- التقطيع والهندسة الخارجية.
- السياقات الواردة في السورة.

أ- التقطيع والهندسة الخارجية:

سورة الكهف كغيرها من السور جاءت مقسمة إلى العديد من الوحدات، تعطي للبناء الهندسي للقرآن الكريم خصوصية، ويعتبر ذلك من دلائل الانسجام فيها، لأن تقسيم الخطاب إلى أجزاء، ووحدات، يدل على ترتيب، ونوع من النظم وربط خفي، بُني عليه هذا الخطاب، فهناك بناء محكم وتخطيط وتصميم في النص، ولقد تنبه المفسرون قديما وحديثا إلى الحكمة من تفسير القرآن الكريم إلى آيات وسور، فربطوا ذلك ببنية النص أو الخطاب وكذلك ببنية السورة، كما ربطوه أيضا بدور القارئ أيضا.

فيمكننا من أجل توضيح الدور الذي يقوم عليه التقطيع إلى وحدات وكذا الهندسة الخارجية لسورة الكهف أن نعتمد على محاولات جاء بها مفسرون، وضحوا ببنية السورة، ليتضح لنا دور القارئ في الحكم على انسجام النصوص، وهي محاولات كل من الإمام "الرازي ومحمد الطاهر بن عاشور وسيد قطب".

بنية السورة من خلال الرازي:

1	2	3	4	5	6
مقدمـــة	قصة أصحاب الكهف	رد على الأغنياء من المشركين	قصة موسى عليه السلام	قصة ذي القرنين	خاتمـــــة
	ارتباط بالمقام	ارتباط بالمقام	ارتباط بالمقام	ارتباط بالمقام	
	(جواب على سؤال)	(اقتراح ترك المؤمنين الفقراء كشرط لإيمان الأغنياء)	(مقترح السؤال لم يكن صائبا)	(جواب على سؤال)	

فواصل هذه الأجزاء من اليمين وإلى اليسار

«الحمد لله... جرزا»	«أم حسبت... رشدا»	«واتل... مؤتلا»	«وإذ قال موسى... صبرا»	«ويسألونك... جمعا»	«وعرضنا...أحدا»

أما بنية السورة من خلال تفسير التحرير والتنوير "**محمد الطاهر بن عاشور**" فقد كانت كالتالي:

- افتتحت السورة بالتحميد على إنزال الكتاب وأدمج فيها إنذار المعاندين الذين نسبوا لله ولدا...
- وبعد الافتتاح ذكر خبر أصحاب الكهف.
- وحذرهم من الشيطان وعداوته لبني آدم.
- وقدم لقصة "ذي القرنين" قصة أهم منها وهي قصة موسى والخضر عليهما السلام، لأن كلتا القصتين تشابهتا في السفر لغرض شريف[1].

وتخلل ذلك –كما يقول ابن عاشور– مستطردات من إرشاد النبي ﷺ وتثبيته، وأن الحق فيما أخبر به، وأن أصحابه الملازمين له خير من صناديد المشركين، ومن الوعد والوعيد، وتمثيل المؤمن والكافر، وتمثيل الحياة الدنيا وانقضائها، وما يعقبها من البعث والحشر، والتذكير بعواقب الأمم المكذبة للرسل.

واختتمت بإبطال الشرك ووعيد أهله، ووعد المؤمنين بضدهم، والتمثيل لسعة علم الله تعالى، وختمت بتقرير أن القرآن وحي من الله تعالى إلى رسوله ﷺ، فكان في هذا الختام محسن رد العجز على الصدر[2]، ويمكننا توضيح بنية السورة عند "محمد الطاهر بن عاشور" وفق المخطط التالي:

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص: 246.

[2] المرجع نفسه.

بنية سورة الكهف عند محمد الطاهر بن عاشور

الافتتاحيـــــة

كان بدايتها حمد الله تعالى على إنزال الكتاب على محمد ﷺ، وفيها إنذار المعاندين الذين نسبوا لله ولدا...

قصة أصحاب الكهف وتعقيب على القصة والتحذير من عداوة الشيطان لبني آدم

قصة ذي القرنين

قدم لها بقصة موسى والعبد الصالح عليهما السلام، وهما متشابهان في السفر لغرض شريف

الخاتمـــــة

- إبطال الشرك
- والتأكد أن القرآن وحي من الله عز وجل إلى رسوله ﷺ

تجلت هذه القصص مستطردات مثل:

- الوعد والوعيد
- تمثيل المؤمن والكافر.
- تمثيل الحياة الدنيا وانقضائها
- التذكير بعواقب الأمم السابقة

رد العجـــز عن الصـــدر

أما سيد قطب فيذكر أن عنصر القصصي هو الغالب في سورة الكهف، إذ أن هناك خمس قصص وردت في هذه السورة، ففي أولها تأتي قصة أصحاب الكهف وبعدها قصة الجنتين، ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس، وفي وسطها تأتي قصة موسى مع العبد الصالح، وفي نهايتها قصة ذي القرنين، ويستغرق هذا القصص معظم آيات السورة، فهو وارد في إحدى وسبعين آية من عشر ومائة آية، ومعظم ما يتبقى من آيات هو تعليق أو تعقيب على القصص فيها... وفي البدء ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ الآية: 01، وفي الختام: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ الآية: 110. [1]

ويقول: «أن المحور الموضوعي للسورة الذي ترتبط به موضوعاتها، هو تصحيح العقيدة وتصحيح منهج النظر والفكر وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة»[2].

ومن هنا نستخلص أن بنية سورة الكهف عند "سيد قطب"، هو أن هناك محورا تدور حوله موضوعات السورة، وهذه الموضوعات في الأغلب قصص، وهي خمس يلحقها تعقيبات وبعض التعليقات، وهناك بدء وختام للسورة.

ويرى أن البدء يتساوق مع الختام، في إعلان الوحدانية وإنكار الشرك وإثبات الوحي[3]، فكانت بنية السورة كالآتي:

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط10، 1401هـ-1981م، مج4، ص: 2256-2257.

(2) المرجع نفسه، ص: 2257.

(3) المرجع نفسه، ص: 2257.

بنية السورة عند السيد قطب:

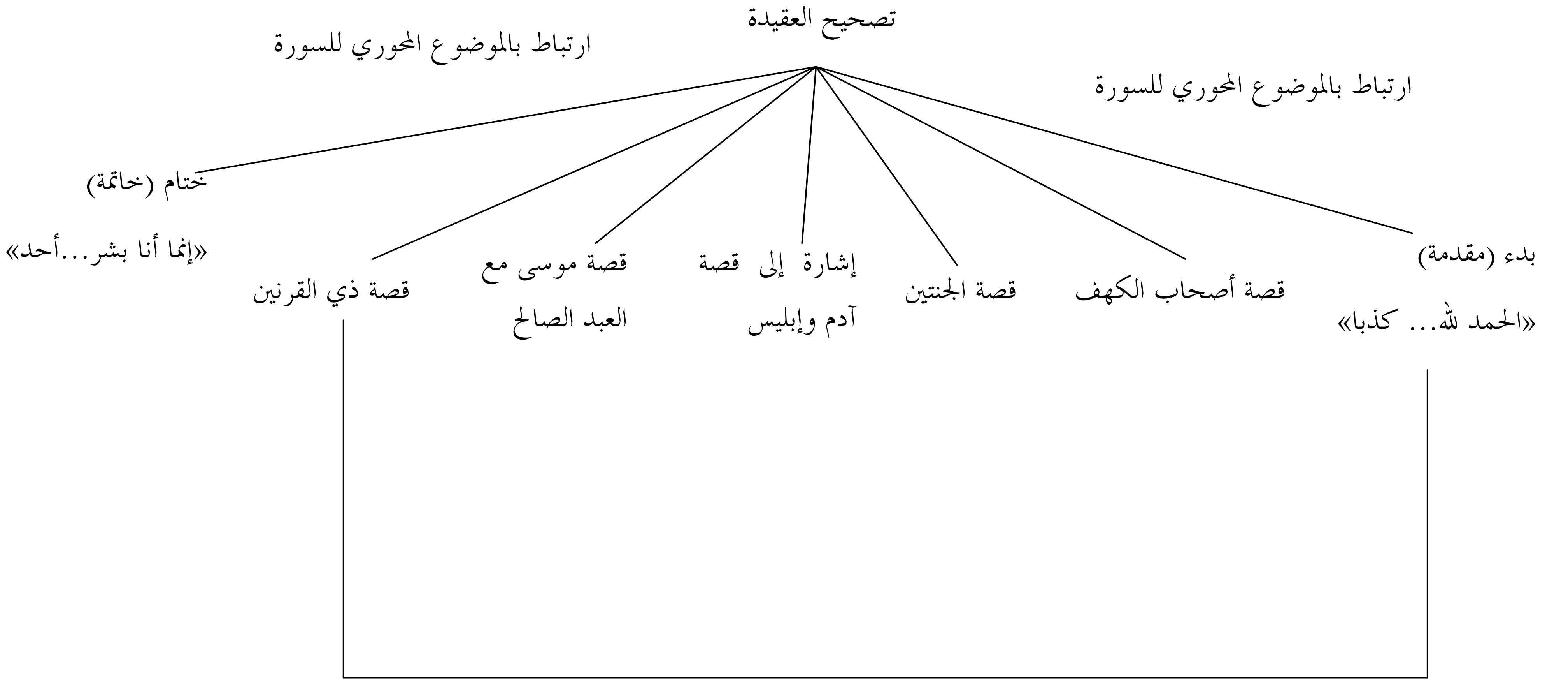

يتخلل هذه القصص مجموعة من التعقيبات وبعض التعليقات

ب- السياقات الواردة في السورة:

أما ما يتعلق بالسياقات الواردة في سورة الكهف، فسنورد بعض السياقات التي كانت عاملا أساسيا في انسجامها، ذكرها بعض المفسرين في تفاسيرهم:

حيث يلتمس "سيد قطب" بعض السياقات لمحور السورة وهو إثبات العبودية لله وإنكار الشرك، فيذكر بعض السياقات منها[1]:

- في قصة أصحاب الكهف، يقول الفتية الذين آمنوا بربهم: ﴿**رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا**﴾ الآية: 14.
- وفي التعقيب عليها، قوله تعالى: ﴿**مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا**﴾ الآية: 26.
- وفي قصة الجنتين، يقول الرجل المؤمن لصاحبه وهو يحاوره: ﴿**أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا**﴾ الآية: 37-38.
- وفي التعقيب عليها قوله تعالى: ﴿**وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا**﴾ الآية: 43-44.

ويذكر الله ﷻ حال المشركين في مشهد من مشاهد يوم القيامة، في قوله ﷻ: ﴿**وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا**﴾الآية:52.

---

[1] أنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ص: 2257.

ويستمر ذكر موضوع العقيدة عبر وحدات السورة المختلفة وبذلك يزداد تحقق الانسجام على المستوى الكلي للسورة بين الوحدات الدلالية، حيث وفي تعقيب على مشهد آخر، يقول الله تعالى: ﴿**أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلًا**﴾ الآية: 102.

أما تصحيح منهج الفكر والنظر، فقد دلت عليه السورة من خلال سياقها إما بلفظ صريح أو إيحاء مثل قوله تعالى في بداية السورة: ﴿**وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ**﴾ الآية: 04-05.

أما أصحاب الكهف، فيقولون: ﴿**هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٍ**﴾ الآية: 15.

وعند التساؤل ع مدة لبثهم في الكهف يرجعون علمها إلى الله:﴿**رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ**﴾ الآية: 19.

أما عن عددهم، فيوجد إنكار للذين يتكلمون عن عددهم بغير علما: ﴿**سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٌ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٌ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّىٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٌۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدًا**﴾ الآية: 22.

فتصحيح منهج الفكر والنظر يتجلى في استنكار دعاوى المشركين الذين يقولون ما ليس لهم به علم، والذين لا يأتون على ما يقول ببرهان، وفي توجيه الإنسان إلى أن يحكم بما يعلم ولا يتعداه، وما لا علم له به فليدع أمره إلى الله[1].

---

[1] سيد قطب، المرجع السابق، مج2، ص: 2257.

وهناك موضوع آخر، وهو موضوع تصحيح القيم بميزان العقيدة، والذي يرد في سياقات مختلفة في السورة، تبرز فيها «القيم الحقيقية للإيمان والعمل الصالح ويصغر ما عداها من القيم الأرضية الدنيوية التي تبهر الأنظار»[1].

- ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ الآية: 07-08.

- وقوله أيضا: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ۝٢٨ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ الآية: 28-29.

- وفي قصة الجنتين قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾ الآية: 39-40-41.

- وبعد القصة يضرب مثل الحياة الدنيا وزوالها في قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ الآية: 45.

ثم جاء بعدها بيان للقيم التي مآلها الزوال والقيم التي هي خير عند الله، يقول تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ الآية: 46.

---

(1) سيد قطب، المرجع السابق، مج4، ص: 2258.

أما السياق الذي وردت فيه القيم الصالحة بميزان العقيدة في قصة ذي القرنين، فقد كانت في ذكر الأعمال الصالحة التي جاء بها هذا الملك، يقول تعالى على لسان ذي القرنين: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ الآية: 95.

وفي خاتمة السورة ترد سياقات الأعمال التي عدّ أصحابها من الأخسرين، في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ الآية: 103-104-105.

فهذه هي أهم السياقات الواردة في السورة المتعلقة بالموضوعات الثلاثة التي تتمحور حولها سورة الكهف والتي ذكرها "سيد قطب"، وهي تصحيح العقيدة، وتصحيح منهج الفكر والنظر، وتصحيح القيم بميزان العقيدة.

وهناك بعض السياقات الواردة في هذه السورة[1]، ولها علاقة بالسورة ككل باعتبارها جوابا على ما وجه للنبي ﷺ من أسئلة، وتناول هذه السياقات ينطلق أيضا مما ورد في كتب بعض المفسرين من تحليل لها.

السياق الأول:

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ الآية: 09.

يربط "محمد الأمين الشنقيطي" هذا السياق بما قبله، بقوله: «أن الله ﷻ يقول لنبيه ﷺ: إن قصة أصحاب الكهف وإن استعظمها الناس وعجبوا منها، فليست شيئا ما على الأرض زينة لها، وجعلنا إياها بعد ذلك صعيدا جرزا، أعظم وأوجب مما فعلنا بأصحاب الكهف، ومن كوننا أنمناهم هذا الزمن الطويل، ثم بعثناهم، ويدل على هذا آيات كثيرة، منها: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً

---

[1] أنظر: مفتاح بن عروس، في علاقة النص بالمقام "سورة الكهف نموذجا"، اللغة والأدب، (شعبان 1420هـ- ديسمبر 1999)، ص: 307.

لَهَا﴾ الآية: 07، إلى قوله تعالى: ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ الآية: 08، ثم اتبع ذلك بقوله: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ﴾ الآية: 09، فدل ذلك على أن المراد أن قصتهم لا عجب فيها بالنسبة إلى ما خلقنا مما هو أعظم منها»[1].

أما سياق هذه الآية عند "محمد الطاهر بن عاشور" فهي بتقدير: «أحسب أن أصحاب الكهف كانوا عجبا من آياتنا، أي أعجب من بقية آياتنا، فإن إماتة الأحياء بعد حياتهم أعظم من عجب إنامة أهل الكهف، لأن في إنامتهم إبقاء للحياة في أجسادهم وليس في إماتة الأحياء إبقاء لشيء من الحياة فيهم على كثرتهم وانتشارهم، وهذا تعريض بغفلة الذين طلبوا من النبي ﷺ بيان قصة أهل الكهف لاستعلام ما فيها من العجب بأنهم سألوا عن عجيب وكفروا بما هو أعجب وهو انقراض العالم»[2]، ثم أعقب ذلك قائلا: «وفيه لفت لعقول السائلين عن الاشتغال بعجائب القصص إلى أن الأولى لهم تعارض بما فيها من العبر والأسباب وآثارها»[3].

أما "الرازي" فينظر إليه نظرة مختلفة بقوله: «أعلم أن القوم تعجبوا من قصة أصحاب الكهف يسألوا عنها رسول الله ﷺ على سبيل الامتحان، فقال: أم حسبت أنهم عجبا من آيتنا فقط فلا تحسبن ذلك فإن آياتنا كلها عجب، فإن من كان قادرا على تخليق السماوات والأرض ثم يزين الأرض بأنواع المعادن، والنبات والحيوان ثم يجعلها بعد ذلك صعيدا جرزا خالية من الكل كيف تستبعدون من قدرته وحفظه ورحمته حفظ طائفة مدة ثلاثمائة سنة وأكثر في النوم، هذا هو الوجه في تقرير النظم»[4].

أما "الزمخشري" فيربط سياق هذه الآية بما قبلها على النحو التالي: ذكر من الآيات الكلية تزيين الأرض بما خلق فوقها من الأجناس التي لا حصر لها وإزالة ذلك كله كأن لم يكن (أم حسبت) يعني أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة»[5].

---

(1) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص: 15.

(2) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص: 259.

(3) المرجع نفسه، ج15، ص: 259.

(4) الرازي، التفسير الكبير، ج11، ص: 83.

(5) الزمخشري، تفسير الكشاف، ج3، ص: 198.

فطبيعة العلاقة بين هذه الآية (أم حسبت) وغيرها من الآيات عند هؤلاء المفسرين، تتمثل في الآتي: أن "الزمخشري"، يذهب إلى أن هناك تفاوت، لأن من آيات الله ما هو أعظم من آيات الكهف، أما "الرازي" فيذهب أن هناك اشتراك آية أهل الكهف مع آيات الله الأخرى في خاصية العجب، يذهب إلى أن هناك تفاوت حيث أن من آيات الله ما هو عجب من آية الكهف[1]، أما "محمد الأمين الشنقيطي" فيذهب إلى أن هناك تفاوت بين آية الكهف وغيرها من الآيات، فآية الكهف ليست أعظم لأن هناك من الآيات من هي أعظم وأوجب مما فعلنا بأصحاب الكهف.

السياق الثاني: أما السياق الثاني، فهو قوله تعالى: ﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ الآية: 13.

ينظر "الطاهر بن عاشور"[2] إلى هذا السياق نظرة خطية تأخذ بعين الاعتبار توزيع الأحداث اللغوية المكونة لهذا السياق في التشكيل الخطي، فهناك[3]: تقديم "نحن" لفائدة الاختصاص، وهو ما يسمح بقراءة السياق هكذا:

- «نحن لا غيرنا يقص قصصهم بالحق».
- نقص من القصص وهو سرد خبر طويل.
- النبأ هو الخبر الذي فيه أهمية وله شأن.

وبهذا يمكن بلورة هذه الجزئيات كالتالي: نحن لا غيرنا نسرد عليك خبرا طويلا فيه أهمية وله شأن.

أما "الألوسي" فيذهب إلى أن في التقيد "بالحق" إشارة إلى أن في عهده ﷺ من يقص نبأهم لكن لا بالحق[4]، ويمكن استخلاص ما يلي[5]:

1- هناك علاقة خطابية حدد فيها المتكلم والمخاطب وموضوع الخطاب وطريقة عرضه:

---

(1) أنظر: مفتاح بن عروس، في علاقة النص بالمقام، ص: 309.
(2) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص: 271.
(3) مفتاح بن عروس، المرجع نفسه، ص: 310.
(4) شهاب الدين محمد الألوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط4، 1985، ج15، ص: 16.
(5) أنظر: مفتاح بن عروس، علاقة النص بالمقام، ص.ص: 310-313.

المتكلم ← المخاطب

- موضوع الخطاب: نبأهم (هم تعود على الفتية).
- طريقة عرض الخطاب: نقص... بالحق

2- نحن نقص نبأ ⇔ "نحن" ينسجم مع نبأ (ماله أهمية وشأن).

3- ويترتب عن 1 و 2 ما يلي:

نحن	نبأ	بالحق
(1)	(1)	(1)
هم	قصتهم	بالباطل مع التعدد (بحكم الاختلاف)

المضمر الخطاب الذي تسوغه المعطيات السابقة

4- السياقات البعدية تدعيم هذه القراءة:

السياق 01: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ﴾ الآية: **22**.

والملاحظ على هذا السياق أن يفترض ما يلي:

أ- اهتمام بما ليس له أهمية (اهتمام بعدد الفتية) وترك حاله أهمية (بسبب انتقال الفتية إلى الكهف وهو جوهر المسألة).

ب- حتى في الاهتمام بما ليس له أهمية حدث اختلاف فيه.

السياق 02: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ الآية: 22.

اختلافهم في المسألة يدل أنهم ليسوا مصدر الخير اليقين.

السياق 03: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ الآية: 25-26.

يتبين من هذا السياق:

- أن الذي يعلم مدة لبثهم في الكهف هو الله ﷻ.
- وظيفة المتلقي الأول الرسول (ﷺ) التبليغ.

السياق الثالث: من الأمثلة الموضحة لهذا النوع من السياق هي قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا﴾ الآية: 83.

- افتتاح الكلام عن ذي القرنين بـــ "يسألونك" يدل على أن هذا مما نزلت السورة جوابا عنه[1].
- التعبير بصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة الماضية[2].
- ويسألونك.........سألوك وسألوك[3].

وعلى ضوء الملاحظات السابقة يمكن تجسيد مختلف الإحالات في السياق كما يلي:

---

(1) مفتاح بن عروس، علاقة النص بالمقام، ص: 312.

(2) الألوسي، روح المعاني، ج16، ص: 24.

(3) فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ج11، ص: 137.

ويسألونك عن ذي القرنين، من خلال السياق يتضح

- هناك أكثر من سؤال والسياق يدل على ذلك
- هناك سائل موجود
  - الضمير المقدر على السائل (هـــم)
    - عائد على:
      - اليهود
      - أبو جهل وأشياعه
      - هذا عند الزمخشري
    - عائد على:
      - قريش بتلقين من اليهود
      - اليهود أنفسهم
      - هذا عند الألوسى
    - يعود على قريش عند محمد الطاهر بن عاشور
- وهناك من وجه له السؤال
  - الضمير المقدر (أنت) عائد على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–
- محور السؤال
  - ذو القرنين

السياق الرابع: قوله تعالى: ﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ الآية: 83.

من هذا السياق يمكن استنتاج:

- المسؤول لا يملك الجواب، لأنه لا يعلم الغيب.
- وظيفة من وجه الله السؤال هي التبليغ عن رب العزة الذي صدر منه الكلام "قل".
- يعتبر السؤال الموجه إلى رسول الله ﷺ، بحث عن تفاصيل القصة.
- أما الجواب فهو "ذكر" كما يقول "محمد الطاهر بن عاشور"، أي سأتلو عليكم ما به التذكر[1].

فهذه السياقات المختلفة والمتعلقة بسياق السورة العام الذي يتمحور حول موضوعاتها الأساسية، وكذا السياقات الخاصة بالآية المفردة، وكذا السياقات التي ساهمت في إبراز معاني بعض الأجزاء من خلال تواجده في سياقات معينة داخل قطعة أو جزء من السورة، كل هذه ساهمت في ترابط السورة دلاليا، سواء ترابطها الكلي الشامل من الأول السورة حتى نهايتها، كما هو واضح في سياق السورة، أو ترابط وانسجام بعض الأجزاء من السورة، كما في سياق القطعة أو الجزء، وأيضا تماسك الآية من خلال فهم معناها من خلال معنى بعض ألفاظها من خلال سياق الآية المتواجدة فيها.

2- بنيـــة الخطـــاب:

ينظر "محمد خطابي" إلى موضوع الخطاب، على أنه ينظم ويصنف الإخبار الدلالي للمتتاليات ككل، تلك هي وظيفة موضوع الخطاب الذي يعد بنية دلالية بواسطتها يُوصَف انسجام الخطاب، وبالتالي يعتبر أداة إجرائية حدسية بها تقارب البنية الكلية للخطاب[2]، لكن قبل الحديث عن البنية الخطابية لسورة الكهف، لا بد علينا أن نتطرق لدور المتلقي في الحكم عن انسجام النص وتماسكه.

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص: 18.

[2] محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 42.

أ- دور المتلقي في الحكم على انسجام النص:

يمكننا التنبيه في بداية الأمر أن حديثنا عن دور المتلقي في الحكم على انسجام النص، فهو ليس حديثا عن أي متلقي، وإنما نقصد وراء كلمة متلقي هنا، ذلك المتلقي المبدع المتفاعل مع النص.

إن للمتلقي دورا أساسيا في الحكم على تماسك النصوص، إذ هو أحد أركان التحليل النصي، «فهو يعتبر القراءة الثانية للنص ولهذا لم يغفل علماء اللغة هذا الدور للمتلقي، فالنص يعد حوارا قائما بين قائل النص والنص والمتلقي»[1].

وقد تنبه علماء لسانيات النص لدور المتلقي في الحكم على النص، ولم يعتبروه مجرد مستهلك، بل عُدّ بمثابة المشارك في النص، «وهذه المشاركة لا تضمن قطيعة بين البنية والقراءة، وإنما تعني اندماجها في عملية دلالية واحدة، فممارسة القراءة إسهام في التأليف، فللقارئ مكان جوهري في عملية التفسير لا يقل عن دور المنتج»[2]، فالذي يحكم على قيمة النص، هو المتلقي الذي استوعب قراءة هذا النص.

وهذا يعني أن القارئ شريك للمؤلف في تشكيل المعنى، وهو شريك مشروع لأن النص لم يكتب إلا من أجله، وعلى هذا النحو لا تتمثل حقيقة العمل الأدبي إلا من خلال تداخل القارئ مع النص، بل إن المبدع يخلق عملا ينتزع فيه الكلمات من عالم المحسوسات مجسمة في نسيج عالم خيالي...محكم الربط والبناء، ومهيأ لأن يستكمل على نحو خاص لدى كل قارئ[3].

ولهذا لا بدّ من أن ندرك دور المتلقي، فالنص قد لا يتحقق وجوده إلا بوجود القارئ، ففي النص القرآني، نجد أن المتلقي المبدع، هو ذلك المتلقي الذي يدرك الأسلوب القرآني، وكذا معرفة سياق النص، وكذلك مناسبة النزول، وبهذا نجده في كثير من الأحيان يطرح مجموعة من الأسئلة حول نص معين، قصد فك شفرته، للغوص ومعرفة معانيه، أو على الأقل الاقتراب من معناه، وبذلك يكشف الكيفية التي انسجم بها هذا النص، إذ وجود النص كان من أجله.

---

(1) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص: 110.

(2) سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص: 111-112.

(3) صبحي إبراهيم الفقي، المرجع نفسه، ج1، ص: 111.

ب- خصائص البنية الخطابية:

تهتم البنية الخطابية بالمخاطِب أو المرسل أو المتكلم، كما تهتم أيضا بمتلقي الخطاب ونوع الرسالة، وهي عناصر أساسية في هذا العنصر، تدخل في تشكيل البنية الخطابية لأي نص، وتساهم في تأويليه وفهمه والوصول إلى حقيقة تماسكه دلاليا.

وتتميز البنية الخطابية في القرآن الكريم بأن المرسل أو المتكلم فيها هو الله عز وجل، والمتلقي الأول للرسالة هو جبريل عليه السلام والمتلقي الثاني هو محمد ﷺ، والمتلقي الثالث هو صحابة رسول الله ﷺ ومن جاء بعدهم من البشر إلى أن تقوم الساعة.

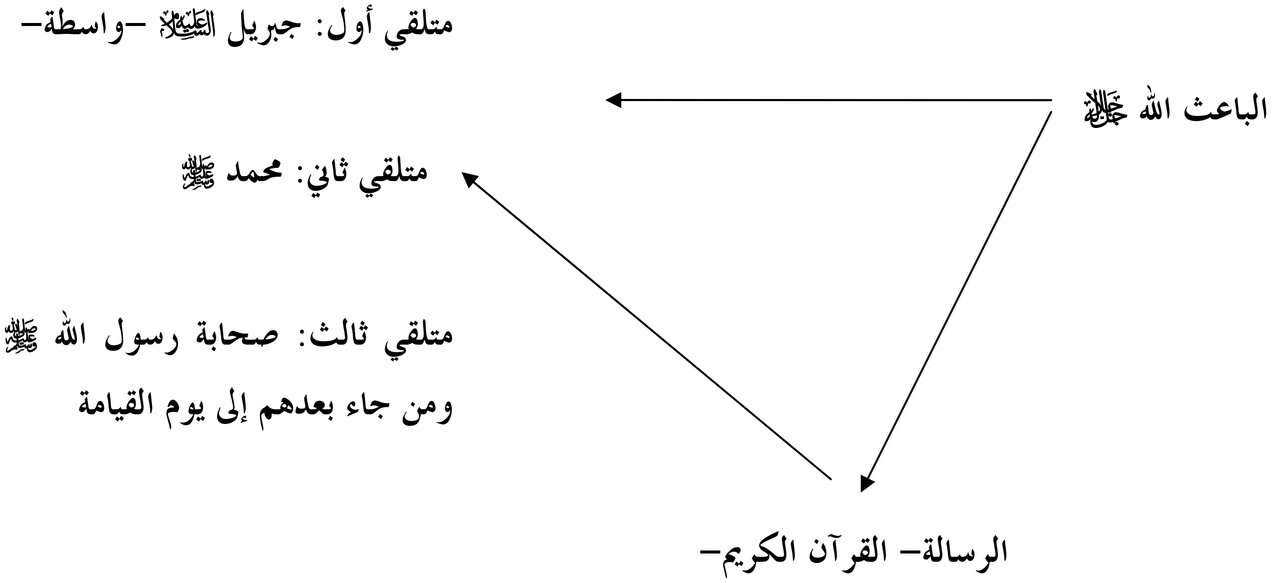

إن القرآن الكريم يعرف بأنه رسالة إلى البشرية جمعاء، منذ بعثه النبي ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالبث من هذا الاعتبار متصل على وجه الأبد...، مما يجعل هذه العلاقة ترقى إلى ما فوق الزمنية التاريخية والتاريخانية[1].

ج- البنية الخطابية في سورة الكهف:

تعتبر بنية الخطاب بنية دلالية بواسطتها يوصف الخطاب، وهي بمثابة أداة من الأدوات الإجرائية التي توصلنا إلى البنية الكلية للخطاب، والناظر إلى سورة الكهف يمكنه أن يحدد مجموعة من البنيات الخطابية التي تتبلور في النهاية لتشكل بنية خطابية كبرى، تخدم السورة باعتبارها جوابا.

---

(1) عبد المالك مرتاض، نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن، دار هومة، الجزائر، 2001، ص: 07.

وهذه البنيات هي كالآتي(*):

البنية الأولى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ الآية: 01-05.

الكلام هنا منصب على المتكلم، وهو الله ﷻ، فبدأ هذه البنية بـــ «الحمد لله» وهو الثناء الجميل الحاصل لله، والمراد الإعلام بذلك، للإيمان به أو الثناء على نفسه أو هما معا، ثم ذكر وجه استحقاقه له، فقال: «الذي أنزل على عبده الكتاب»، أي الكتاب الكامل المعروف بذلك من بين سائر الكتب(1). فهي هنا وظيفة تعليمية، حيث يقول "الشنقيطي": «لقد علم الله جل جلاله عباده —في هذا الجزء من السورة— أن يحمدوه على أعظم نعمة أنعمها عليهم، وهي إنزاله على نبينا ﷺ هذا القرآن العظيم، الذي لا اعوجاج فيه؛ بل هو في كمال الاستقامة... ولذا علمهم ربهم كيف يحمدونه على هذه النعمة الكبرى(2).

البنية الثانية: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ الآية:06.

[للإشفاق، أشفق أن يبخع الرسول نفسه عليهم لكونهم لم يؤمنوا] (3).

و معنى لعلّ هو أن المراد بها في الآية النهي عن الحزن عليهم، وإطلاق لعلّ مضمنة معنى النهي أسلوب عربي يدل على السياق(4)، وهذا الذي يبرز في هذه الآية الكريمة.

(*) لقد ذكر مجموع هذه البنيات، مفتاح بن عروس، مجلة اللغة والأدب، المرجع السابق، ص: 314-326.

(1) أحمد بن المهدي بن عجينة الحسني، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: عمر أحمد الراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1423هـ-2002م، ج4، ص: 137.

(2) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص: 03.

(3) أبو حيان الأندلسي، النهر الماد من البحر المحيط، مج3، ص: 612.

(4) محمد الأمين الشنقيطي، المرجع نفسه، ج4، ص: 12.

فهي وظيفة فعلية حيث تتضمن النهي (لا تبخع على عدم إيماهم).

البنية الثالثة: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ الآية: 09، [قصة أصحاب الكهف باختصار]

المخاطب هنا غير محدد في شخص، وإنما هو عام، لكن يحدد فقط بصفته، وهذا المحدد هو كل من حسب أن أصحاب الكهف أعجب آيات الله.

البنية الرابعة: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ الآية: 13، [تفصيل لقصة أصحاب الكهف]، وهي عبارة عن تبليغ هذه القصة لرسول الله ﷺ.

فلما أخبر الله سبحانه وتعالى عن قصة أهل الكهف، مجملا لها بعض الإجمال، كان السامع (المتلقي) جديرا بأن تستشرف نفسه إلى بيان أكثر من ذلك فيضيق صدره خشية الاقتصار على ما وقع من تلك الأخبار... فكان جوابا لمن كأنه قال: اسأل الإيضاح وبيان الحق من خلاف الحزبين، نحن "نقص عليك"، أي تخبر إخبارا تابعا لآثارهم على وجه التفصيل[1].

فكان الجواب بداية الأمر مجملا حول قصة أصحاب الكهف ثم بعد ذلك تم التفصيل في الحديث عن قصتهم وهي بمثابة تبليغ عنهم للرسول ﷺ.

البنية الخامسة: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ الآية: 22. وهي هنا وظيفة تبليغية تعليمية.

أي «قل ربي» أي المحسن إليّ بإعلامي بأمرهم، ورد العلم إليه ﷻ[2].

البنية السادسة: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ الآية: 23⟸ وظيفة فعلية.

حيث نهى الله نبيه ﷺ أن يقول إنه سيفعل شيئا في المستقبل إلا معلقا ذلك على مشيئة الله الذي لا يقع عليه شيء في العالم كائنا ما كان إلا بمشيئته ﷻ[3].

---

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ–1995م، ج4، ص: 450.

[2] محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص: 60.

[3] المرجع نفسه، ص: 62.

البنية السابعة: ﴿قُلِ﴾ الآية: 26، وهي مسألة مدة لبث أصحاب الكهف⇔ وظيفة تبليغية.

حيث أن لله الإحاطة الكاملة، وهو «أعلم» منكم بما لبثوا[1].

البنية الثامنة: ﴿وَٱتْلُ﴾ الآية: 27 [أمر بتلاوة القرآن]⇔ وظيفة فعلية.

البنية التاسعة: ﴿وَٱصْبِرْ﴾ الآية: 28 [أمر بصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي]⇔ وظيفة فعلية.

البنية العاشرة: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ الآية: 28: نهى الله ﷻ نبيه ﷺ أن تعدو عيناه عن ضعفاء المؤمنين وفقرائهم، طموحا إلى الأغنياء وما لديهم من زينة الحياة الدنيا ⇔ وظيفة فعلية.

إن فعل الكلام في السور يهدف إلى الإقناع بأسلوب يخاطب العقل والقلب معا، تجلى في العديد من السياقات التي ذكرناها سابقا، وفعل الكلام فيها جاء أحيانا آمر وهو أمر إلهيٌّ.

كما جاء الخطاب أيضا بصيغة النهي من الخالق إلى المخلوق، «ولا تقولن لشيء» أيضا «ولا تعد عيناك عنهم».

وقد جاءت عبارة عن متتاليات تعلق بعضها بأوامر إلهية، وبعضها الآخر بنواهي، وجل هذا يدور حول مخاطب واحد أو المتلقي الأول وهو رسول الله ﷺ.

البنية الحادية عشرة: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ الآية: 29 (تحديد مصدر الحق) ⇔ وظيفة تبليغية.

وقل يا محمد لأولئك الغافلين المتبعين أهواءهم أو لمن جاءك من الناس هذا الذي جئتكم به من عند ربي هو[2]«الحق من ربكم»، فهذا العمل بمثابة تبليغ معلومة معينة، ويعد وظيفة تبليغية.

البنية الثانية عشرة: ﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ الآية: 32، قصة الرجلين ⇔ وظيفة تبليغية أيضا.

---

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، ج4، ص: 462.

[2] أحمد بن عجينة الحسني، البحر المديد، ج4، ص: 158.

أي ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين[1]، وهي دعوة للقيام بدون تبليغي.

البنية الثالثة عشرة: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية: 45 ⇔ وظيفة تبليغية.

أي اذكر لهم ما يشبهها في زهرتها ونضارتها، وسرعة انقراضها وفنائها، لئلا يطمئنوا إليها ويغفلوا عن الآخرة[2]، وهي أيضا خطاب أو دعوة للقيام بوظيفة تبليغية، وذلك بضرب مثل الحياة الدنيا في زينتها وبهائها... كي لا يغتر بها الإنسان.

البنية الرابعة عشرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ الآية: 50 ⇔ وظيفة تبليغية.

البنية الخامسة عشرة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ الآية: 60 ، بداية قصة موسى مع العبد الصالح ⇔ وظيفة تبليغية أيضا، أي أذكر لهم حين: «قال موسى لفتاه...».

البنية السادسة عشرة: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ الآية: 83، [قصة ذي القرنين] ⇔ وظيفة تبليغية.

فقد سأل سائلون عن ذي القرنين، سألوا الرسول ﷺ فأوحى إليه الله بما هو في سيرته[3] في هذه السورة في قوله تعالى: «قل سأتلوا عليكم...»، وافتتاح هذه القصة بـــ «يسألونك» يدل على أنها مما نزلت السورة للجواب عنه[4].

البنية السابعة عشرة: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ الآية: 103 [تحديد مفهوم الأخسرين] ⇔ وظيفة تبليغية.

---

(1) الزمخشري، تفسير الكشاف، ج3، ص: 206.

(2) أحمد بن عجينة الحسني، البحر المديد، ج4، ص: 165.

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ص: 2290.

(4) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص: 17.

أي: هل ننبئكم أي نخبركم بالأخسرين أعمالا، هذا سؤال، ثم كان الجواب، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهو يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

البنية الثامنة عشرة: ﴿**قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى**﴾ الآية: 109 [عدم الإحاطة بعلم الله] ⟺ وظيفة تبليغية.

وهو تنويه بسعة علم الله تعالى وأنه لا يعجزه أن يوحي إلى رسوله بعلمه كل ما يُسأل عن الإخبار به[1].

البنية التاسعة عشر: ﴿**قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ**﴾ الآية: 110 [بشرية النبي ﷺ وارتباطه بالوحي] ⟺ وظيفة تبليغة.

يتأكد مما سبق أن العلاقة التداولية لبنية الخطاب، تؤدي إلى تكوين نسيج من الوظائف الفعلية والتبليغية، لتسهم بذلك في انسجام الخطاب القرآني في هذه السورة.

ويمكننا بعد هذا أن نقوم بتمثيل سورة الكهف من منظور العلاقات الخطابية وارتباطها بعضها ببعض على الشكل التالي:

(1) محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج16، ص: 54.

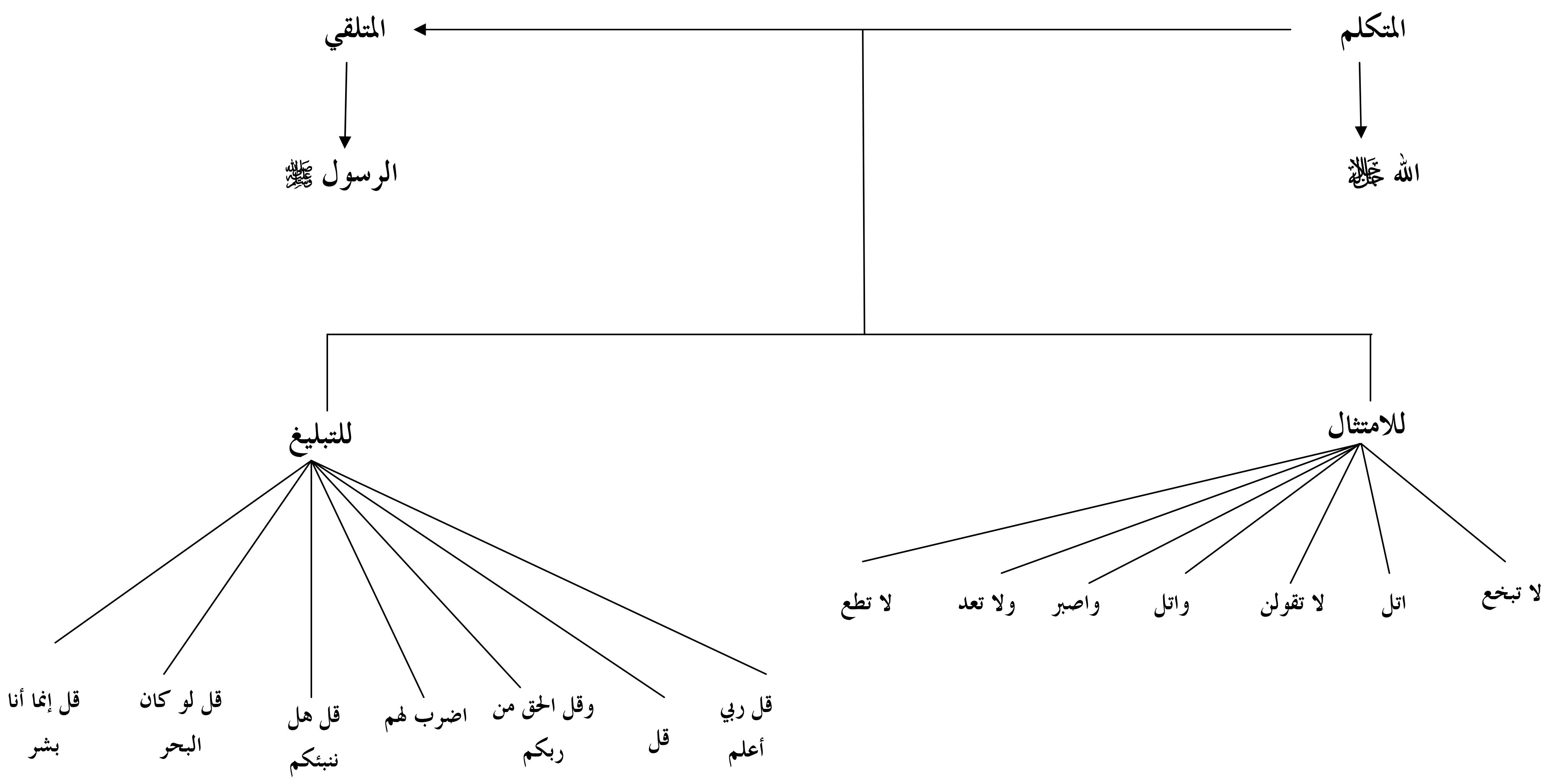
المتكلم
المتلقي
الله ﷻ
الرسول ﷺ
للامتثال
للتبليغ
لا تبخع
اتل
لا تقولن
واتل
واصبر
ولا تعد
لا تطع
قل ربي أعلم
قل
وقل الحق من ربكم
اضرب لهم
قل هل ننبئكم
قل لو كان البحر
قل إنما أنا بشر

ومن خلال هذا يمكن الخروج بمجموعة من الملاحظات ترتبط بالسور كجواب[1]:

المسألة كلها مسألة وحي، وما وظيفة الرسول ﷺ إلا تبليغ ما أيل إليه، وهذا التبليغ يرتبط بالأفعال التي تدعو إلى الامتثال، سواء منها النهي أو الأمر (لا تقولن- اتل- اصبر- لا تعد...)، وكذلك أيضا مرتبط بالأفعال التي تدعو إلى التبليغ: (قل، اتل، اضرب لهم...)، ولما صار الأمر يتعلق بالتبليغ كانت البنية الخطابية متمثلة في الشكل التالي:

الله جل جلاله — الرسول ﷺ — س

المتكلم ← المتلقي الأول ← المبلغ له

وهناك ارتباط واضح بين المأمور (رسول الله ﷺ) والمبلغ له، ويتضح هذا الارتباط من خلال الأمثلة التي يمكن أن نسوقها لتبرير هذه المقولة:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ الآية: 28.

«اصبر نفسك»، اصبر فعل أمر، والكاف في لفظ «نفسك» للمخاطَب، أي أن هناك آمر وهناك مأمور، الآمر هو الله عز وجل والمأمور هو الرسول ﷺ، وهناك قضية معينة، أو الموضوع الأساسي في هذا الأمر، وهو (صبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) وهو أمر بفعل شيء ما.

وهو خطاب يدخل في دائرة التبليغ الكبرى، ولهذا الاعتبار يرتبط بالمبلغ له، وبالتالي يمكن الكلام عن امتثال مزدوج، الأول يتعلق بصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، والثاني بتبليغ هذا الخطاب إلى غيره[2].

---

[1] مفتاح بن عروس، علاقة النص بالمقام، ص: 317.

[2] المرجع نفسه، ص: 319.

المثال الثاني: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ الآية: 83.

«قل» فعل أمر أي أن هناك آمر ومأمور، وفي قوله: «قل سأتلو عليكم» عبارة «عليكم» تدل على أن هناك مبلغ له يصله الخطاب.

لكن هذا «المبلغ له» الذي تحدده عبارة «عليكم»، يندرج تحته المبلغ له الخاص، والذي طرح السؤال وهو السائلون عن قصة ذي القرنين، وكذلك المبلغ له العام، ليدخل في دائرة التبليغ الكبرى، والذي يمكن أن يمثل له بالشكل التالي[1]:

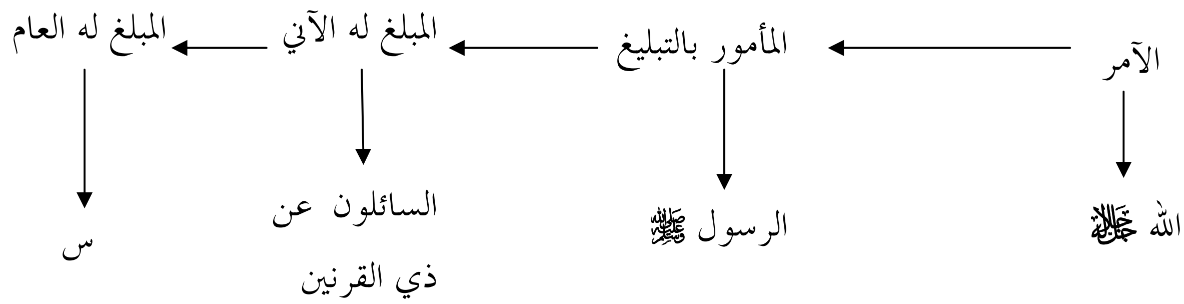

وكل هذا يؤيده ما جاء في افتتاحية السورة وفي ختامها كون الله ﷻ علّم عباده في أول السورة الكريمة أن يحمدوه، على أعظم نعمة أنعمها عليهم، وهي إنزاله على نبينا ﷺ هذا القرآن العظيم[2]، فهذا الحمد بسبب إنزال الكتاب على عبده محمد ﷺ .

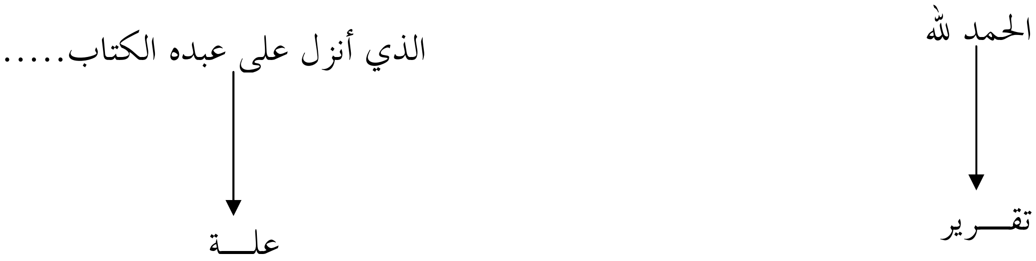

واختتام السورة ارتبط بمسألة الوحي أيضا، وهذه المرة بشكل مزدوج، فهي تتجسد في الفعل "قل" الذي يمكن تحليله على ضوء الأمثلة السابقة، ثم في مقولة القول: «إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلَّي»[3].

أي: «بشر من جنس البشر، إلا أن الله تعالى فضلني وخصني بما أوحي إلَّي»[4].

---

[1] مفتاح بن عروس، علاقة النص بالمقام، ص: 319-320.

[2] محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص: 03.

[3] مفتاح بن عروس، المرجع نفسه، ص: 320.

[4] محمد الأمين الشنقيطي، المرجع نفسه ، ج4، ص: 152.

3- التغريـــض:

أ- مفهوم التغريض:

ينهض العنوان أو اسم السورة بدور تأويلي فعّال، لأنه يتحكم في تحديد الرؤية، ويؤسس العلاقة التغريض كما يذهب إلى ذلك كل من "**براون ويول**".

ومفهوم التغريض يتعلق بالارتباط الوثيق بين ما يدور في الخطاب/ النص وأجزائه، وبين عنوان الخطاب أو نقطة بدايته، وبالتالي فإن الخطاب/ النص مركز جذاب يؤسسه منطلقة، وتحوم حوله بقية أجزائه[1].

ومن هنا يتبين أن التغريض له علاقة وطيدة مع موضوع الخطاب وعنوانه، ولعله يمكن اعتبار العنوان «وسيلة قوية للتغريض [لأننا] حين نجد اسم شخص مغرضا في عنوان النص نتوقع أن يكون ذلك الشخص هو الموضوع».

فمفهوم التغريض ذو علاقة وثيقة مع موضوع الخطاب ومع عنوان النص، تتجلى العلاقة بين العنوان وموضع الخطاب في كون الأول «تعبيرا ممكنا عن الموضوع»[2].

إذن فإن قراءة النصوص في ظل عنواناتها تشكل الانطلاقة الأولى لقراءة النصوص، إذا ما ذهبنا إلى أن «دلالية العمل هي نتاج تأويل عنوانه»[3].

وبهذا يمكن للعنوان أن يشكل بؤرة مهمة، لتمكين المتلقي من النفوذ داخل النص، إذ يمده بزاد ثمين لتفكيك النص ودراسته، إضافة إلى تقديمه المعونة الكبرى، لضبط انسجام النص، وفهم ما غمض منه، بل إنه المحور الذي يتوالد ويتنامى، ويعيد إنتاج نفسه مشكلا هوية النص[4].

وإذا كان العنوان يشكل ركيزة أساسية في توجيه فهم القارئ لمضمون نص معين، ويرسم احتمالات المعنى ويختصر حكمة النص، فإنه بهذا يستطيع أن يشكل مدخلا مهما وعاملا في عوامل بناء وانسجام النصوص إذ يمكننا أن نعتبره عبارة عن تلخيص للمحتوى، وهو بهذا يجسد الوحدة

---

(1) أنظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 59.

(2) المرجع نفسه، ص: 293.

(3) فتحي رزق الخوالدة، تحليل الخطاب الشعري، ص: 124.

(4) المرجع نفسه.

الكلية للنص وعنوان النص بصفة عامة، يعتبر أول شيء يواجه دارسي النصوص ومحلليه، ولذلك فإن له المكانة الأولى في كشف تماسك النص، لأن النص قد يكون تلخيص للمحتوى، وقد يكون النص مكملا لما جاء في العنوان وموضحا أو مفسرا له، وقد يكون النص شارحا ومفصلا للإجمال (العنوان)، وهذا ينطبق أيضا على أسماء السور في القرآن الكريم.

فللعنوان قيمة إشارية تفيد في وصف النص ذاته وغني عن البيان أن طبيعة العلاقات بين النص وعنوانه من المباحث الحيوية الطريفة التي ما زالت في حاجة إلى دراسات علمية تحليلية عميقة[1].

ب- العلاقة بين اسم السورة – الكهف- ومحتواها:

وفيما يخص سورة القرآن الكريم فنحن نبحث في العلاقة بين اسم السورة ومحتواها، خصوصا إذا علمنا أن أسماء سور في القرآن الكريم توفيقية، فنحاول كشف العلاقة بين اسم السورة، وما حوته جوانب هذه السورة من دلالات ترتبط باسمها، وقد نبه علماؤنا القدامى إلى أهمية اسم السورة، فيذهب "**الزركشي**" إلى أن تسمية السورة باسم معين «ليس إلا تعضيدا لتقليد معلوم لدى العرب، وهو تقليد يراعي في كثير من المسميات أخذ بأسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه... ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز»[2].

غير أن ذكر حدث معين أو اسم ما في السورة ليس كافيا لتبرير التسمية، وقد أورد "**الزركشي**" جوابا على هذا الاعتراض، في كلامه عن سورة هود وسبب تسميتها بهذا الاسم، قال: «فقد ورد في سورة هود ذكر نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، فلِمَ تختص باسم هود وحده؟ وما وجه تسميتها به وقصة نوح فيها أطول وأوعب؟... تكررت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوعب مما وردت في غيرها، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود عليه السلام كتكرره في هذه السورة، فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في أربعة مواضع»[3]، لكن هل عدد التكرارات يكفي حتى نبرر تسمية سورة بما تكرر فيها؟ يجيب على

[1] محمد العبد، اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط$_1$، 1989، ص: 48.

[2] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج$_1$، ص: 46.

[3] المرجع نفسه، ج$_1$، ص: 271.

هذا التساؤل "**الزركشي**" أيضا بقوله: «لما جردت لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برأسها، فلم يقع فيها بغير ذلك كانت أولى بأن تسمى باسمه عليه السلام»[1]، يستنتج من أقوال "**الزركشي**" هذه أن هناك ارتباطا وثيقا بين السورة واسمها، ولو أردت استبدال اسم السورة باسم آخر لم تستطع.

ولدراسة العلاقة بين اسم السورة –الكهف- ومحتواها أو موضوعاتها لا بد أن نقف بداية الأمر على تسمية السورة.

وكما سبق الذكر فإن اسم السورة توقيفي؛ أي ثابت عن رسول الله ﷺ، فهذه السورة تسمى "سورة الكهف" وتسمى "سورة أصحاب الكهف".

ففي التسمية الأولى "سورة الكهف" اقترنت بالمكان الذي تم اللجوء إليه (الكهف)، من أجل الاحتماء به من ظلم قومهم خوفا من الوقوع في الفتنة، فلجأوا إلى مكان حصين يحفظ عليهم دينهم وعقيدتهم.

فلو نظرنا إلى هذا الاسم وإلى موضوعات السورة لوجدنا بين الاسم والموضوعات نوعا من العلاقة والارتباط، إذ «إن الموضوعات المعروضة في هذه السورة الكريمة من تدبرها ولجأ إليها كانت له كالكهف الحصين من الفتن جميعا... فإن كان الوضع الذي لجأ إليه الفتية كهفا محسوسا ملموسا، فإن الكهف الذي يأوي إليه قارئ هذه السورة كهف معنوي من عناية الله سبحانه وتعالى وحفظه وستره فلا تؤثر فيه الفتن المعروضة»[2]، وهي فتن الحياة الدنيا (فتنة المال، السلطان، العلم...).

فكان هذا الكهف سببا من أسباب سلامة أهل الإيمان (الفتية) من بطش الكافرين وفتنتهم، وكان التمسك بالكتاب يعتبر بمثابة الكهف الذي يحقق السلامة من فتن الحياة الدنيا، فظهر بذلك مدى انسجام محتوى السورة وتعالق وارتباط باسمها.

وإذا نظرنا إلى التسمية الثانية وهي "أصحاب الكهف" نجدها قد اقترنت بالأشخاص الذين لجأوا إلى الكهف.

---

(1) الزركشي، المرجع السابق، ج1، ص: 271.

(2) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص: 179.

إن أصحاب الكهف أنموذج فريد للوقوف في وجه الباطل، وسيرهم، مثال لمن يُبتلى ويفتتن في دينه، لذا كانت هذه التسمية أيضا ذات علاقة بموضوعات السورة[1] والله أعلم بأسرار كتابه ومراده من كل لفظ، فتعالق بذلك وترابط اسم السورة وتماسك اسم السورة بموضوعاتها الأساسية وأحدث بذلك انسجاما نصيا.

4- المناسبــة:

لما كان السياق القرآني يقتضي التماسك والترابط بين المعاني، كان لا بد من إثبات حقيقة أكيدة ألا وهي: أن آيات السور القرآنية جاءت وفق ترتيب قديم مصون في اللوح المحفوظ، لم يطرأ عليه أي تبديل أو تغيير، وإنما هو ترتيب إلهي أراده المنزل سبحانه على حاله دون تدخل أحد من الناس، ولما كان هذا الترتيب على هذا الشكل الموجود في المصحف الشريف، كان لا بد أن تكون هناك مناسبة بين ترتيب هذه الآيات، وأن تلاحم أجزاء السورة يرتبط بمناسبات داخلية بينهما، ولذا كان لا بد علينا أن نبحث عن هذا التماسك بين معاني الآيات التي حققت لنا وحدة في سورة معينة، لأن وجود هذه الآيات في سياق سورة واحدة ينبئ عن علاقة بينها ووجه من المناسبة جعل منها وحدة دلالية.

وقد أدرج "**محمد خطابي**" علم المناسبات ضمن الآليات التي تكشف لنا عن تماسك السور في كتابة لسانيات النص، حيث يمكننا –علم المناسبات– من كشف العلاقة بين الآية والآية الأخرى، لكن قبل الحديث عن وجه المناسبة بين آيات سورة الكهف، كان لا بد علينا من أن نتطرق إلى تعريف علم المناسبة.

أ- تعريــف علم المناسبة:

لقد عرف "**برهان الدين البقاعي**" في مقدمة تفسيره (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) فقال: «علم المناسبات علم تُعرف منه علل الترتيب»، وموضوعه: أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب، وثمرته: الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء؛ بسبب ماله بما وراءه وما أمامه

---

[1] مصطفى مسلم، المرجع السابق، ص: 180.

من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب»[1]، فعلم المناسبات كما ذهب "البقاعي" علم يعرف به سبب ترتيب النص على الشكل الذي جاء عليه.

أما فيما يخص القرآن الكريم، فيردف **"البقاعي"** قائلا:«علم مناسبات القرآن: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال، وتتوقف الإحالة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها»[2].

فمعرفة المقصود من السورة لا يتم إلا بمعرفة جميع جملها، وكذا تدبير السياق الذي جاءت فيه هذه الجمل من البداية وحتى النهاية.

والسياق يكون خادما تعلم المناسبات في إبراز علل الترتيب... وأسباب تقديم بعضها على بعض، فمن هذه الجهة يكون السياق خادما لعلم المناسبات، ومن جهة أخرى يكون علم المناسبات خادما للسياق، وذلك من خلال الكشف عن أوجه المناسبة[3].

وعلم المناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، ولذلك وضعوا له ضوابط عقيلة منها: وحدة الموضوع، سواء في ذلك وحدة موضوع السورة ذات الموضوع الواحد، أو وحدة موضوع المقطع، ووجود رابط من الروابط، عام أو خاص، عقلي أو حسي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلوم[4].

ويذهب **"محمد خطابي"** إلى أن المناسبة أو التناسب بين الآيات بحث عن علاقة آية بآية أخرى متقدمة[5].

لكنه يضع شرطا للبحث عن موضوع المناسبة حيث يقول: «وقد بدا للناس من خلال الاستقراء أن المفسر يشرع في البحث عن المناسبة حيث تنقطع الصلة بين آية وآية أو آيات سابقة (نعني بانقطاع الصلة أن تكون الآية السابقة كلاما عن القتال والآية اللاحقة لها كلاما عن إنفاق

---

(1) البقاعي، نظم الدرر، ج1، ص: 05.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص: 05.

(3) المثنى عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، ص: 38.

(4) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 36.

(5) محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 189.

الأموال مثلا) وكأنما يفترض سؤال سائل: ما وجه المناسبة بين هذه وتلك؟ أو ما موقع هذه الآية من الكلم السابق؟[1]، فعلم المناسبة عنده يبحث عن علاقة الآية بالآية الأخرى أو آيات متجاورات في الموقع مختلفات تنقطع الصلة بينهما».

ب- أول من ألف في علم المناسبة:

يذكر أن أول من ألف في هذا العلم كان "أبو بكر النيسابوري"، حيث وضع اللبنات الأولى لهذا العلم من خلال تفسيره للقرآن الكريم، حيث أنه في أثناء تفسيره يذكر الحكمة من وضع هذه السورة بجانب السورة الأخرى.

يقول "الحسن الشهرباني": «أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام "أبو بكر النيسابوري" (261هـ)... وكان يقول ما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة»[2].

ويضيف "السيوطي" عددا آخر من العلماء الذين تحدثوا عن المناسبة؛ يقول: «أفرده بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير... في كتاب سماه "البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن" ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي (ت: 885هـ) في كتابه سماه"نظم الدرر في تناسب الآي والسور" وكتاب الذي صنعته في أسرار التنزيل كافل بذلك جامع لمناسبات السور والآيات... وقد لخصت منه مناسبات السور.... في جزء لطيف سميته "تناسق الدرر في تناسب السور"»[3]، وكل هذا يؤكد إدراك هؤلاء العلماء -القدامى- لقضية المناسبة.

لكن الذي لا بد من التنبيه له، إلى أن هناك اختلاف بين العلماء حول الترابط، فهناك من رأى أن «القرآن نزل في نيّف وعشرين سنة في أحكام مختلفة وأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربطه بعضه ببعض...لاختلاف العلل والأسباب[4].

---

(1) محمد خطابي،المرجع السابق، ص: 189-190.

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج1، ص: 36.

(3) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص: 322.
أيضا معترك الأقران، ج1، ص: 54-55.

(4) الزركشي، المرجع نفسه، ج1، ص: 36.

ثم يأتي رأي آخر مخالف له، يؤكد أنه «قدْ وهِم من قال: لا يُطلب للآي الكريمة مناسبة، لأنها على حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تتريلا، وعلى حسب الحكمة ترتيبا»(1).

وقد فصل في هذه القضية "صبحي إبراهيم الفقي"، حيث يقول: «والذي نراه أن القرآن الكريم نزل جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا، في ليلة واحدة، ثم نزل على رسول الله ﷺ في نيف وعشرين سنة منجما، وهذا الترول مرة واحدة يوحي بتماسكه ووجود المناسبة بين الآيات من ناحية وبين السور من ناحية أخرى، ومن ثم فلا مكان للزعم يعد الربط بين آياته وسوره»(2).

وهدفنا في هذا العرض التاريخي، هو التأكيد على فكرة المناسبة، ووجودها منذ القديم، ومن ثم توظيفها في الكشف عما يبحث عنه لسانيات النص في جانبها الدلالي، ألا وهو كيفية انسجام السورة القرآنية وترابطها دلاليا حتى تعطينا وحدة دلالية هي عبارة عن لُحمه واحدة تترابط بدايتها بنهايتها، وترابط هذين الآخرين –البداية والنهاية- مع الموضوعات الرئيسية للسورة ومحورها الذي تدور حوله، وهذا ما سنكشف عنه في دراستنا لسورة الكهف تطبيقيا، لكن بعد إبراز أهمية وفائدة علم المناسبة.

ج- فائدة علم المناسبة وأهميته في تماسك النصوص:

كما سبق القول أن المناسبة هي البحث عن علاقة آية القرآن بأخرى متقدمة، ويشرع المفسر في البحث عن المناسبة حين تنقطع الصلة بين آية وآية أخرى، أو آيات سابقة.

فلعلم المناسبة فائدة عظيمة وفائدته كما يقول "الزركشي": «جعل أجزاء الكلام آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء....

وقال "أبو بكر بن العربي: ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، مشتقة المعاني، منتظمة المباني علم عظيم»(3).

(1) الزركشي، المرجع السابق،ج1، ص: 36.

(2) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج2، ص: 89.

(3) الزركشي، المرجع نفسه، ج1، ص: 36.

فهو إذن يبحث في كيفية تماسك النصوص وانسجامها وذلك بترابط وتعالق وحداتها وهذا ما تبحث عنه في لسانيات النص.

ومعرفة اللسانيات بين الآيات لا يطلب إلا بعد بيان استيفاء اتصال الآيات بعضها مع بعض في موضوع واحد، أي بعد أن يتم سياق الآية أو سياق المقطع، فبعدها يُطلب وجه مناسبة الآية بما قبلها وما بعدها[1]، وخير معين على معرفة وجه المناسبة، هو معرفة السياق القرآني حتى يتضح وجه المناسبة على أكمل وجه له، وهذا ما جعلنا نتطرق إلى السياق قبل دراستنا لمناسبة آيات سورة الكهف بعضها ببعض.

فوظيفة علم المناسبات هو الكشف في وجه ورود وانتظام المعاني وارتصافه في هذا المكان دون غيره، وبيان اللحمة والائتلاف والترابط بين عناصر السياق الواحد[2]، فعلم المناسبة يحدد ويوضح وحدة النص في القرآن الكريم، الذي لم يسلم من الطاعنين منه قديما وحديثا، في محاولة منهم تمزيق وحدة النص القرآني والطعن في انسجامه، ومحاولة جعله قطعا متفرقة لا علاقة بين وحداته.

فالمناسبة هدفها الربط الدلالي بين الآيات المتجاورات أو حتى المتباعدات، فهي بحق أحد الآليات التي يبحث بها في تماسك النصوص وتلاحمها وارتباط بعضها بأعناق بعض لتكوّن بذلك الوحدة المنشودة من دراسة النصوص.

فموقعها في الدراسات النصية الحديثة موقع متميز، على الرغم من عدم التطرق إليها من طرف الباحثين والمهتمين بلسانيات النص، قد يكون لعلاقتها وارتباط الدراسة فيها بالنص القرآني، هو الذي أدى بعلماء لسانيات النص لتجاهلها لأن، هذا المجال –لسانيات النص- حديث والشيء المترجم فيه إلى اللغة العربية أكثر من المؤلف، مما أدى إلى تجاهله، إلا فيما نعلم عند باحثين اثنين: محمد خطابي في كتابه لسانيات النص، وصبحي إبراهيم الفقي في كتابه علم اللغة النصي، فقد تطرقا إلى علم المناسبة ودوره في تحقيق التماسك النصي.

---

(1) المثنى عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، ص: 39.

(2) المرجع نفسه، ص: 40.

فبخصوص موقف علماء النصية من قضية المناسبة ودورها في تحقيق التماسك النصي، يقول "صبحي إبراهيم الفقي: «أنهم لم يشيروا إليها على أنها وسيلة من وسائل التماسك النصي... ولكننا هنا نضيف –يقول الفقي–وسيلة المناسبة؛ إذ أنها تمثل وسيلة من أهم وسائل التماسك النصي»[1].

وقد اشترط الفقي وجود علاقة بين المتناسبين، قد تكون هذه العلاقة ظاهرة وقد تكون غير ظاهرة فيبحث عن الدعامة التي يمكن أن تجمع بينهما، إذا عُلم ذلك، فالمناسبة توصل إلى العلاقة، وهذه العلاقة بدورها تقتضي مرجعية من أحد المتناسبين إلى الآخر، وإذا تحققت هذه المرجعية، تحقق التماسك بينهما، أي وفق الشكل التالي[2]:

المناسبـــة ← العلاقـــة ← المرجعيـــة ← التماسك

ومن هنا تظهر العلاقة القائمة بين المناسبة كعلم كانت لبناته الأولى قد وضعت في القرون الأولى من الهجرة، وبين علم حديث ظهر منذ ما يقارب أربعة عقود و لم يكتمل بناؤه بعد.

فلا يخفى علينا إذا مدى الارتباط الوثيق والأهمية الكبرى لوظيفة المناسبة، حيث أنها تعمل على تحقيق الارتباط بين عناصر النص، وهذه هي المهمة الأولى والرئيسية التي أقيمت من أجلها لسانيات النص.

إذن المناسبة تحقق التماسك بين الآية وما تسبقها من آيات أخرى ومدى ارتباط هذه الآية بعضها ببعض، ومدى مناسبة الآيات الأولى من سورة لأواخرها، وكذا مناسبة موضوعات السورة بعضها مع بعض...إلخ وهذا ما سنتطرق إليه في دراستنا لسورة الكهف.

د– التحليل النصي للسورة:

في البداية يجدر أن أنبه إلى أن دراسة المناسبة في القرآن الكريم ينقسم إلى قسمين في النظر إلى السورة؛ فالأول يدرس المناسبة على مستوى أكثر من سورة، ومهمة هذا العنصر هو إبراز تحقق التماسك النصي، لا على مستوى السورة منفردة، لكن على مستوى أكبر من ذلك، ألا وهو على

---

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج2، ص: 93.

[2] المرجع نفسه،ج2، ص: 99.

مستوى القرآن عامة، وهذا كون دراستنا تقتصر في إبراز كيفية تحقيق التماسك والانسجام على مستوى سورة الكهف منفردة وكيف كانت لحمة واحدة ونصا مترابط الأجزاء ومثلا اسم المعاني، وهذا ما يدرسه القسم الثاني من المناسبة وهو: المناسبة على مستوى السورة المفردة، بداية من اسم السورة إلى بدايتها ثم مضمونها وموضوعاتها وبعد ذلك خاتمتها ولكل هذه الأقسام مناسبات ارتبط بعضها ببعض، نحاول الكشف عنها من خلال تحليلنا هذا، لنصل إلى الكيفية التي انسجمت بها هذه السورة المباركة.

أولا: المناسبة بين اسم السورة وحدث مذكور فيها

عنوان النص بصفة عامة أول ما يواجه المتلقي أو محلل النصوص، ومن ثم مكانة العنوان مكانة عالية في إبراز التماسك النصي، فلا بد لنا في النظر إلى اختصاص سورة الكهف بهذا الاسم، فهذه السورة كما سبق أن ذكر تحوي خمس قصص: قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب الجنتين، قصة آدم وإبليس، قصة موسى مع العبد الصالح، قصة ذي القرنين، فأول قصة فيها هي قصة أصحاب الكهف، وبذلك تكون قد سميت بأول قصة ذكرت فيها، وقد أثبتنا التماسك أو العلاقة بين هذه القصص من خلال آلية التغريض التي ذكرناها سابقا، حيث ذكرنا أن القصص الخمس تبرز كيفية النجاة من الفتن، وتؤكد نصر المؤمن على الكافر، ومن ثم تسمية السورة بأول هذه القصص.

ثانيا: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

إن تعدد الجمل وكثرة الفقرات في كثير من النصوص يؤدي بنا إلى نسيان مطلع هذا النص، وحينئذ يأتي النص بخاتمة تذكر بمطلعه، وذلك قد يكون نتيجة تكرار معنى ذكر في مطلع هذا النص أو بذكر جمل في هذه الخاتمة تكون مفسرة لما هو موجود في المقدمة أو غير ذلك من العلاقات التي تربط بداية النص بنهايته، محققة بذلك تماسكا نصيا، وانسجاما دلاليا، وإذا نظرنا إلى سورة الكهف وجدنا المناسبات بين افتتاحية السورة وخاتمتها كثيرة وواضحة حيث:

1- جاءت في افتتاحية السورة توجيه الحمد المطلق لله تعالى، فهو المستحق له، وعلة ذلك أنه أنزل هذا الكتاب العظيم على ﷺ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ الآية: 01، فهو ثناء على الله تعالى لأفعال وإرشاد العباد للتوجه إليه بما يستحق من الذكر والشكر والعبادة.

وجاء في الخاتمة تخصيص الله تعالى بالعبادة والذكر والشكر، وسائر الأعمال الصالحة[1]، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ الآية: 110.

2- لقد ذكر الوحي في افتتاحية السورة وفي خاتمتها، حيث كان في الافتتاحية بلفظ ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية: 01.

وفي الخاتمة ذكر بتعابير أخرى: ﴿كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ الآية: 109، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ الآية: 110.

3- ومن مناسبات افتتاحية السورة بخاتمتها، هو قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية: 01، فالرسول ﷺ هو المترل عليه هذا الكتاب، فجاء بصيغة "عبده" لتدل على أن المترل عليه الكتاب عبد من عباد الله، إلا أن إنزال الكتاب عليه ميزته عن باقي البشر.

وقد جاء في خاتمة هذه السورة ما يثبت هذا أيضا، وأن الرسول بشر، ليست له ميزة عن باقي البشر إلا بالوحي، في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾.

هذه بعض المناسبات بين افتتاحية السورة وخاتمتها تثبت التماسك النصي لهذه السورة، متمثلة، في ذلك الترابط والتلاحم بين البداية والنهاية، مساهمة في إبراز نصية النص.

ثالثا: المناسبة بين افتتاحية السورة وموضوعاها

لقد تم التطرق في سورة الكهف –كما ذكرنا سابقا- إلى قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب الجنتين ولقاء موسى عليه السلام والخضر، وما كان من أمرهما، وذكر الرجل الطواف وبلوغه مطلع الشمس ومغربها وبنائه سد يأجوج ومأجوج، وكل هذا إخبار بما لا مجال للعقل فيه، ولا تعرف حقيقته إلا بالوحي والإنباء بالصدق الذي لا عوج فيه ولا امتراء ولا زيغ، ناسب ذكر افتتاح السورة

[1] أنظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص: 180.

المعرفة بذلك الوحي المقطوع به، قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ الآية: 01، والتناسب في هذا أوضح من أن يتوقف فيه[1]، ثم إن افتتاحية السورة قد تناولت بجانب دور الوحي أيضا، جانب توحيد الله تعالى ونبذ الشرك ، والإقرار بالبعث، والملاحظ هذا كان متواجدا داخل عدة مواضيع من السورة.

وبذلك ترى أن الانسجام قد تحقق من خلال العلاقة والتناسب بين ما وجد في الافتتاحية وبين المواضيع التي تحدثت فيها سورة الكهف، فأحدثت بذلك ترابطا ونوعا من التعالق والتلاحم بين الأفكار وحققت تماسك المضمون في هذه السورة.

رابعا:المناسبة بين افتتاحية السورة وقصة أصحاب الكهف

ننتقل من الحديث عن مناسبة افتتاحية السورة وموضوعاتها إلى المناسبة بين هذه الافتتاحية وموضوع معين من هذه الموضوعات ألا وهو قصة أصحاب الكهف وكيف تحقق الانسجام أو التماسك الدلالي في هذا الجزء من السورة على طريق هذه المناسبة.

والملاحظ أن هناك مناسبات بين افتتاحية السورة وقصة أصحاب الكهف نذكر منها:

1- إن هناك مناسبة في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ الآية: 06، ناسب مجيء الجواب الذي سئل عنه النبي ﷺ[2].

وهو قصة أصحاب الكهف، تأكيدا على موقف السائلين وعنادهم، فهم لا يؤمنون حتى ولو جاءهم الجواب عن أسئلتهم، ثم اتصال قصة أصحاب الكهف بالسورة بصفة عامة اتصال واضح كون السورة جاءت كجواب عن الأسئلة المطروحة عن رسول ﷺ.

2- هناك مناسبة أيضا بين القيم الموجودة في الافتتاحية وما هو موجود في قصة أصحاب الكهف بالنسبة للفتية، ففي الافتتاحية يقول الله تعالى: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ

---

[1] أنظر: السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبطه وصححه، أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ-1988م، ج1، ص: 64-65.

[2] ينظر سبب النزول في بداية هذا الفصل.

﴿**لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنًا**﴾ الآية: 02، أيضا قوله تعالى: ﴿**لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا**﴾ الآية: 07، وفي قصة أصحاب الكهف المعلوم من هؤلاء الفتية أنهم عملوا شيئا صالحا ألا وهو فرارهم بدينهم إلى هذا الكهف قصد عبادة الله، حتى لا يقف في وجههم السلطان، فهذا من أجل الأعمال الصالحة كونهم لم يرتدوا عن هذا الدين و لم يستسلموا للسلطان الظالم، ويعتبر هذا ابتلاء عظيما ليميز الله أيهم أحسن عملا، فهو تناسب واضح بين افتتاحية السورة وهذه القصة، فكان هناك نوع من الترابط الدلالي ونوع من الانسجام بين الافتتاحية والقصة مما حقق نوعا من التماسك في هذا الجزء من السورة.

خامسا: المناسبة بين القصة الأولى (أصحاب الكهف) والقصة الثانية (صاحب الجنتين)

ويستمر تحقق انسجام السورة عبر المناسبات بين أجزائها المختلفة ليتحقق التماسك النصي بين مقاطعها وهذه عبر المناسبة بين قصة أصحاب الكهف وقصة صاحب الجنتين، فكانت هناك مناسبات جمعت بين مضمون القصتين تمثل فيما يلي:

1- المناسبة بين تعقيب القصة الأولى مع القصة الثانية، حيث إن ذكر المثل ناسب موقف المشركين لما طلبوا من الرسول ﷺ طرد الضعفاء المؤمنين من مجلسه لكيلا يعير بهم من الأسياد فيقال أنهم جلسوا من الأرقاء والفقراء والمستضعفين في مجلس واحد، فهذا في نظرهم مما يزري بمكانتهم[1]، فجاء الرد عليهم من الله ﷻ: «الفخر بالعرض الزائل من أجهل الجهل، وأن المؤمنين لا يعيبهم فقرهم، ولا يسوغ طردهم من أجله، وأنه يوشك أن يعود فقرهم غنى ضعفهم قوة»[2].

2- اشتملت قصة أصحاب الكهف على الصراع بين الباطل المتمثل في السلطة الطاغية المتجبرة وبين الحق المتمثل في نور الإيمان ومشعل الحق الذي آمن به الفتية[3].

فناسب هذا ما جاء في قصة صاحب الجنتين والتي مثلها ذلك الصراع بين القيم الحقيقية الصحيحة الباقية، وتلك القيم الزائفة، فقابل بذلك إيمان الفتية القيم الحقيقية الموجودة في قصة الجنتين وتكبره، فناسب بذلك محتوى القصة الأولى محتوى ما جاء في الثانية، ليعملا بذلك على انسجام بين هذين المقطعين دلاليا.

---

[1] مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص: 221.

[2] البقاعي، نظم الدرر، ج4، ص: 471.

[3] مصطفى مسلم، المرجع نفسه، ص: 220.

3- يضاف إلى هذه المناسبات أن قصة صاحب الجنتين سيقت بمثابة التقريع والتوبيخ لزعماء قريش الذين أهملوا عقولهم وأغفلوا معرفتهم بمحمد ﷺ وصدقه ونزاهته وأمانته وأرسلوا إلى اليهود ليعطوهم ما يتحققون به من صدق محمد في دعوته[1].

فسيق لهم هذا المثل أن من أغفل قلبه عن ذكر الله واتبع هواه وكانت قيمه التي يتحكم إليها المال والجاه، ضل ضلالا بعيدا، فلا ينظر إلى الأمور إلا بمنظار الغني المادي وكثرة الرجال وعلو الجاه والمترلة بين الناس[2].

سادسا: المناسبة بين قصة صاحب الجنتين وقصة آدم وإبليس:

نستمر في الحديث عن وجه المناسبة بين مقاطع السورة ومهمته في تحقيق انسجام السورة عبر الجزء التالي لقصة صاحب الجنتين، ألا وهو قصة آدم وإبليس، والذي تتضح بينهما وجه المناسبة فيما يلي:

1- لما كانت زينة الحياة الدنيا أكبر همهم ومبلغ علمهم بين لهم في هذا المقطع —قصة آدم وإبليس، أن الذي يُزيِّن لهم ذلك هو عدوهم الأول إبليس، فلا ينبغي اتخاذه وذريته أولياء لأنه سيؤدي بهم إلى المهالك[3]، ويكون بذلك مصيرهم النار في يوم يوضع فيه الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، إلا أحصاها.

2- لما ذكر البعث وختمه وإحسانه بالعدل المثمر لإعطاء كل ما يستحقه، أتبعه بماله من الفضل بابتداء الخلق الذي هو دليله، في سياق مذكر بولايته الموجبة للإقبال عليه وعداوة الشيطان الموجبة للإدبار عنه[4].

3- أيضا من التناسب الحادث في قصة آدم وإبليس وما قبلها، والذي أحدث نوعا من التماسك بين هذا الجزء من السورة، هو أن هناك تشابه بين المواقف الثلاثة:

- موقف مشركي قريش من فقراء المسلمين وتكبرهم عليهم.

---

(1) مصطفى مسلم، المرجع السابق، ص: 222.

(2) المرجع نفسه، ص: 222.

(3) المرجع نفسه، ص: 242.

(4) البقاعي، نظم الدرر، ج4، ص: 475.

-موقف صاحب الجنتين وتكبره على صاحبه.

-موقف إبليس من آدم عليه السلام، وإبليس هنا في هذه الحادثة، يعتبر قدوة كل متكبر على الحق[1]، فهي ثلاثة مواقف في التكبر اختتمت بذكر قصة قائد المتكبرين، فكانت عبارة عن مواقف تدور حول محور واحد مترابط الدلالات والمعاني ومتلاحم الأجزاء.

سابعا: المناسبة بين قصة موسى مع العبد الصالح وما قبلها:

هناك مناسبات عدة بين هذه القصة وما سبقها عملت على الربط بين آيات هذا الجزء من السورة وحققت التماسك النصي بينه، وسأذكر بعض وجوه هذه المناسبة الواضحة الارتباط بالمقطع السابق:

1- تتعلق قصة موسى والخضر عليهما السلام بالهدف الأساسي لسورة الكهف، من حيث الاستنكار على اليهود الذين زودوا وفد قريش بأسئلة تعجيزية ليتثبتوا حسب زعمهم صدق محمد ﷺ فيما جاءهم[2]، فسبقت لهم هذه الحادثة أن هذا المنهج ليس فهما صحيحا في التثبت من صدق النبي، فهذا موسى عليه السلام، من أعظم أنبياء بني إسرائيل وأكرمهم على الله تعالى، لم يعلم ثلاث مسائل، واحتاج إلى من يعلمه إياها، ولم يؤثر ذلك على مكانته العظيمة[3]، كونه من أولي العزم من الرسل، فجاءت هذه القصة مبنية لهم قصورهم المعرفي، وأن الله يؤتي العلم من يشاء.

2- اشتباه موقف النبي ﷺ حينما قال: «أجيبكم غدا»، ولم يفعل، بموقف موسى عليه السلام حين وعد الخضر بالتزام الصبر ولم يفعل[4].

3- إن قصة موسى مع الخضر عليه السلام، "إرشاد من استنكف أن يجالس فقراء المؤمنين لموسى عليه السلام من أنه وهو -كليم الله-.

---

[1] أنظر: مصطفى مسلم، المرجع السابق، ص: 242.

[2] أنظر: سبب النزول في بداية هذا الفصل.

[3] مصطفى مسلم، المرجع نفسه، ص: 254.

[4] البقاعي، نظم الدرر، ج4، ص: 486.

اتبع الخضر عليه السلام ليقتبس منه علمه[1]، هذا على الرغم من أن المؤمن الفقير خير من المشرك الغني وإن كان أعلى منه منزلة في الدنيا في نظر بعض الناس.

كل هذه المناسبات بين قصة موسى والخضر عليهما السلام وما قبلها، عملت على ربط هذا الجزء، ومن خلال الدلالات التي احتوتها هذه الآيات، فتناسب وجود بعض المفاهيم والقيم في هذه القصة، وجودها في المقطع الذي سبقها، وكان عاملا على تماسك هذا الجزء نصيا، فترابطت بذلك الدلالات وأحدثت نوعا من الانسجام بين فقرات السورة.

ثامنا: المناسبة بين قصة ذي القرنين والقصص السابقة

إن هناك تناسب تام وانسجام بين قصة ذي القرنين والقصص السابقة، لأن كل هذه القصص استهدفت ترسيخ قيم معينة، وهي القيم الصحيحة، والحث على الابتعاد عن قيم الشر والفساد، لأنها قيم باطلة وزائفة، مما أحدث تناسب بين هذه القصص وتماسك دلالي بينهما، نوضحه بعض هذا التناسب في الآتي:

1- لما كانت القيم الزائفة في قصة أصحاب الكهف هي السلطة الغاشمة الظالمة، التي ادعت الألوهية من دون خالق السماوات والأرض، ووضعت نفوذها في غير المجال التي خلقت من أجلها السلطة.

وإذا انتقلنا إلى قصة ذي القرنين ذلك الحكم الصالح الذي مُكِّن به في الأرض وأوتي من كل شيء سببا، فدالت لسلطته الأمم والشعوب، وفُتحت له الأقاليم، وألقت الملوك له قيادها، يحكم فيها بالعدل والإحسان، وعمران الأرض[2]، كل هذا خدمة للعباد وإبعادا للفساد في الأرض، ومنع الظلم والطغيان على المستضعفين، قال: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ الآية: 87.

فذو القرنين عكس الملك الذي فرّ من ظلمه أصحاب الكهف، إذ أن استعمل سلطانه وحكمه وقوته في المكان الذي خلقت من أجله وهي تحقيق العدل في الأرض ومنع الظلم، فاستعملها في موضع شكر عمل عملي للخالق الذي وهبها إياه، أما ملك أصحاب الكهف فقد استعملها في غير

---

[1] البقاعي، المرجع السابق ، ص: 485.

[2] مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص: 300-301.

موضعها، فتناسب ذكر الملك الظالم في في هذه القصة، مع الملك الظالم في هذه القصة، مع الملك الذي مُكّن له في الأرض بسبب عدله ونصره للمظلومين وتحقيق شريعة الله في الأرض، فالأولى قيمة باطلة زائفة يجب الحذر منها وفي الثانية قيمة مضادة لها، صالحة يجب السير على نهجها.

2- نجد في قصة صاحب الجنتين أن زينة الحياة الدنيا والمتمثلة في المال والنفر أنها لا تعتبر قيمة حقيقية، في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ الآية: 34، بل هي قيمة زائفة.

ونجد ما يقابلها في قصة ذي القرنين أنه أعرض عن زينة الحياة الدنيا وجعل ما مكنه فيه والله خيرا أنه هو القيمة الحقيقية الباقية، وقال: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ﴾ الآية: 95.

إذا حدث شيء من الانسجام بين موضوعين قصة صاحب الجنتين ومضمون قصة ذي القرنين، خصوصا من حيث القيمة الزائفة في القصة الأولى وما يصادفها من القيم في القصة الثانية، إذا كان نوع من الحديث عن القيمة وعكسها، فتماسكت بذلك أجزاء ودلالات هذه القصص على الرغم من وجود فاصل بينهما.

أما القصة الثانية التي حدث تناسب بينهما وبين قصة ذي القرنين فهي قصة موسى والخضر عليهما السلام.

حيث نجد أن هناك قيمتان صحيحتان من قصة موسى والخضر عليهما السلام، إلا أن إحداهما تتعلق بالعلم الظاهر الذي تساسى به الأمم والشعوب.

والأخرى تتعلق الذي الخفي الذي لا يطلع عليه أحد إلا بمقدار ما يعلمه الله سبحانه وتعالى من لدنه.

نجد أن القيمتين تبرزان في قصة ذي القرنين، فقد أوتي من كل شيء سببا، وهي الأسباب الظاهر من الخبرة والعلوم المتعلقة بسياسة الشعوب والأمم وعمارة الأرض... وكل من شأنه أن يمكن له في الأرض من أسباب عزة الدولة والحاكم العادل وترسيخ أقدامه في الأرض[1].

---

[1] مصطفى مسلم، المرجع السابق، ص: 301.

إلى جانب هذه الأسباب الظاهرة نجد قوة العقيدة المتمثلة في الإيمان المطلق بالله ﷻ، وأن هذا التوفيق والتمكين كان بمحض الرحمة والفضل من رب العزة ﷻ، ﴿قَالَ هَـٰذَا رَحۡمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ الآية:98.

فتتناسب ما جاء في قصة موسى والخضر عليهما السلام، وما جاء من قيم أيضا في قصة ذي القرنين، مما جعلهما متماسكتين فيما بينهما، تأخذ هذه بأطراف الأخرى حققنا ذاك التعالق بين مضمون هذه القصص خصوصا من جانب القيم فحقق ذكر هذه القيم انسجاما دلاليا في هذا الجزء من السورة.

وبشكل عام فإن علاقة قصة ذي القرنين بالقصص الثلاثة السابقة لها، علاقة انسجام تام بين دلالات القصص، كون هذه القصص كلها تتحدث وتكشف أسباب بعض فتن هذه الحياة الدنيا.

هذه من أهم المناسبات بين أجزاء السورة ومقاطعها، فمن خلال هذا الجزء المقدم، الخاص بالمناسبة، وعلاقتها بلسانيات النص، ودورها في تحقيق الترابط الدلالي على مستوى سورة الكهف، وعلى الرغم من أن كل قصة في هذه السورة لم تستغرق السورة بأكملها، بل في جزء منها فقط إلا أنه قد تحقق الانسجام بين هذه القصص، كون هذه القصص إما تنادي بقيم فاضلة باقية أو تحارب قيم باطلة زائفة، وهذا ما تبين لنا من خلال دراسة المناسبة بين مقاطع هذه السورة.

وبذلك يتأكد إضافة عنصر المناسبة إلى الأنماط والآليات التي يتم الكشف عن تماسك النصوص، حيث أنا لها الأهمية الكبرى في تحقيق التعالق والتلاحم بين أجزاء السورة الواحدة.

وتبرز أيضا أهمية الانتقال في التحليل اللساني من الإطار التقليدي –نحو الجملة- إلى الإطار الذي يدرس النص بوضعه وحدة التحليل الأساسية.

خاتمة

بعد هذه المحطات العلمية والفصول اللغوية التي وقفت عندها على ثنائية الاتساق والانسجام في سورة الكهف، انطلاقا من اعتبار هذه الأخيرة نصا واحدا، كان لابد أن أستعرض أهم النتائج التي تم التوصل إليها، والتي يمكن إيجازها في النقاط التالية:

- يمكن اعتبار لسانيات النص أحدث فروع علم اللغة، ويعد مرحلة انتقالية من محورية الجملة في الدراسة إلى اعتبار النص الوحدة المركزية، لأنه لا يمكن فهم المعنى دون سياقه الذي وضع فيه.
- هناك اختلاف كبير في تحديد مفهوم "النص"، حيث اكتسى دلالات مختلفة نتيجة تعدد الاتجاهات والنظريات والمدارس اللسانية، مما أدى بالباحثين إلى التباين في إمكانية وضع مفهوم للنص يجتمعون عليه، لكن رغم هذا فيمكن اعتباره: «وحدة أو تشكيل نظمي» قابل للتحليل وكشف تماسكه.
- لقد كان للعرب إسهاما مباشرا، وغير مباشر في الدراسة النصية، إذ أن الدراسة أكدت أن في التراث اللغوي (البلاغي- النحوي) والتراث النقدي، وعلم التفسير وعلوم القرآن، ما يؤكد العلاقة بينها وبين لسانيات النص في الوقت الحالي، غير أنه لم يكن ليصبح علما متكامل الأركان، ولم يصلح لتكوين نظرية نصية مستقلة ذات قواعد ووسائل وأهداف بل كان في أغلبها إشارات قد تطول وقد تقصر.
- وكما وقع الاختلاف في مفهوم النص كذلك نجد أنه قد كان هناك خلط بين المصطلحين الأساسيين في لسانيات النص "الاتساق والانسجام"، لكن يكاد يجمع الباحثون على أن الاتساق يتحقق في ظاهر النص بالنظر في الأدوات الشكلية والروابط النصية التي تساهم في تعالق الأجزاء والوحدات المختلفة للنص حتى تمنح النص نوعا من التلاحم والتماسك عن طريق أدوات معينة يكاد يتفق الدارسون على بعضها منها الإحالة والربط عن طريق العطف والتكرار والحذف.
- أما الانسجام فهو مجموع العلاقات الخفية التي تحقق التماسك الدلالي، وهذا ما يؤدي بالباحث إلى الاعتماد على عناصر غير نصية تساعده على كشف هذا الترابط من خلال السياق ومعرفة البنية الخطابية والتغريض والمناسبة بين المقاطع.

- يعد الاتساق خطوة عملية مبدئية للوصول للانسجام، هذا الأخير الذي يعد المرحلة النهائية والهدف المبتغى من دراسة النصوص دراسة لسانية، فهما بهذا وجهان لعملة واحدة.

- إن أدوات الاتساق وآليات الانسجام التي اعتمدها الدارسون في دراساتهم من أجل إبراز التماسك الشكلي والدلالي للنص كثيرة ومختلفة من باحث لآخر وليست نهائية ولا ثابتة، لكن هناك حد أدنى من الاتفاق حول أهم هذه الأدوات التي تساهم في تحديد البنية الكلية للنص.

- لم تكن هناك أي قطيعة بين الدراسة النظرية وتطبيقاتها على أي من النصوص، كون المادة النظرية لهذا العلم بعيدة عن الخلط والغلو، مما أمكن تطبيقها على أرقى النصوص وهو النص القرآني.

- لقد أسهمت أدوات عدة في التماسك الشكلي لسورة الكهف،كان أبرزها: الإحالة بنوعيها القبلية والبعدية، وقد كان منها ما يخص السورة بأكملها، فعمل على اتساق مقاطع السورة بعضها ببعض، وكان منها ما عمل على تماسك مقاطع معينة أو داخل قصة أو مقطع لوحده.

- من الأدوات التي ساهمت في اتساق السورة أيضا، "الحذف" لكون سورة الكهف قد غلب عليها الطابع القصصي، فإن ذلك يؤدي إلى حذف مقاطع قصصية، فكان منه حذف الاسم والفعل والجملة وأكثر من جملة، فاتضحت أهمية الحذف بأنواعها في اتساق سورة الكهف.

- بالإضافة إلى العطف، الذي يعد من أهم الأدوات تحقيقا للاتساق،كون النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيا، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة، فكان العطف أحد هذه العناصر.

- وكذلك التكرار والذي تميزت سورة الكهف ببعض منه، منح لها خصوصية وساهم في اتساق العبارات والآيات ووحدات السورة.

- أما كيفية إبراز العلاقات الدلالية للسورة فقد كانت عن طريق آليات منها:

- السياق النصي للسورة وللآية وللمقطع، وكل هذا أبرز لنا جزءا من التماسك الدلالي لسورة الكهف.

- دور المتلقي في الحكم على تماسك هذه السورة أيضا من خلال كشف البينة الخطابية للسورة إذ أن المتلقي ذا دور واضح في التحليل النصي.

- أيضا التغريض، والذي يبين لنا العلاقة بين العنوان ومحتوى هذه السورة بموضوعاتها المختلفة فوجدنا أن هناك نوعا من العلاقة الخفية بينهما.

- وآخر وسائل كشف انسجام سورة الكهف كان عبارة عن وسيلة لم يذكرها النصيون-باستثناء محمد خطابي وصبحي إبراهيم الفقي- بل ذكرت عند العلماء القدامى، على سبيل النظر إلى المناسبة بين الآيات والسور، والذي أضيف إليها في الوقت الحالي، هو مهمة هذه الوسيلة (المناسبة) في تحقيق التماسك الدلالي النصي، بكشف العلاقات الخفية الرابطة بين الأجزاء والوحدات المختلفة للسورة وهو ما لوحظ على سورة الكهف.

ومن خلال كل هذا تبين لنا الكيفية العجيبة التي ترابطت من خلالها سورة الكهف شكليا ودلاليا، فهي تزخر بالعديد من أدوات الاتساق التي ساهمت في ترابطها، ومن خلال العديد من آليات الانسجام تم الكشف عن ذلك التلاحم الخفي بين دلالاتها، على الرغم من أن الناظر إلى هذه السورة بعين النظر، يجدها تحوي في ظاهرها عدة قصص تبدو للوهلة الأولى أنها لا ترتبط ببعضها البتة.

فالاتساق والانسجام يعد الحجر الأساس في لسانيات النص ولذلك ليس غريبا أن تكون هذه الدراسة بمثابة منهج لساني جديد يبحث عن أهم مواطن الجمال داخل النصوص المختلفة وخصوصا منها النص القرآني.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمـــة المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

المصادر والمراجع باللغة العربية:

1- إبراهيم خليل:
- الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، بيروت، ط1، 1997م.
- في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 1426هـ- 2007م.

2- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 1426-2005.

3- ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، نهضة مصر (د.ط)، (د.ت).

4- ابن الناظم، محمد بن مالك، شرح ابن الناظم، تح: عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

5- ابن جني، أبو الفتح عثمان:
- الخصائص، تح : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ-2002م.
- اللمع في العربية، تحقيق: حسين محمود شرف، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1979م.

6- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، 1982.

7- ابن عجينة الحسني، أحمد بن المهدي ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: عمر أحمد الراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1423هـ-2002م.

8- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، تأويل مشكل القرآن، شرح السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، المدينة النبوية، ط3، 1971.

9- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، الدار المتوسطة للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1426هـ-2005.

10-ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الاتحاد العربي، القاهرة (د.ط) (د.ت).

11-ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
12-أبو تمام الطائي، ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، دار المعارف، مصر، (د.ت).
13-أبو حيان الأندلسي، النهر المهاد من البحر المحيط، تح: عمر الأسعد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1416هـ-1995م.
14-أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001م.
15-أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998.
16-الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م.
17-الاسترباذي، رضي الدين، شرح كافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ-1992م.
18-إسماعيل بودشيش، معالم قرآنية- سورة الكهف، محاولة قرآنية هيكلية، دار النشر إديسون 48، البليدة، الجزائر، (د.ط)، 2003.
19-الألوسي، شهاب الدين محمد، روح المعاني، دار الإحياء العربي، بيروت، ط4، 1985.
20-أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، ط2، 1408-1988.
21-الباقلاني، أبو بكر، إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط3، (د.ت).
22-البدراوي زهران، ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1993.
23-برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ-1995م.
24-تمام حسان:
- البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1420هـ-2000م.
- اللغة العربية معناها ومبناه، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1418هـ-1998م.
25-جابر عصفور، مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي، دار التنوير، بيروت، ط3، 1983

26-الجاحظ، البيان والتبيين، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
27-الجرجاني، عبد القاهر:
- أسرار البلاغة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط2، 1420هـ-1999م.
- دلائل الإعجاز، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ط)، 1424-2003.
- الجمل، تح: على حيدر، دمشق، 1972م، نقلا عن: محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، (د.ط)، 2003.
28-جميل عبد الحميد:
-البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)، 1998م.
- بلاغة النص، دار غريب، القاهرة، (د.ط)، 1999م.
29-حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ط)، 1986.
30-حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ط)، 1994.
31-حسين النصار، إعجاز القرآن- التكرار-، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1423هـ-2003م.
32-خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، حيدرة، الجزائر،(د.ط)، 2000م.
33-الزركشي، البرهان في علوم القرآن،تح:محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعرفة ،بيروت،لبنان،(د.ط)،(د.س).
34-الزمخشري، محمود بن عمر، تفسير الكشاف، تح: محمد مرسي عامر، دار المصحف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
35-سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية لونجمان، الجيزة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1997م.
36-سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط10، 1401هـ-1981م.

37-السيوطي، جلال الدين:
- الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الوقفية، بيروت، (د.ط)، 1973.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبطه وصححه، أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ-1988م.
38-صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة، ط1، 1421هـ-2000م.
39-صلاح الدين صالح حسنين، الدلالة والنحو، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005.
40-صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الجيزة، مصر، ط1، 1996.
41-طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 1999.
42-الطبري، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، دار الفكر، لبنان، (د.ط)، 1405هـ- 1984م.
43-طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 2000.
44-عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط6، (د.ت).
45-عبد الحميد محمود طهمار، العواصم من الفتن في سورة الكهف، دار القلم، دمشق، ط2، 1420هـ-1999م.
46-عبد الرحمان السعدي، تسيير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الغد الجديد، المنصورة، مصر، ط1، 1426هـ-2005م.
47-عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ-1986م.
48-عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1986م.
49-عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1418-1998.

50-عبد المالك مرتاض:
- النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 1983.
- نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن، دار هومة، الجزائر، 2001.
51-على عزت، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، شركة أبو الهول للنشر، القاهرة، ط1، 1996م.
52-عمر أبو خرمة، نحو النص، نقد نظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 1425هـ- 2004م.
53-فتحي رزق الله الخوالدة، تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الاتساق والانسجام، أزمنة للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط1، 2006.
54-فخر الدين الرازي، التفسير الكبير.
55-الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة هلال (د.ط) (د.س).
56- كرم البستاني وآخرون، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط39، 2002.
57-المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، (د.ط)، 1399.
58-المثنى عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 1429هـ-2008م.
59-محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1427هـ-2006م.
60-محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 1421هـ-2001م، ط1.
61-محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، والدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، 1984.
62-محمد العبد، اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1989.

63- محمد العثيمين، تفسير القرآن الكريم، سورة الكهف، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ط1، 1423هـ.
64- محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، دار الجيل، القاهرة، ط1، 2001.
65- محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، (د.ط)، 1999.
66- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، (د.ط) 1993.
67- محمد خطابي، لسانيات النص –مدخل إلى انسجام الخطاب-، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1992م.
68- محمد عمر بازمول، شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، الدار الأثرية، عنابة، الجزائر، ط1، 1424هـ-2003م.
69- محمد مفتاح، التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999
70- محمود أحمد نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط)، 1408هـ-1988م.
71- مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم،الشركة المصرية العالمية للنشر،مصر،ط1 ،1997.
72- مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط5، 1428هـ-2007م.
73- مهدي المخزومي ، في النحو العربي نقد وتوجيه، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ،(د.ت)،
74- مفيد قميحة، المعلقات العشر، شرح ودراسة وتحليل، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط5، 2002.
75- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 1417-1997.

كتب مترجمة:

76-براون ويول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، (د.ط)، 1417هـ-1997م.

77-جوليا كريستسفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط2، 1997.

78-روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1418-1998.

79-فولفانج هانيه من وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: صالح فاتح الشايب، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، (د.ط)، 1997م.

80-كلاوس برينكر، التحليل اللغوي النصي، تر: سعيد حسن بحتري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 1425-2005.

الرسائل الجامعية:

1- ردة الله الطلحي، دلالة السياق (رسالة دكتوراه في اللغة العربية، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1423هـ).

2- فهد الشتوي، دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام، (رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1426هـ-2005م).

3- نوال لخلف، الانسجام في القرآن الكريم، سورة النور أنموذجا، رسالة دكتوراه في الأدب العربي قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2007/2006.

المجلات:

1- مجلة الإحياء المغربية، العدد 25 (جمادى الثانية 1428هـ- يوليو 2007م).

- عبد الرحمن بودرع :أثر السياق في فهم النص القرآني.

- محمد الولي:السياق إشكالية قديمة في أضواء جديدة.

2-مجلة التواصل، السعيد بوسقطة، شعرية النص بين جدلية المبدع والمتلقي، مجلة علمية محكمة، جامعة عنابة.

3-مجلة اللغة والأدب:

- العدد 14، (الجزائر: جامعة الجزائر، شعبان 1420هـ- ديسمبر 1999).

- العدد 12، (الجزائر: جامعة الجزائر، ديسمبر 1997).

4-مجلة رسالة الخليج العربي، ع 07، د.ت.

5-مجلة عالم الفكر، عدد 02، مج32، (أكتوبر/ ديسمبر 2003).

6-مجلة فصول، ج1، مج10، عدد 1، 2، يوليو 1991.

قائمة المصادر والمراجع الأجنبية:

1- David Crystal, the Cambridge encyclopedia of language.

2- Halliday.M.A.K and R. Hassan, cohesion in English, longman, London, 1976,

3- Jack Richards, et al, Longman dictionary of applied linguistic.

4- Robert Micro, Alain Roy et autres, dictionnaire le Robert, Paris- Montréal Canada, 2[éme] édition, 1998.

5- OXFORD, (Advanced learner's Encyclopedia), (OXFORD: Oxford University Press, 1989).

مواقع على الأنترنيت:

1- صالح المغامسي، سلسلة محاسن التأويل.http://audio,ISLAMweb.net

2- عبد الملك مرتاض، في نظرية النص الأدبي، نقلا عن موقع رابطة أدباء الشام.

www.odabasham.net

3- مسعود صحراوي، المنهج السياقي ودوره في فهم النص وتحديد دلالات الألفاظ، نقلا عن موقع الشهاب: www.chihab.net/modules.php.

فهرس الموضوعات

مقدمة	أ-هـ
الفصل الأول: لسانيات النص-التشكل والمفهوم	**52-01**
I- من الجملة إلى النص	02
II- مفهوم النص	12
1- المفهوم اللغوي	13
2- اصطلاحا	16
أ- مفهوم النص في الدراسات اللغوية العربية	16
ب- مفهوم النص في الدراسات الغربية	19
III- مفهوم لسانيات النص	22
IV- أهداف لسانيات النص	24
V- القدماء والدراسات النصية	26
الفصل الثاني: الاتساق في سورة الكهف	**141-53**
I- مفهوم الاتساق	54
1- لغة	54
2- اصطلاحا	55
II- أدوات الاتساق في سورة الكهف	60
1- الإحالة	61
أ- مفهوم الإحالة	61
ب- أنواع الإحالة	62
ج- التحليل النصي للسورة	67
2- الحذف	87
أ- مفهوم الحذف	87
ب- أنماط الحذف	89
ج- علاقة الحذف بالإحالة	91
د- علاقة الحذف بالاستبدال	92

هـــ- كيفية تحقيق الاتساق من خلال الحذف	94
و- التحليل النصي لسورة الكهف من خلال ظاهرة الحذف	95
3- العطف	102
أ- مفهوم العطف	102
ب- العطف عند القدماء	102
ج- العطف عند النصانيين	107
د- التحليل النصي لسورة الكهف	109
4- التكرار	127
أ- مفهوم التكرار	127
ب- التكرار بين البلاغيين العرب والنصانيين	129
ج- أنواع التكرار	130
د- وظائف التكرار وأغراضه البلاغية	132
هـــ- التحليل النصي لسورة الكهف	133
الفصل الثالث: الانسجام في سورة الكهف	**204-142**
I- مفهوم الانسجام	143
1- لغة	143
2- اصطلاحا	144
II- آليات الانسجام	149
1- السياق	154
أ- مفهوم السياق	154
ب- أنواع السياق في القرآن الكريم	156
ج- التحليل النصي لسورة الكهف	159
- وصف عام للسورة	159
- التقطيع والهندسة الخارجية	161
- السياقات الواردة في السورة	167

2- بنية الخطاب 176
أ- دور المتلقي في الحكم على انسجام النص 177
ب- خصائص البنية الخطابية 178
ج- البنية الخطابية في سورة الكهف 178
3- التغريض 187
أ- مفهوم التغريض 187
ب- العلاقة بين اسم السورة –الكهف- ومحتواها 188
4- المناسبة 190
أ- تعريف علم المناسبة 190
ب- أول من ألف في علم المناسبة 192
ج- فائدة علم المناسبة وأهميته في تماسك النصوص 193
د- التحليل النصي لسورة الكهف من خلال آلية المناسبة 195
خاتمة 205-208
المصادر والمراجع 209-217
فهرس الموضوعات 218- 221